

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا



الدكتور

عمر بن حفص وولده الشيخ العلامة أبو عبد الله النعماني

رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية

بجامعة أم القرى

لنيل درجة الماجستير

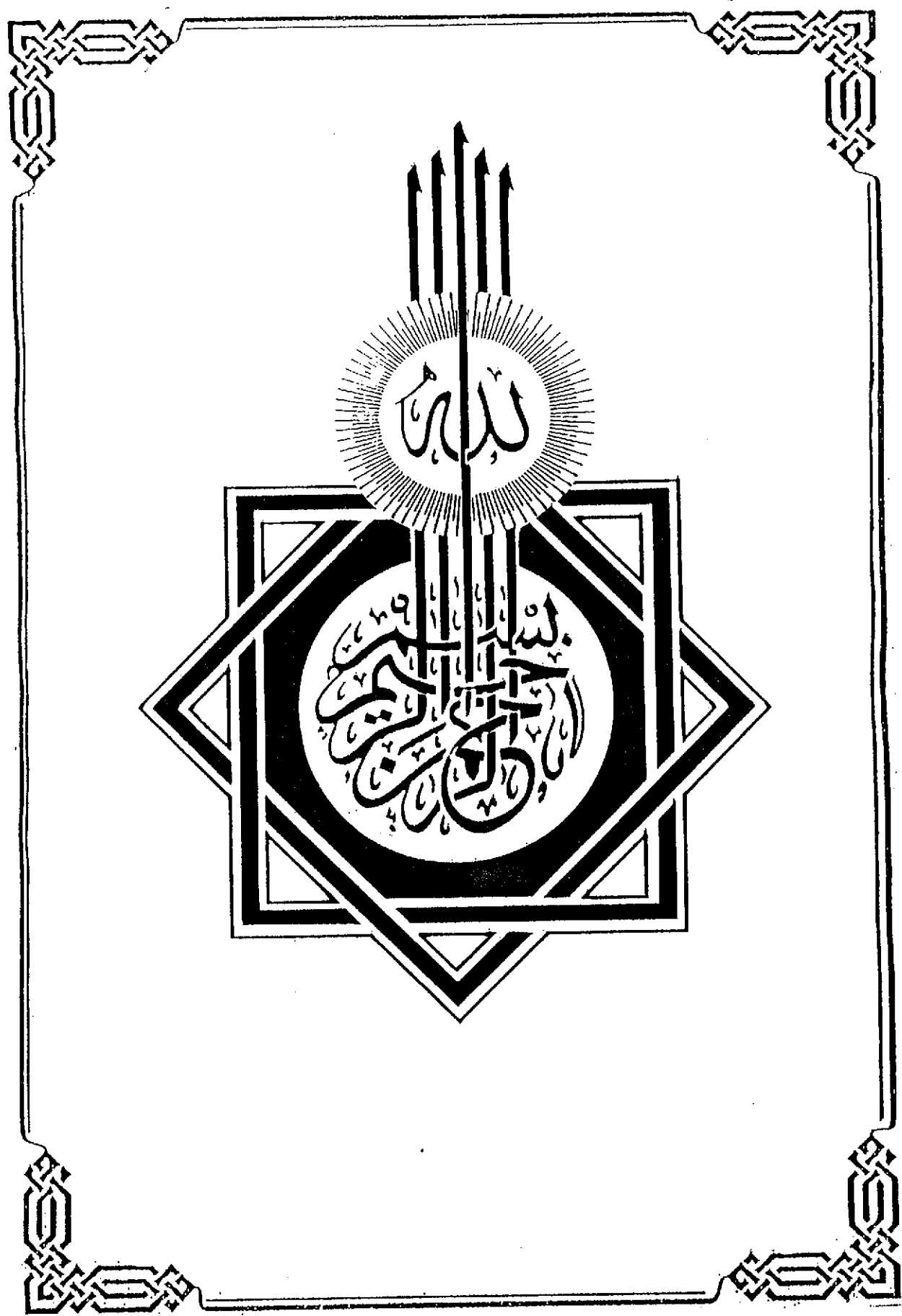
إعداد الطالب

صِفَاءُ شَيْءٍ عَلَى الشَّيْءِ الْخَفِيِّ

إشراف

الأستاذ الدكتور حسين أحمد الكبير

١٩٩٢ / ١٤١٢



قَالَ تَعَالَى:

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا

سورة الأحزاب آية (٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : "الدكتور عمر فروغ ودراساته الأدبية والنقدية"
الدرجة : ماجستير .

ملخص البحث

يستقي هذا الكتاب أهميته من كونه الدراسة الأولى لشخصية الدكتور عمر فروغ وتتناول الجانب الأدبي والنقدي لديه، فقد ألقى الضوء على نتاجه الأدبي والنقدي الغزير وبيّن مكانته - رحمه الله - في الحركة الأدبية المعاصرة، وذلك من خلال نتاجه، ورأي النقاد المعاصرين في جهوده .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة أبواب : -

الباب الأول : حياته وفكره، وقد قسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : نشأته وثقافته .

الفصل الثاني : حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية .

الباب الثاني : خصه لدراسته لتاريخ الأدب العربي، وانتظم فيه ثلاثة فصول : -

الفصل الأول : تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة .

الفصل الثاني : في "الموضوعات الأدبية وطريقة دراسته لها" .

الفصل الثالث : في "مقارنة بين دراساته في تاريخ الأدب العربي وبعض

الدراسات المناظرة والرأي فيها .

الباب الثالث : بعنوان : "دراساته الأدبية والنقدية" وجاء في ثلاثة فصول : -

الفصل الأول : في "دراساته الأدبية والنقدية لبعض الشخصيات الأدبية" .

الفصل الثاني : كان في نقد الشعر والآراء حول الشعر الحديث والرأي فيها .

الفصل الثالث : للموازنة بين هذه الدراسات ودراسات غيره ممن التقوا معه في

بعض موضوعاته والرأي فيها .

الباب الرابع : بعنوان "عمر فروغ بين معاصريه" وكان في فصلين :

الفصل الأول : تعرض لجهوده الأدبية والنقدية في رأي النقاد المعاصرين .

الفصل الثاني : يحدّثنا فيه عن مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

د. محمد مريسي الحارثي

د. حسن أحمد الجهمي
سليمان الجهمي

هيثم رشيد عطالة الجهني

مقدمة

إن الحمد لله تعالى رب العالمين ،أحمده ، وأشكره ، واستعينه ، واستغفره
وأشهد أنه لا إله الا هو لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالنور
المبين هدى ورحمة للعالمين وبعد :-

لا يخفى على أحد منا مدى اهتمام الأمم والشعوب بآدابها ونتائجها الفكرية والأدبية
على مر العصور ، وذلك لما لهذه الآداب من قدرات في تلوين حياة هذه الأمم وتلك
الشعوب وتوجيه سلوكهم وتحديد معتقداتهم وأخلاقيهم ، ولما لها أيضا من أهمية بالغة
في تحديد مكانة كل أمة بالنسبة لغيرها من الأمم، فكلما كان للأمة نتاج فكري وأدبي راق كلما
علا شأنها وارتفعت مكانتها .

من هذا المنطلق أهتم الأدباء ودارسو الأدب في العصر الحديث بدراسة الأدب
العربي طريفة وتليده ، فدّونوا تاريخه ، وبسطوا جوانبه ، وأظهروا الخصائص الفنية
لكل عصر من عصوره ، ووقفوا عند شعرائه وأدبائه فترجموا لهم وأعطوا صورة كاملة لما
تميزوا به من خصائص شعريه أو نثرية .

والدكتور عمر فروخ من بين دارسي الأدب في العصر الحديث الذين يتوقفون
لديهم المرء لمؤلفاته الكثيرة ودراساته الأدبية الواسعة والمميزة فقد درس الأدب العربي
وأرخ له ، وألف العديد من الكتب والدراسات حوله : طريفة وتليده ، وترجم لعدد من
شعرائه وأدبائه ، وأبدى الرأي في شعرهم ونثرهم .

وقد شدني إليه أيضا آراءه الواضحة ولمحاته الذكية ، فأحببت أن ألقى الضوء على
دراستي هذه على هذه الشخصية ونتائجها الأدبية فأخذت أجمع ما ألف من كتب فوجدت أنها

تربو على ثمانين مؤلفاً في فروع متعددة من العلم : في التاريخ ، والفلسفة ، والأدب واللغة ، والدراسات الإسلامية ، والتأليف المدرسي ، والرد على المستشرقين فزادت رغبتى في القاء الضوء على هذا النتاج الغزير لهذه الشخصية التي لم يتجه لها أحد من الدارسين والباحثين بدراسة علمية منهجية ، يقول الدكتور على زيعور حول هذا : " لانجد أطروحات عن عمر فروخ في جامعاتنا ، بينما هناك العشرات عن آخرين ليسوا أثقل وزناً ولا هم أغنى أو أكثر عطاء للفكر " (١) فالرجل لم يكن ذا حظ مع الدارسين والباحثين لأسباب ذكرها الدكتور على زيعور * مما جعل رغبتى في دراسة أدبه أشد وأقوى مما كانت عليه فعقدت أمري وأعددت عدتي لأتناول جانباً واحداً من جوانبه الفكرية فالرجل متعدد الجوانب فهو كما ذكرت - قبل قليل - عالم في التاريخ والفلسفة والأدب واللغة ، والدراسات الإسلامية والرد على المستشرقين . . . لذلك آثرت أن تكون دراستي هذه في فكره الأدبي والنقدى وأخذت في تناول مؤلفاته الأدبية والنقدية بالدراسة والبحث والتحليل والنقد .

وحيث أن موضوعي يعتبر بكرة في هذا المجال ، فإننى واجهت كثيراً من الصعوبات عند اعداد هذا البحث من أهمها :-

- ١ - عدم توفر مؤلفاته في المكتبات ماعدا سلسلة تاريخ الأدب العربى وغيرها كتابيــــــــــــن فكثير من كتبه - رحمه الله - لم تطبع سوى طبعة واحدة وقديمه أيضاً مثل كتابه : شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي " فهو لم يطبع منذ عام ١٩٥٤م .
- ٢ - ندرة المعلومات حول هذه الشخصية ، فالأديب حديث الوفاة ولم تكتب عنه أكثر

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ط ١ دار الأندلس ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ ص ١٢

* راجع المصدر السابق ص ١٢

من كلمات نعي وتأبين قصيره في بعض الصحف والمجلات، فلا توجد دراسة سابقة له
ولجهوده في الساحة الفكرية والأدبية .

وقد حاولت التغلب على هذه الصعوبات ما أمكن ، وذلك بمراسلة دور النشر ومجامع
اللغة العربية في كل من مصر، وسوريه، والأردن باعتبار انه كان عضواً في كل من هذه المجامع
كما إنني اضطررت إلى السفر إلى القاهرة مرات عديدة من أجل الحصول على المراجع التي
تنقصني ، كما زرت مجمع اللغة العربية هناك ، وكنت أذهب إليه يومياً للاطلاع على مؤلفات
الدكتور عمر فروخ التي لم تتوفر لدى لعدم وجودها في المكتبات ، وكم تمنيت أن أسافر
إلى بيروت لأتصل بأهله مباشرة وأحصل منهم على ما أريد من معلومات لكن ظروف الحرب
في لبنان منعتني من تحقيق هذه الأمنية ، ولو كانت الأوضاع في لبنان أفضل مما كانت
عليه عند اعداد هذا البحث لكنت زيارتها حتمية بالنسبة لي ، لكن هي مشيئة الله وقضائه
وقدره ، ومع ذلك حاولت الاتصال بأهله عن طريق المراسلة فأرسلت إلى جمعية المقاصد
الاسلامية - التي كان يعمل بها الفقيد فترة طويلة من حياته وحتى قبيل وفاته - مستفسرة
عن عنوان أهله ، فردوا على مشكورين وزودوني بعنوان أخيه الحاج (سعد الدين فروخ)
وقد بعثت له أكثر من رساله لكن للأسف لم أجد رداً .

ومضيت في بحثي مستنده على ما استطعت أن أحصل عليه من مراجع ومعلومات وقد اقتضت
طبيعة البحث والدراسة أن يكون في أربعة أبواب :-

الباب الأول : حياته الفكرية ، وقد قسمته إلى فصلين :-

الفصل الأول : - نشأته وثقافته ، ويتناول ستة جوانب في حياة الدكتور عمر فـسـروخ :
ولادته ، ونشأته وثقافته ، وكفاحه في الحياة ، وحياته الأسرية ، وفجيعة
في ابنه ، وعلمه وثقافته ، وأخيراً معتقده وخلقه .

الفصل الثاني :- حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية وقد قسمته إلى قسمين : القسم
الأول : مؤلفاته والتي صنفها بحسب موضوعاتها :

أولاً : مؤلفاته في الفلسفة والتاريخ والاجتماع ثم في اللغة والأدب والشعر
ثم الشخصيات ، فالدراسات الاسلاميه ، ثم التأليف المدرسي وأخيراً
الكتب المترجمة وكتب أخرى .

والقسم الثاني : بحوثه سواء في مجامع اللغة العربية أو في المحافل
والندوات والمؤتمرات داخل لبنان وخارجها .

الياب الثاني : - خصه البحث لدارسته لتاريخ الأدب العربي ، وانتظم فيه ثلاثة
فصول :-

الفصل الأول :- تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة ، وقد اشتمل على عدد
من المباحث : الأول : منهجه في هذه الدراسة ، والثاني : محتويات
الكتاب ، والثالث : التراجم ، والرابع : المصادر التي اعتمد عليها في
بحثه ، والخامس : نظرة في تقسيمه للعصر العباسي وتقسيم غيره من
المؤلفين ، والسادس : كتابه معالم الأدب العربي في العصر الحديث
وأخيراً التراجم الموجودة في معالم الأدب العربي في العصر الحديث .

الفصل الثاني :- في " الموضوعات الأدبية وطريقة دراسته لها " وقد تضمن هذا الفصل
مناقشة الموضوعات الأدبية التي أثارها في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام
والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، والأدب من مطلع القرن الخامس

للهجرة إلى الفتح العثماني ، وكثرة التأليف في عصر الانحطاط
والأدب العربي في المغرب والأندلس ، والعصر الحديث
(العصر العثماني) .

والفصل الثالث :- في " مقارنة بين دراسته في تاريخ الأدب العربي ، وبعض
الدراسات المناظرة والرأى فيها : فبعد أن درست طريقة
الدكتور عمر فروخ في تأليف تاريخ الأدب العربي أردت أن
أقارن بين دراسته هذه وبعض الدراسات المناظرة حتى
يكون ذلك أدعى للحكم له أو عليه .

الباب الثالث - بعنوان : " دراساته الأدبية والنقدية " وجاء في ثلاثة فصول :-

الفصل الأول :- في " دراساته الأدبية والنقدية لبعض الشخصيات الأدبية ، وقد
قسمته إلى قسمين : القسم الأول : تناولت فيه بالعرض والتحليل
الأدباء والقراء الذين درسهم في كتابه تاريخ الأدب العربي
والقسم الثاني تناولت فيه بعض الشعراء الذين أفردهم بدراسات
مستقلة كدراسته لعمر بن أبي ربيعة ، وأبي تمام ، وأبي فراس
وأبراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي .

والفصل الثاني :- كان في نقد الشعر وبسط الآراء حول الشعر الحديث والرأى فيها .

والفصل الثالث :- للموازنة بين هذه الدراسات ودراسات غيره ممن التقوا معه في بعض
موضوعاته والرأى فيها وقد قسمته إلى قسمين : القسم الأول :

وازننت فيه بين دراسته للشاي وشعره ودراسه أبي القاسم كرو
ودراسة الدكتور يوسف عز الدين ، والقسم الثاني : وازننت
فيه بين رأييه في الشعر الحديث ورأى اثنين من كبار المناديين
بهذا الشعر : نازك الملائكة ومحمد النويهى .

الباب الرابع :- بعنوان : " عمر فروخ بين معاصريه " وكان في فصلين :

الفصل الأول :- تعرض لجهوده الأدبية والنقدية في رأى النقاد المعاصرين فعرضت
فيه آراء العديد من الاساتذة الأجلاء مثل : الدكتور عدنان
الخطيب ، والدكتور على زيعور ، والدكتور عبدالمنعم خفاجي ،
والدكتور يوسف عز الدين ، والدكتور عفيف عبدالرحمن .

والفصل الثاني : تحدثت فيه عن مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة وذلك من
خلال مؤلفاته ورأى النقاد المعاصرين في جهوده ، كما
أوردت في هذا الفصل كلمة التأبين التي قالها الدكتور
عبدالكريم خليفة فيه .

وأخيراً أوردت الخاتمة فيها خلاصة للبحث تجمع ماتناثر من عناصره
الأساسية وضمنتها ما توصلت إليه من نتائج أسفرت عنها الدراسة وطاب
لنى بعد ذلك أن أذيل بحثي بمقترحات يفيد منها من سار على الدرب بعدى
ثم كانت فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

وفي الختام لايسعني في هذا المجال إلا أن أشكر الله تعالى
على إتمام هذا العمل الذى أرجو أن يكون قد وُفق في القاء الأضواء

الكاشفة على هذه الشخصية التي تعددت جوانبها الفكرية والعلمية ، وجاهدت بالكلمة الملزمة في مسيرتنا الأدبية في العصر الحديث ولم يسقط القلم من بين أصابعها إلا مع توقف نبض الحياة في عروقه وصعود روحه إلى بارئها .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الجليل المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور حسن أحمد الكبير الذي لم يتوان في مساعدتي والأخذ بيدي ونصحتي وإرشادي ، كما لا يفوتني أن أشكر كلاً من الأستاذين القديرين : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي والدكتور يوسف عز الدين على مأمداني به من معلومات حول الدكتور عمر فروخ أو ماكناه لي عن رأيهما في نتاجه - رحمه الله - فجزاهما الله عني وعن الأدب والفكر العربي خير الجزاء ، كذلك أخص بالشكر الدكتور عبدالكريم خليفة على حسن تعاونه معي بإرساله لي كلمة التأيين التي قالها في الدكتور عمر فروخ وألقاها في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، كما أشكر الدكتور عفيف عبدالرحمن على تزويدي برأيه في جهود الدكتور عمر فروخ الأدبية والنقدية فجزى الله الجميع خير الجزاء .

وأخيراً أسأل الله التوفيق والسداد في الرأي إنه على كل شيء قدير

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير "

* * * * *

الباحث

هيفاء رشيد عطاالله الجهنسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الاول

حياته وفكره

الفصل الاول
نشأته وثقافته

- ١ - مولده ونشأته
- ٢ - كفاحه في الحياة
- ٣ - حياته الأسرية
- ٤ - فجيعة في ابنه
- ٥ - علمه وثقافته
- ٦ - معتقده وخلقـه

الفصل الأول

نشأته وثقافته

١ - ولادته ونشأته :-

هو: عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن فروخ . وُلِدَ في بداية القرن العشرين - فقد وُلِدَ عام ١٩٠٦م في الثامن من شهر مايو وذلك كما ورد في مؤلفه " عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (١٩٣١ - ١٩٧١ م) " . وُلِدَ عمر عبدالله فروخ في بيروت ١٩٠٦/٥/٨ . (١)

أما هي كتابة " غبار السنين " فيقول : " كان مولدى في يوم اثنين على القطيع وفي قلب الربيع ، وفي أول ارتفاع النهار " (٢) .

وعن العام الذى وُلِدَ فيه يقول : " يبدو أن مولدى قد جعل عام ١٩٠٦م وأحببت أنا أن أعين هذا المولد بدقة فجعلته في ١٩٠٦/٥/٨م ، ولكن إذا أنا تذكرت عدداً من الأشياء وقست الماضى بالحاضر فيمكن أن يكون مولدى في يوم الاثنين — أواسط الربيع ولكن قبل سنتين " (٣) .

وعن مكان مولده يقول : " أما مكان مولدى في بيروت الكبيرة فكان في بيت يقوم في بستان فرعون (المكان الذى بُنى فيه فيما بعد " قصر هنرى فرعون ") على بعد يسير من القشلة (القشلاق : مركز الجنود) والذى يسمى اليوم " السراى الكبير " (٤) .

أما عن نشأته في البيت فيبدو أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال مادياً " كسان جدى في أول أمره نجاراً وكان أمياً ، فلما رزق ابنه البكر أحمد (وكان أحمد قد توفى قبل مولدى) علّمه جدى ذلك العلم الذى كان مألوفاً في ذلك الحين ، ثم عاد جدى

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً . بقلمه بيروت ، ١٩٧١م ص ٩ .

(٢) غبار السنين . د / عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٢٤٥

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

فتعلم منه القراءة والكتابة والحساب ^(١) لكن بيته كان بيت علم ، فقد قال : " كان جدى وأبى وعمتاى وعمامى يقرءون ويكتبون ، (على قلة مثل ذلك بين المسلمين فى القرن الماضى) وكان فى بيتنا ثلاث لغات متقنة (العربية والتركية والفرنسية) ، ثم لغتان ملموحتان (الانكليزية والألمانية) " ^(٢) كما يذكر أنه تعلّم من جده لأبيه الصلاة وقراءة القرآن والسباحة وشراء أغراض البيت من السوق " ^(٣) وعن والده يقول : " تعلمت من والدى السير الصحيح السليم فى طريق الحياة " ^(٤)

أما عن والدته فيقول : " أما والدتى فلم تكن تخط أو تقرأ الخط ، ولم يكن بالامكان أن أتعلّم منها شأناً من شؤون الثقافة غير أن والدتى كانت ربة بيت من جميع النواحي (حتى من الناحية الاقتصادية) الجد فى التحصيل والحكمة فى الانفاق ، ثم إن والدتى علّمتنا الخدمة فى البيت ، كنا نعجن (لم يكن الناس فى أيام طفولتنا يشترون خبزاً من السوق وعلّمتنا المساعدة فى شؤون المنزل من الطبخ والغسل والمسح " ^(٥) أما عمّاه فقد شاركا فى تعليمه كثيراً من القيم والمبادئ والأخلاقيات . فنراه يقول : " ومن عمى حسين (ت ١٩٣٦) رحمة الله تعلمت فيما تعلمت منه - هذه القاعدة : الاقتصاد الصحيح أن تنفق فيما تحتاج إليه كل مبلغ مهما يكن كبيراً وإياك أن تشتري شيئاً لا تحتاج إليه مهما يكن ثمنه متدنياً " ^(٦) ومن عمه حسن يقول : " ومن عمى حسين (ت ١٩٦٦ م) رحمه الله تعلمت - فيما تعلمت أيضاً - هذه القاعدة الاجتماعية " كان يودعنى وأنا أغادر بيروت (فى خريف ١٩٢٨ م) ذاهباً إلى نابلس (فلسطين) ، لأعلّم هناك فقال لي : لا تعمل فى الغربة عملاً لم تعمل مثله وأنت فى بيروت . " ^(٧)

(١) غبار السنين . مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٤) المرجع نفسه الصفحة نفسها .

(٥) المصدر السابق ص ٤٤

(٦) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٧) المصدر السابق الصفحة نفسها .

أما عن طفولته ولهوه فيها فيقول لنا حول ذلك : " ولا أعلم أنني كنت ألعب في الشارع . كنت أخرج إلى بستان البيت أو أخرج إلى الحقل المجاور لبيتنا وأخذ معي الحمل (الخروف الصغير) ليرعى فيه ، تحت إشراف أهلي ، طبعاً ولا أزال أذكر أن أهلي كانوا يستقدمون مرة طفلاً من أسرة مثل أسرتنا أو يرسلونني إلى تلك الأسرة فيكون لعبنا في البيت بإشراف الأهل ، خوفاً من أن يحتك أحدنا (أنا أو أحد أطفال تلك الأسرة) بطفل لا ترضى سيرته " (١) وقد نشأ عمر فروخ أولاده على هذا الأسلوب في التربية كما يقول : " ولقد نشأت أولادي على مثل ذلك وكنا ننصحهم بأن يصبحوا في المدرسة أطفالاً معينين " (٢) .

ومن قوله هذا يتضح لي أنه لم يكن له أخوة في مثل سنه يلعب معهم فكان يلعب مع أطفال الجيران تحت إشراف الأهل ، مع العلم أنني قد علمت بأن له أخاً يدعى سعد الدين فروخ من خلال رسالة بعث بها إليّ مدير جمعية المقاصد الإسلامية .

وإذا أردنا أن نتعرف على صفاته الخلقية - رحمه الله - نقرأ ما كتبه عنه الدكتور عدنان الخطيب : (كان فقيدنا الكبير ربعة بين الرجال وإلى القصر أمل نحيل الجسم لا يتجاوز وزنه الخمسين كيلاً) (٣) . كما أن الدكتور فروخ يذكر أن وزنه عند تخرجه من الجامعة الأمريكية كان ثمانية وأربعين كيلو . (٤) فهذه صفات الدكتور عمر فروخ الخلقية . أما صفاته الخلقية فإنها تحتاج إلى عنوان خاص .

(١) غبار السنين ، مرجع سابق ، ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) د . عمر فروخ . كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام . د . عدنان الخطيب . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٩

(٤) غبار السنين . مرجع سابق ، ص ٦٤

وقد دخل الدكتور عمر فروخ عالم الصحافة ككاتب بها مبكراً إذ كان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً ، يقول : " فى العام الدراسى ١٩٢٢ - ١٩٢٣م كنت فى الصف الرابع من الدائرة الاستعدادية فى الجامعة الأمريكية ، وقبل عطلة نصف السنة (شباط - فبراير ١٩٢٣) طلب منا أستاذ اللغة العربية - نجيب نصار (ت.١٩٣٠) أن نكتب موضوع إنشاء طويلاً عن الطيران ، وأن نقدمه بعد العطلة مباشرة ، ولما بدأت عطلة نصف السنة بدا لي أن الحالة الاقتصادية فى بيتنا لاتجعل الأمل كبيراً فى الرجوع إلى الجامعة ، ومع ذلك فقد عنيت بهذا الموضوع عناية كبيرة (بحسب سنسى - يومذاك - سبعة عشر عاماً) ولكن قبيل إنتهاء العطلة يسر الله الأمور فأعطانى والدي القسط الثانى فدفعته ، فى يوم رجوعنا إلى المدرسة جمع الأستاذ نصار الأنشى وبعد بضعة أيام رد الأستاذ نصار الموضوعات إلى تلاميذ الصف ، ولم يرد لى موضوعى ولكن بعد الدرس قال لى إنه أعطى الموضوع لجريدة " الأحوال " (أصدرها خليل البدوى عام ١٨٩١) وكانت فى ذلك الحين - عام ١٩٢٣ - من أمهات الصحف ، وبعد يومين أو ثلاثة أيام صدرت جريدة " الأحوال " وفيها مقالى (موضوعى فى الإنشاء) وقد نشر فى عدد من متوالين لطولة ، وكانت المفاجأة لى أن جانباً من كل قسم قد نُشر فى الصفحة الأولى " (١) . فبداية الدكتور عمر فروخ مع الصحافة كانت مبكرة جداً وبفضل براعته وإتقانه ، فلولا أن موضوعه الانشائى كان رائعاً جيداً بالنشر لما نشره له أستاذه فى جريدة الأحوال ، علاوة على نشر جزء منه فى الصفحة الأولى ، فهذه كانت البداية أو بداية احتكاك الدكتور عمر فروخ بعالم الصحافة ومواجهة الجمهور ، وقد كانت بداية ناجحة بالتأكيد وإلا لما رأينا استمراره فى هذا المجال ، وفى نفس العام نشر له موضوع آخر فى نفس الجريدة " وفى أواخر السنة الدراسية ، طلب الأستاذ نصار

منا أن نكتب موضوعاً طويلاً عن " الحرير " وحمل الأستاذ نصار موضوعي إلي جريدة "الأحوال " فنشرته الجريدة في عددها ٨٠١٩ والصادر في ١٣/٦/١٩٢٣ ، وكانت المفاجأة هذه المرة أكبر ، إذ بدأ نشر المقال في صدر الصفحة الأولى ابتداء من أعلى العمود الأيمن ، وقد جعلت جريدة " الأحوال " عنوان هذا المقال " بحث جليل في صناعة الحرير " . (١)

إن ظهور مقالات الدكتور عمر فروخ في صدر الجريدة لدليل أكيد على جودة هذه المقالات ، مع أنه كان في أول الطريق كما يُقال ، لكن القراءة المستمرة والرغبة في التعلم لدى الطالب جعلت منه طالباً متفوقاً رغم كل الظروف سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية ، كما أن المقاعد الدراسية لا تصنع طلاباً لكن الطالب الدؤوب ، والقراءة الحرة المستمرة والرغبة الأكيدة هي التي تعمل على تفوق الطالب . وهذا ما كان عليه الدكتور عمر فروخ - وقد استمر في الكتابة في الصحف عن طريق الاتصال المباشر بينه وبين الصحف " لقد دلني الأستاذ نجيب نصار على طريقي إلى الصحف ، فكنت أرسل المقالات المختلفة إلى جرائد البلد : إلى " الرأي العام " إلى " البيان " إلى "المعرض" وغيرها " (٢) وقد كان يكتب بتوقيع مستعار " ولما بدأت أنا الكتابة في جريدة الأحوال بدأت الكتابة بتوقيع مستعار " صريع " أو صريع الغواني " . (٣)

وهذا تصرف طبيعي . فمعظم الكتاب الكبار بدءوا الكتابة بتوقيعات مستعارة ربما خوفاً من الهجوم والنقد من القراء والنقاد ، وحتى تفسح الجرائد لمقالاتهم الطريق إلى النشر ولما تنضج قرائحهم وقدراتهم يوقعون بأسمائهم الصريحة ، وهذا ما حدث مع الدكتور عمر فروخ " وفيما بعد تركت التوقيع بلقب صريع الغواني (إلا في الحين بعد بعد الحين) وأخذت في توقيع مقالاتي باسمي الصريح وكنت في عدد من الأحيان

(١) غبار السنين . مصدر سابق ، ص ٢٢ - ٢٨

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٩

أوقع بالحرف (ع) أو بحرفين (ع"ف) . (١)

أما عن موضوعات المقالات التي كان يكتبها فيقول " كانت مقالاتي في الأدب والتاريخ وفي الردود (وخصوصاً على الأب لويس شيخو والأب هنري لامنسي) كان لويس شيخو قد توفي عام (١٩٢٧) ولكن الأب هنري لامنسي كان لا يزال حياً (ت ١٩٣٧) ، كان الأب لويس شيخو مغرمًا بجعل كل شاعر عربي مسيحيًا ، وأما لامنسي فكان يريد أن يشكك القارئ في كل جهد إسلامي " . (٢) فقد كان الدكتور عمر فروخ إسلامياً في معتقده وفكرة وخلقة وسلوكه .

وقد عمل عام ١٩٢٧ في جريدة الحضارة كمساعد في الترجمة " كنت أساعد في نقل (ترجمة) أشياء من اللغة الأجنبية ، ولم يكن اسمي يظهر في هذه النقول ، ولكن كنت أوقع باسمي أشياء من الشعر أو من المقالات التي لا تدخل في نطاق عملي الرسمي " . (٣) بعد ذلك بأحد عشر عاماً أنشأ مجلة أسبوعية هي مجلة (الأمالي) " وبعد أحد عشر عاماً (١٩٣٨) أنشأت مع نفر من اخواني (عبدالله المشنوق وزكي النقاش مجلة أسبوعية سميها (الأمالي) " ثم كان معنا محمد علي الحوماني والدكتور محمد خير النويري . فكانت الخسارة المالية ظاهرة فلم يثبت لسد تلك الخسارة سوى الدكتور نويري وسواي وأما في العام الثاني فقد غطت المجلة نفقاتها ، تلك النفقات التي كانت في الأصل يسيرة ، وأما في العام الثالث وكانت الحرب العالمية الثانية فقد خطت خطوتين ، فقد تركت المجلة وراءها رصيذاً صغيراً . وأصبح للمجلة مكانة بدأت أنواع من الضغوط تحيط بنا ، المفوضية العليا الفرنسية عرضت أن تقدم الورق مجاناً

(١) غبار السنين . مصدر سابق ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(كان ماعون الورق - ورق الجرائد الأسمر - قد ارتفع إلى مائة وعشر ليرات) ، وعرض آخرون غير ذلك ، غير أنني قررت وقف المجلة عن الصدور ، ذلك لأن الذين يعرضون مساعداتهم اليوم سيطلبون " بدلاً " منها غداً وكان ذلك علامة على أنني سأصبح قطعة في آلة تتحرك (الآله تتحرك لا القطعة) ثم إنني وجدت أن الصحافة (مع أن مجلتى كانت أسبوعية) ، رهان مع الزمن ، يجب أن تسابق الشمس في مسيرها حتى تظل أنت واقفاً في وجه العواصف ، من أجل ذلك كلة أغلقت المجلة واتجهت إلى تأليف الكتب ، ولكن مازلت أكتب في الصحف والمجلات إلى اليوم " . (١)

فمشوار الدكتور عمر فروخ مع الصحافة بدأ مبكراً عن طريق الكتابة في الصحف اليومية ، ومن ثم عن طريق إنشاء مجلة (الأمل) والتي أغلقها لكي لا تسيطر عليه أفكار الآخرين أو تفرض عليه آراء لا يرضيها . ومن هنا يتضح لنا مدى تمسك الدكتور عمر فروخ بخلق ومبادئه التي لا يرضى عنها بديلاً لأي سبب أو ظرف ، ولذلك فضل إغلاق ووقف المجلة عن الصدور كي يحتفظ بحريته في الفكر والرأي والتعليق .

وقد عاش بعد ذلك معلماً باحثاً مؤلفاً كاتباً في الصحف اليومية بما يرضي خلقه ومبادئه إلى أن وافته المنية يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام ألف وأربعمائة وثمانية هجرية الموافق الثامن من نوفمبر من عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين ميلاديه . (٢) وقد صُلِّي عليه بمسجد البسطة ببيروت ودفن في مقبرة الباشورة بجوار والده الشيخ عبدالله فروخ - رحمهما الله . (٣)

(١) غبار السنين . ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الدكتور عمر فروخ وكفاح خمسة وستون عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام (مصدر سابق) ص ٥٦
(٣) مقال الدكتور محمد حمد خضر ، المحلة العربية ، العدد (١٢٤) جمادى الأولى

١٤٠٨ هـ / يناير ١٩٨٨ م .

٢ - كفاحه في الحياة :-

يقول الدكتور عمر فروخ : " كانت أحوالنا الاقتصادية صعبة ، فمنذ العام ١٩١٩ (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) ، كنت أعمل في الصيف في النهار وأعمل في الشتاء في الليل في سبيل الحصول على المبالغ الضرورية لأقساط الدراسة ، كان ذلك هيناً علي حينما كنت في القسم الابتدائي ، أما بعد ذلك ، حينما انتقلت إلى القسم الاستعدادي فقد أصبح من غير اليسير على أن أجمع بين الدراسة في النهار والعمل في الليل ، وأسلفتني الجمعية أقساط السنوات ١٩٢٣ - ١٩٢٨ (نحو تسعين جنيهاً مصرياً فإن الجامعة الأمريكية في بيروت كانت تستوفى الأقساط بالعملة المصرية) ثم إنني وفيت هذا المبلغ كاملاً في عامي (١٩٢٩ - ١٩٣٠) . (١)

فقد كان الدكتور عمر فروخ مكافحاً في حياته منذ طفولته فقد عمل موزعاً للجرائد وهو في العاشرة من عمره فهو يقول : " في صيف عام ١٩١٦ وأنا في العاشرة من العمر قال لي ابن عمتي - وكان عمره كعمرى واسمه كاسمي - : أتريد أن توزع جرائد ؟ فقلت له نعم . ذهبنا إلى جريدة " الحقيقة " لصاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهرى ، وكان الشيخ أحمد عباس خال أبيه ، كانوا يعطوننا في كل يوم نحو عشرين جريدة نوزعها في منطقة المرفأ ، فقد كانت مطبعة جريدة " الحقيقة " على مقربة من محطة السكة الحديدية بعد أسبوعين استحق الأجر ثلاث ليرات في الشهر (وكان أجار بيتنا - فى رأس بيروت قرب المنارة ليرة واحدة في الشهر) " (٢) . واستمرراً للعمل والكفاح في الحياة يقول : " في صيف ١٩١٩ قال لي عمي حسين رحمه الله ، لماذا لاتعمل في الصيف عملاً تستفيد منه ؟ ثم أخذنى إلى جريدة " لاسيري " الفرنسية (لصاحبها جورج فيسيه)

(١) صراع التيارات المتشددة ، وعمر فروخ ص ٥٢ .

(٢) غبار السنين د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس ص ٢٣

ويبدو أنه كانت له معرفة بمدير الادارة فيها جورج فاليري ، سلمني جورج فاليري إلى العاملين في مكتب الجريدة : محمد المغربي وجوزف قسيس ، وعهد إليّ هذان بتنظيف الحمام وما يتبع الحمام ، في اليوم التالي ، بعد أن دخل جورج فاليري إلى الحمام سألت عن الذي نظف الحمام في ذلك اليوم ؟ فقالا له : عمر .

استدعاني جورج فاليري (وكان فرنسياً تربى في مصر مدة طويلة) وقال لي بلهجة المصرية الممزوجة بالفرنسية بتعرف (بفتح الراء) فرنساوى (بفتح الفاء والراء) ويتخيم الكلمتين (فقلت له : نعم) ولم أكن أعرف يومذاك من اللغة الفرنسية إلا بضع كلمات (استكتبني عدداً من الكلمات والجمل فرضي معرفتي فأمر بأن توضع لي طاولة في الدار وأن أتولى لإعداد لفائف المشتركين (أوراق مستطيلة عليها عناوين المشتركين في الجريدة تلف بها الجرائد لترسل إلى أصحابها بالبريد) . (١) وعن الأجر الذي كان يتقاضاه يقول : " كان مرتبى الشهرى ثلاثة جنيهات (وكان المعلم يبدأ راتبه بجنيهين وربع) ولما انتهى الصيف وأردت الالتحاق بالمدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية قال لي جورج فاليري : بإمكانك أن تستمر في العمل عندنا وتأتى في كل يوم ساعتين بعد المدرسة لإعداد لفائف المشتركين (وجعل أجرى على تلك الساعين جنيهاً واحداً فسي الشهر - حتى جاء الصيف التالي فعاد مرتبى إلى مبلغه القديم أو زاد " . (٢)

كما أنه عمل في جريدة الحضارة في الترجمة ، يقول : " وفي عام ١٩٢٢ ، وكنت لأزال تلميذاً ، عملت في جريدة " الحضارة " . . . كنت أساعد في نقل (ترجمة) أشياء من اللغة الأجنبية " ، ولم يكن اسمى يظهر في هذه النقول ، ولكن كنت أوقع باسمى أشياءً من الشعر أو من المقالات التي لا تدخل في نطاق عملى الرسمى " . (٣)

(١) غبار السنين . د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس . ص ٢٥

(٢) المصدر السابق . ص ٢٦ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤١

فعمر فروخ الذى نشأ فى أسرة متوسطة الحال أو هى أقل من ذلك لم تكن الأحوال المادية عائقاً له فى تعليمه بل كان مكافحاً يعمل ليل نهار من أجل تأمين مصاريف دراسته ، فبالعزيمة القوية والاجتهاد والمثابرة يستطيع الانسان أن يصل إلى ما يريد فلم يُعبّ الدكتور عمر فروخ المعلم الجليل والباحث القدير أن يسجل الأعمال البسيطة التى كان يعملها وهو فى العاشرة من عمره ، وأن يذكر لنا ماهية العمل الذى كان يعملهُ ليعكس أماننا كفاحه وتغلبه على المصاعب التى واجهته منذ صغره .

* * * * *

٣ - حياته الأسرية :-

يذكر لنا الدكتور عمر فروخ أنه تزوج بعد بلوغه سن الرجولة والنضج فيقول : " لما عزمت الزواج كنت قد أصبحت رجلاً ناضجاً في الرابعة والثلاثين من العمر " . (١) ويحكي لنا قصة زواجه فيقول : " اتفق في إحدى المرات التي كنت فيها في "بيت الأطفال" أن كان الوقت ظهراً ، وكان الأطفال يتناولون غداءهم ، ولفت نظري طفلان - صبي وبنت - يأكلان وهما ساكتان ، ويأكلان بطريقة تدل على عناية أهلهم بهما وتهذيبهما فسألت رشاد العريس (مدير بيت الأطفال) : لمن هذان الطفلان ؟ فقال لي : هما ولدا راشد الحورى (بحاء مهملة) فسألته ثانية . هل تعلم لأم هذين الطفلين أختا عزيزة (بفتح ففتح) ؟ فقال : لا أعلم ، وسمعت إحدى المعلمات هذا الحديث وليس عند المرأة حديث أحلى من مثل هذا الحديث ، وبعد يومين جاءت تلك المعلمة تقول : لأم ذينك الطفلين أخت عزيزة ، وهى آمنة حلمي ، وهى معلمة فى إحدى مدارس المقاصد ، وفى مساء ذلك اليوم قلت لأمى : أريد أن تخطبى لى فلانه ، فذهبت أُمى وكبرى نساء الأسرة وخطبتا تلك الفتاه لى " . (٢) وقد كانت حفلة الزواج فى ١١/٥/١٩٤٠ م . (٣) ، وقد كانت حياة الدكتور عمر فروخ الزوجية حياة هادئة ، وقد رزق بخمسة أولاد " أسامه (١٩٤٤) ومروان (١٩٤٦) ومازن (١٩٤٨) ولبنه (١٩٥٢) ، ولميس (١٩٥٦) " (٤) .

وقد كانت السيدة آمنه شديدة العناية ببيتها وأولادها " إن عنايتها بالبيت وبالأولاد وبى أيضا قد مكنتنى من أن أتوفر توفراً كثيراً على التأليف فزاد دخلى بذلك

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ . د . على زيعور ط ١ دار الاندلس

ص ٥٧ - ٥٨ المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٢) غبار السنين د . عمر فروخ ط ١ دار الاندلس ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق الصفحة نفسها .

زيادة ظاهرة ، ثم إن عنايتها - إلى جانب عنايتي - بالاشراف على مطالعة دروس الأولاد في البيت قد أدى إلى النتيجة التالية :-

* * نال ابننا البكر منحة لدراسته العالية في بيروت (بعد البكالوريا) ثم منحة ثانية حينما ذهب إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراسته (حتى نيل الدكتوراه) .

* * نال ابننا الثالث منحة الدولة فتابع دراسته العليا في جامعة عين شمس في مصر ثم في انكلتره (حتى نال أيضا شهادة الدكتوراه) .

* * أما ابننا الثاني " فقصر على علامتين " (ولكن ليصل إلى المرتبة التي تخول له الحصول على منحة في الدراسة) .

ويحسن أن أشير هنا إلى أن أولادنا الخمسة (ثلاثة صبيان ثم بنتين) كان اختصاصهم في الرياضيات والطبيعات ولكن بنتنا الصغرى انتقلت في آخر دراستها الثانوية من الرياضيات إلى الآداب " (١) .

أما عن الجو الأسرى داخل بيته فقد كان جواً اسلامياً متمسكاً ، إذ يذكر لنا الدكتور عمر فروخ ذلك بقوله : " وبيتنا بيت تقوى تُقام فيه الصلوات ويُصام رمضان وتُؤدَّى فيه الزكاة ، وليس فيه شيء خارج عن قواعد الاسلام ، وليس في بيتنا تدخين ، برغم أن الأولاد قد عاشوا مدة طويلة في مصر وانكلتره والولايات المتحدة وغيرها ومنهم من لا يزال يعيش - بسبب عمله - في الخارج ، ومع ذلك كله فإن صلة الابنين المغتربين لا تزال وثيقة بنا كما لو كانوا لا يزالان يعيشان في بيروت " (٢) .

كما يلقي إلينا ببعض النظم المتبعة في بيته فيقول : " وفي بيتنا تنظيم - تنظيم شديد - إذا شئت - فالطعام في أوقات معينة لا تخل ، وكذلك أوقات النوم منظمّة

(١) صراع التيارات المتشددة . وعمر فروخ . د . على زيعور ط ١ دار الأندلس ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٩ .

ومثلها أوقات العمل ، وعندنا زيارات متبادلة في الحدود المعقولة وارتداد
المقاهى وأشبه المقاهى لا وجود له في نظام حياتنا " . (١)

وبما أن القراءة هي مفتاح الثقافة ، فالقراءة عنصر أساسى في بيت الدكتور عمر
فروخ : " والقراءة في بيتنا عنصر أساسى ، في بيتنا مكتبه كبيرة شاملة - للمطالعة
لا للزينة - ونقرأ في كل يوم ثلاث جرائد سوى عدد آخر من الجرائد حيناً بعد
حين (بحسب الأحوال السياسية خاصة) وسوى المجلات " . (٢)

هذه لمحات بسيطة عن حياة الدكتور عمر فروخ في بيته والنظام العام الذى تدير
عليه أسرته ، فقد كان منظماً دقيقاً في جميع أمور حياته وانعكس ذلك على أفراد
أسرته جميعهم .

* * * * *

(١) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

٤ - فجيعته في ابنه :-

فُجِعَ الدكتور عمر فروخ في أصغر أولاده البنين مازن (ولد سنة ١٩٤٨) وقد كان ذلك إثر إصابته بشظية من شظايا إحدى القنابل التي كانت تسقط في بيروت بين الحين والآخر ، ويذكر لنا الدكتور عدنان الخطيب حادثة وفاة هذا الابن بشيء من التفصيل فيقول : " رزق فقيدنا الغالي من الأولاد خمسة ، فيهم من البنين ثلاثة أكبرهم أسامه ثم مروان ، أما ثالثهم فقد ولد سنة (١٩٤٨ م) وهو يحمل اسم مازن ، ومشى الاخوة الثلاثة على الطريق الذي رسمه لهم أبوهم ، وكان قد سبقهم بالمرور عليه ، فشبوا على خلق قويم ودين متين ، وفهم للعلم ركين واعتزاز بالعروبة شديد على أن المقتدمين منهم ، بعد أن تزودوا بأرفع ألقاب العلماء من جامعات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية - آثرا اتخاذ الغرب مهجراً على العودة إلى لبنان والحرب فيه تلتهم الأخضر واليابس بلا تمييز - أما مازن أصغرهم فأثر نصيحة أبيه وقربه في جحيم لبنان ، على رغد العيش في البلاد التي درس فيها والتمتع هناك بالهدوء والأمان . عاد مازن إلى بيروت ليدرس الفيزياء النووية وعلوم الذرة في الجامعة اللبنانية ، وسلك خارج الجامعة سبيل الدعوة إلى الاسلام الصحيح ، حتى غدا من أكثر الدعاة حظاً لدى المسلمين ، ومن أكثر الباحثين الاسلاميين قبولاً لدى المفكرين وفي مساء الأول من شهر كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٨٢ اجتاحت بيروت نوبة من حمى تبادل النار بين الفئات اللبنانية المتصارعة ، واستمر دوى الرصاص وصدى سقوط القنابل ساعات طالت على المنتظرين ، فكان الناس يتحاشون الخروج من منازلهم أو من الملاجئ التي آووا إليها إلا المضطر ، فكان لا يخرج من مأمنه إلا حذراً متبعداً عن الطريق التي يظن أن المرور فيها يعرضه لرصاص " قناص " مجهول الهوية ، أو سقوط قنبلة غير معروف مكان اطلاقها . كان مازن يمشى مشى الحذر ، ولكن الأجل المحتوم

فجأة مع شظية من قبلة طائشة سقطت بعيداً عنه . فكتبت له الشهادة مستأثرة به رحمه الله " (١) وهكذا كُتبت الشهادة لهذا الابن البار بأبيه ، وكتب الأجـر -إن شاء الله- للآب الثكلان الذى كان لهذا الحدث الأثر البالغ فى نفسه فقد جفاه الكرى وأضناه الألم ومزقه الحزن ، فكتب هذه الأبيات التي قدم لها بما يلي :

(إلى مازن) " أوتيت إلى فراشى بعد دفنك (١٩٨٢/١/٣ م) يا بنى فلم تألف عيناى النوم ، ولما انتصف الليل ، كنت قد كتبت أبياتاً لعلها ترضيك فى مقامك الأبدى حيث لا يسمع أحد أصوات الرصاص الطائش ولا يرى آثارا لقنابل لاتعلم من يطلقها ولا من أين يطلقها ولا لماذا يطلقها .

أما الأبيات فهي التالية : (٢)

ياولدى ياولدى	**	ياقطعة من كبـدى
يافرحة الدنيا التى	**	لأأوها لم يخمد
ياطلقة طافت على	**	عوالم من عسجد
يالمحة قد بقيت	**	من أمل مبـدد
قد كنت أرجو مسـعداً	**	آوى إليه فى غـدى
لكننى يا أسفى	**	كفنت أسمى بيـدى
فضاع ما أملتـه	**	من ملجأ أو سـند
لى اثنان قد طافا أسى	**	فى غربـة من كمـد
عن موطن لم يبق فيـه	**	ه غير ما لم يحـمد
وجاء من يقول لى	**	هنا سـمى الفرقـد

(١) الدكتور عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام (مصدر سابق) ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) المصدر السابق . ص ٣٥ ، ٣٦

أوج العلوم الأسـعد	**	الثالث الأبناء في
مجرداً من ولـد	**	لكن ضننتُ أن أرى
يَهْجُرَ هجرَ الأبد	**	ياليقنى رضيـتُ أن
سـرَّت عيون الحـد	**	ولا تموت ميتةً
قد غابَ في دمعي الندي	**	مامازنُ إلا الهـوى

ولو تأملنا هذه الأبيات وجدناها تنم عن عاطفة جياشة متدفقة ونفس تنزف
كما أنها تشعر بالتوتر النفسي والقلق العاطفي الذي كان يساور الدكتور عمر فروخ
ومدى الحسرة والألم اللتين كانتا تسيطر عليه من جراء مصابه هذا ولا ريب
في ذلك أبداً ، فما الفقيد إلا فليذة كبده .

* * * * *

٥ - علمه وثقافته :-

يقول الدكتور عمر فروخ : " حياتي المدرسية قبل عام ١٩١٩ م تحتاج إلى كتاب لقد كان كل شيء فيها أساساً راسخاً في التربية " (١) فقد تعلّم في الكتاب قبل دخوله المدرسة : " تعلّمت أشياء على الشیخة حلیمة الفیل ، والشیخ یوسف الحلوانی والشیخ سلیمان العیتانی ، والشیخ راشد علیوان ، والشیخ محمد ناصر (رحمهم الله جميعاً) ، والأستاذ منیر اللاذقی (مد الله فی حیاتہ) (و غیرهم " (٢)

فقد نشأ الدكتور عمر فروخ نشأة علمية ثقافية منذ نعومة أظفاره فقد تكفل جده تعليمه القراءة والكتابة ، كذلك أسهم عمه وعمّاه في تعليمه إلى جانب الشيوخ الذين درس عليهم ، وهذا كله قبل دخوله المدرسة الابتدائية .

أما عن دخوله المدرسة فيقول : " في العام ١٩١٩م دخلت المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأميركية في بيروت (مدرسة رأس بيروت) وفي العام ١٩٢١م انتقلت إلى الصف الثالث (من الدائرة الاستعدادية) في الجامعة الأميركية " (٣)

وقد تخرج منها سنة ١٩٢٤م يقول في كتابه عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً " دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩١٩م وفي سنة ١٩٢١ دخل السنة الثالثة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ونال شهادتها في حزيران (يونية) ١٩٢٤م وكان خطباء حفلة التخرج في ذلك العام ثلاثاً : قسطنطين زريق باللغة الفرنسية ، وصبحي المحمصاني باللغة الانكليزية ، وعمر فروخ باللغة العربية " (٤) ، وبعد ذلك " دخل الدائرة العلمية (في الجامعة الأميركية)

(١) غبار السنين د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها (٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٤) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ص ٩ بقلمه ١٩٧١ .

ثم تخرج فيها عام ١٩٢٨ بمرتبة بكالوريوس علوم ، ومنذ ذلك الحين بدأ يعمل فى
التدريس " (١) . ففى عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩م عمل مدرساً للتاريخ والجغرافية الطبيعية
في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس (فلسطين) .

وفى سنة ١٩٢٩م تعاقد مع جمعية المقاصد الاسلامية الخيرية الاسلامية
ليُعَلِّم في مدارسها ومن ١٩٣٥ - ١٩٣٧م تابع دراسته العليا في ألمانيا للتخصص فى
الفلسفة واللغة وتاريخ العرب فى أوربه في غير الأندلس (أى فى فرنسا وإيطاليا
وسويسره) فدرس فصلاً في جامعة برلين وفصلاً في جامعة ليزغ وفصلين في جامعة
أرلنجن ، وتخرج فيها بمرتبة دكتور في الفلسفة في ٢٧/٨/١٩٣٧م كما أنه كان يجيد
عدداً من اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية " وهو ثروة علمية عظيمة
لا تقاها لعدد من اللغات كالانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وله إلمام بعدد
آخر من اللغات التى تعينه في البحث " (٢) وقد زار فرنسه خلال رحلته العلمية
مرتين ، في المرة الأولى سنة ١٩٣٦م حضر في عدد من معاهد العلم في فرنسه
(السوربون ، كلية فرنسه ، ومدرسة الدراسات العليا) كي يستفيد من وجوده في
باريس لا ليكون ذلك له منهجاً للدراسة يخوله التخرج في فرنسة .

وفى ١٩٣٧م عاد إلى بيروت وإلى مكانه في التدريس في جمعية المقاصد وفي سنة
١٩٤٠م - ١٩٤١م ذهب إلى العراق أستاذاً للتاريخ الأموى والتاريخ العباسي في
دار المعلمين العالية في بغداد ، ومنذ عام ١٩٤١م عاد إلى مدارس جمعية المقاصد
الخيرية الاسلامية .

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً . ص ٩ .

(٢) المجمعون في خمسين عاماً ص ٢٢٠ د . / محمد مهدى علام - الهيئة العامة
لشئون المطابع الأميرية القاهرة - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

وفي عام ١٩٥١م - ١٩٦٠م كان أستاذاً زائراً في جامعة دمشق للتاريخ الأموي وتاريخ الأندلس ، إلى جانب وجوده مدرساً في المقاصد ، ومنذ عام ١٩٦١م كان أستاذاً محاضراً في جامعة بيروت العربية للتاريخ العربي في جانبه الحضاري ولتاريخ العلوم عند العرب - في ١٩٧٠ - ١٩٧١م أستاذاً لتاريخ العلوم عند العرب في كلية التربية بالجامعة اللبنانية . (١)

ونظراً لمكانة الدكتور عمر فروخ العلمية والثقافية نجده عضواً في كثير من المؤسسات العلمية والتربوية ، ففي سنة ١٩٤٦ - ١٩٦٩م كان عضو مجلس نقابة المعلمين في بيروت وفي ١٩٤٦م عضو المؤتمر الثقافي الأول (بيت مري - لبنان) .

وفي ١٩٤٨ عضو اللجنة الوطنية ، عضو الوفد الرسمي إلى الدورة الثالثة للأونسكو (بيروت) . وعضو المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق وعضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي (الهند) .

ومن عام ١٩٥٤ - ١٩٦٥ عضو المجلس الإسلامي في بيروت .

١٩٦٠ - ١٩٦٨ عضو جمعية أصدقاء الكتاب في بيروت .

١٩٦٠ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة .

١٩٦٥ عضو جمعية البر والاحسان وأحد ممثليها في مجلس الإدارة في

جامعة بيروت العربية .^(٢) كما نال عدة أوسمه وجوائز على جهوده العلمية العظيمة

فقد نال وسام المعارف (لبنان) من الدرجة الأولى سنة ١٩٤٨ .

(١) يراجع عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً . ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ . بقلمه .

(٢) المرجع السابق . ص ١١ ، ١٢ .

وفي سنة ١٩٦٨ نال وسام نجم باكستان من رتبة قائد أعظم ، وفي سنة ١٩٧٠
حاز على جائزة رئيس الجمهورية التي تمنحها جمعية أصدقاء الكتاب (بيروت - لبنان)
على مجموع آثار مؤلف لبناني تميزت بالجودة وصدرت باللغة العربية (١) وحضر عدداً
كبيراً من المؤتمرات الثقافية في لبنان وباكستان والعراق وسوريا ومصر وتونس وليبيا
والسعودية . (٢) فقد كان عمر فروخ - رحمه الله - عالماً مؤلفاً باحثاً دؤباً له جهود
واضحة في ميادين متعددة ومؤسسات مختلفة .

وهذا ما استطعت أن أحصل عليه فيما يتعلق بعلمه وثقافته .

* * * * *

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ص ١١ ، ١٢٠

(٢) من مقال للدكتور / محمد حمد خضر في المجلة العربية العدد ١٢٤ جمادى

الأولى ١٤٠٨ هـ - يناير ١٩٨٨ .

٦ - معتقده وخلقه :-

إن الدكتور عمر فروخ رجل متدين متمسك بدينه لا يخشى فيه لومة لائم ولا يضع أي اعتبار لأي شيء مهما كان فوق اعتبار العقيدة الإسلامية والمثل والأخلاق الإسلامية ، وهذا ما ألمسته من خلال قراءتي المستمره عنه فهو إسلامي فني معتقده وعمله . يقول الدكتور علي زيعور عن معتقده : "لم يستطع أن يفصل جهوده عن جهود الفقه ، أو مسار التشريع ، ووظائف مؤسسة الافتاء ، يربط نفسه بكل ذلك ، وكل ذلك يوءثر فيه ، المحاكم الشرعية والمحاكمات الشرعية ، وقضايا الأسرة والأمور الشخصية كلها مهمة وييدي فيها الرأي والنظر ، لقد عمل قلمه بحثاً وكتاباً ، توضيحاً ونقداً ، في تلك المجالات الدينية " (١)

ولا غرابة في ذلك أبداً فقد نشأ أستاذنا الفاضل في بيت علم وفقه ودين وقد تربي تربية اسلامية وحفظ القرآن الكريم صغيراً .

ويعتبر الدكتور عمر فروخ من الطبقة الإسلامية المتمسكة في لبنان لدرجة أنه اتهم بأنه متعصب ومنغلق وأنه لا يقرأ إلا ما هو إسلامي^(٢) كما أنه كان قوياً في مهاجمة المستشرقين ومهاجمي العقيدة ، وأعداء الاسلام والتراث الاسلامي ، يقول الدكتور علي زيعور عنه : " إنه شخصية عنيدة قوية إزاء المستشرقين ومهاجمي العقيدة وأعداء التراث ، وأتذكر أننا في الصفوف الثانوية كنا نقدمه على الجميع ممن يكتب ويوضح معنى الفرائض الإسلامية ، ويحارب عن المسلمين في دنيا القلم ، وذلك في مدارس المقاصد ، وخارجها أيضا وأكثر " (٣)

(١) صراع التيارات المتشددة د . عمر فروخ ، د . علي زيعور ط ١ دار الأندلس ص ٨٨

(٢) المصدر السابق ص ٨٧

(٣) المصدر السابق ص ٨٧

فالدكتور عمر فروخ لم يقتصر اهتمامه أبداً على العلم الذى يدرّسه من تاريخ أو أدب أو فلسفه بل وهب نفسه للدفاع عن العقيدة الإسلامية فى مجتمع تعددت فيه النحل والمذاهب والديانات فقد كان صوتاً قوياً ومدافعاً جباراً عن هذا الدين وتعاليمه ومشاركاً فى بيان تعاليمه وقواعده وأسسه للناشئة وللمجتمع عامه ، وخلق الرجل مرتبط بمعتقداته ودينه وهذه قاعدة عامة ، فلو أردنا التعرف على خلق الدكتور عمر فروخ لوجدناه مسلماً متمسكاً بخلق الاسلام من تواضع وعفه ، وصدق ، وأمانة . . . ويذكر لنا الدكتور علي زيعور خلقه بقوله : " النشاط والحركة والتواضع والتحلي الصادق بأخلاق السلف الصالح وتلقى فى الطريق ذلك الرجل لطيفاً ، يتأبط كتبه تارة وتارة أخرى حاجيات البيت ، نشيطاً ، يعيش حياة غني ذى حياء وعفة ، ومن السهل أن يتحول ذلك الوديع المظهر والثوب إلى مرابط تقي لا تأخذه فى الحق لومة لائم ويسير وفق مبدأ يقضى بأن الله وحده من وراء القصد " . (١)

فمن صفات الدكتور عمر فروخ النشاط فى العمل ومن خلقه التواضع " إن التواضع أوضح صفة فى شخصية ذلك الرجل يحمل أغراض المنزل أو حاجاته اليومية بيد ، ويتأبط باليد الأخرى كتباً كثيرة وثقيلة أحياناً على رجل يمشى طويلاً من مركز العمل إلى البيت " (٢) . فأى تواضع ولين بعد هذا كله ؟ !

فلا بد أن يكون هذا الأستاذ العظيم قدوة يحتذى به ، إلى جانب العلم الذى يؤخذ عنه فسلوكيات الدكتور عمر فروخ جديرة بالاحتذاء والتقليد " إن فى شخصية الكثير مما كان يتملقنا لتقليده واللاحاق به والتأثر باتجاهاته ثم بالسلوكيات الكثيرة التى اتصف بها

(١) صراع التيارات المتشددة . د . عمر فروخ ، د . على زيعور ط ١ دار الأندلس ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

يهمني ليس فقط المعرفة التي صاغها وتلك التي شها ، فهناك أيضا في الأستاذ الجامعي إلى جانب المنهج والاحترام عدد من القيم الأخلاقية التي ينبغي أن تميزه ، هنا يتبدى الدكتور عمر اماما ، ولن أطيل، أو أوضح بعد " (١) . ويكفي أن أذكر بعض الوقائع والحوادث لتكون الضوء الكاشف عن خلق الدكتور عمر فروخ ومعتقداته رحمه الله ، ففي أثناء دراسته بألمانيا طلب منه أستاذه المستشرق " يوسف هل " أن يعالج المشكلة التي عرضها على طلابه الألمان فلم يجد فيهم الهمة لمتابعتها وحلها وقال له : إنه موضوع يحتاج إلى رجل عربي سريع المضي في المصادر العربية ، هذا الموضوع هو المشكلة التالية : - يرى نفر من المستشرقين أن الاسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي قياساً على أن النصرانية لم تبدأ في الانتشار بين الناس إلا في القرن الرابع الميلادي فهل تستطيع أنت أن تعالج هذا الموضوع وتضع هذه المشكلة على أحد جانبيها ؟ .

يقول الدكتور عمر فروخ : بدأت العمل وجمعت عشرة آلاف بيت شعر مؤرخة بالسنوات منذ السنة الأولى للهجرة (٦٢٢م) إلى موت الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ (٦٤٤م) ، دخل في رسالتي أربعمائة بيت من تلك الأبيات دلت بحزم ووضوح على أن تعاليم الاسلام كانت تستقر في نفوس المسلمين في الوقت الذي كانت تلك التعاليم تفرض عليهم أو ينزل فيها وحي " ويعقب الأستاذ مصطفى يعقوب على هذه الحادثة بقوله : " ويتضح من هذا أن يوسف هل قد أراد شيئاً في نفسه وأراد عمر فروخ شيئاً آخر ، فقد أراد المستشرق إثبات أن الاسلام لم يستقر في النفوس إلا بعد قرنين من الزمان تقريباً قياساً على المسيحية ، ونرجح أن هذا المستشرق ليس إلا واحداً

(١) المصدر السابق . ص ٣٩

من هؤلاء المستشرقين الذين راودتهم هذه الفكرة ، أي أنه يرى هذا الرأي فأحجم عن الكتابة فيه خشية ألا يكون مقنعاً لغيره باعتباره ليس بعربي وليس بمسلم فأراد أن يتولى هذا الأمر - نيابة عنه - عربي أولاً ومسلم ثانياً باعتباره "شاهد من أهلها" ولكن عمر فروخ قد أراد شيئاً آخر وهو ابتغاء مرضاة الله في دينه وابتغاء وجهه الحقيقية فأثبت غير ما أراد له المستشرق " (١)

وهناك حادثه أخرى للدكتور عمر فروخ مع أستاذه "يوسف هل" أثناء دراسته في ألمانيا يذكرها لنا الدكتور عمر فروخ في كتابه غبار السنين : " كنت مرة في بيت أستاذي " يوسف هل " أقرأ عليه فصلاً من رسالتي ، فمرّ في أثناء الكلام ذكر محمد رسول الله ، قال : يا عمر أنت تكتب رسالة علمية ، ونقول محمد " رسول الله " ! فطويت الأوراق التي كانت بين يدي ونهضت قائماً . فقال لي : لم فعلت ذلك ؟ قلت له لاني أريد أن أرجع إلى بيروت فقال مستغرباً : لماذا ؟ قلت له لا أريد أن أدرس على أستاذ يضيق صدره إذا أنا قلت " محمد رسول الله " وهو يعتقد (وكان يوسف هل كاثوليكياً) أن المسيح هو الله بالذات . قال لي :- اقعد واكتب ما بدا لك " (٢)

للهدرك أهبها الأستاذ العظيم الفاضل ، لقد قرر الدكتور عمر فروخ عدم الاستمرار في دراسته وما سيحصل عليه من درجة علمية إذا كان نظير ذلك المساس بمعتقداته ودينه ، وهذا الاصرار القوي من الدكتور عمر فروخ على دينه وخلقه ومبادئه كان سبباً في رأي من أسباب تفوقه ونجاحه في شتى المجالات وإكباره في نظر الكثيرين وعلى رأسهم

(١) مقال بعنوان : جوانب مجهولة في حياة وفكر عمر فروخ لمصطفى يعقوب / المجلة العربية ، رمضان ١٤١١هـ العدد ١٦٤ .

(٢) غبار السنين . د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس . ص ٦٦

أستاذه والمشرف على رسالته " يوسف هل " الذى ودع الدكتور عمر فروخ عند عودته إلى بيروت بعد انتهائه من الدراسة فى ألمانيا بدمعة إكبار وإجلال " . كنت أغادر ألمانيا فذهب معي أستاذي إلى محطة السكة الحديدية ، وتحدثنا ثم اقترب موعد تحرك القطار ، صعدت إلى عربة القطار واستمررتا فى الحديث ، ولما حضر القطار وأرتج يريد أن يسير دمعت عينا أستاذي ، فقلت له لماذا تبكى ؟ أنا ذاهب إلى الشرق أحمل علمك واسمك ، فقال لى : إن ما خبرته منك فى عامين كنت أقرأ مثله فى الكتب فقط " (١) فمن خلال العامين اللذين عاشهما الدكتور عمر فروخ مع أستاذه " يوسف هل " تعرف الأخير على كثير من الخلق المسلم ، تعرف على الجود عند المسلمين فى العمل والالتقان والأمانة فى كل شىء (فى العلم والعمل والحياة العامة) تعرف على تمسك المسلم بدينه فى بلد الكفر والتحرر والتحلل والإلحاد ، ومن مستظرف الحديث أن أذكر أن الدكتور عمر فروخ رفض الزواج من ابنة أستاذه التى اسمها " عائشه " (٢) فهو يرفض مبدأ الزواج بأجنبية - مهما كانت الأسباب والدوافع - رغم الاغراءات التى وجدها فهو يرفض الزواج بغير المسلمة (٣) فهو ينظر إلى الأمور بتعقل ويفكر بعقله لا بقلبه وما ذلك إلا أنه مسلم متمسك بدينه وبتعاليم الدين الإسلامى ويحافظ على خلقه ومبادئه عالم بمدى تأثير الأم على أولادها إن لم يكن لها تأثير أيضا على زوجها وعلى تصرفاته ، فلم يشأ الدكتور عمر فروخ أن يخرج من إطار مجتمعه الإسلامى المتمسكهما كانت الأسباب والدوافع .

(١) غبار السنين . د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس ص ٩٨

(٢) المصدر السابق ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

أعود إلى تلك الحوادث التي توضح لنا خلق الدكتور عمر فروخ وهي لا تحتاج إلى تعليق أو تعقيب ، يقول : " دعيت إلى مؤتمر بلد عربي ، فكتب إليّ القائمون على المؤتمر أن أشتري بطاقة سفر بالطائرة ذهاباً وإياباً (بالدرجة الأولى) ، وهم يدفعون لي المبلغ حينما أحضر المؤتمر ، واتفق في ذلك الوقت نفسه أن اتصلت بي سفارة ذلك البلد العربي وطلبوا إليّ إلقاء محاضرة لمناسبة يقيمونها . وقال لي المتحدث أن أشتري بطاقة سفر بالطائرة يدفعون لي ثمنها حينما أكون هناك فشكرت المتحدث معي وقلت له عندي بطاقة سفر ، وسمع بعضهم بالقصة فقلب شفته السفلى وقال : أبت (١) .. فهذا هو خلق الرجل رحمه الله ، ومن خلقه أيضاً غيرته الشديدة على لغة القرآن الكريم ، فقد تصدى لحيلة من حيل الدكتور طه حسين في تشويه اللغة العربية مما يوضح حرص الدكتور عمر فروخ ودفاعه القوي عن لغة الضاد يقول : " تقدم طه حسين - وكان في ذلك الحين رئيساً للمجمع باقتراح يطلب فيه إضافة أحرف على الأبجدية العربية ، فنهضت أنا أسأل عن سبب ذلك فقال لي طه حسين : (بالحرف الواحد) : إذا لم تكن عندنا هذه الأحرف الزائدة فكيف نكتب اسماً أجنبياً مثل اسم " فيكتور هيجو " باللغة العربية كتابسة صحيحة ؟ فقلت أنا : لو فرضنا جدلاً أن زيادة الأحرف التي تقترحها تحل مشكلة الأسماء في اللغة الفرنسية ، وهذا غير صحيح ، فكيف تحل مشكلة الأسماء من اللغة التركية والفارسية والانكليزية والألمانية والأسبانية والصينية ... ثم طلبت التصويت على إقتراح لي بصرف النظر عن اقتراح طه حسين .

(١) صراع التيارات المتشددة د . عمر فروخ - د . علي زيعور ط ١ دار الأندلس ص ٧٣ .

وخذل اقتراحي في التصويت ، عندئذ نهض عباس محمود العقاد وقال : فلان على حق فلا يجوز أن نفتح ثغرة في اللغة العربية مثل هذه الثغرة - فقليل له إن هذا الإقتراح ليس ابن ساعته الآن ، ولكنه إقتراح لجنة رئيسها طه حسين قال العقاد : وما قيمة ذلك ؟ نعين لجنة ثانية ، ونجح دفاع العقاد فأعيد التصويت وسقط الاقتراح بإدخال أحرف غريبه على الأبجدية العربية " (١)

فهذا الاعتراض على الخطأ أو التلاعب بلغة القرآن الكريم وتعرضها للزيادة أو النقص وهذه الجرأة في إيضاح مساوئ زيادة حروف اللغة العربية ، وهذا الدفاع عن الحق هذا كله كفيلا بأن يضع الدكتور عمر فروخ موضع العلماء والمناضلين المدافعين عن الاسلام ولغة القرآن .

وفي أثناء تواجده في ألمانيا للدراسة تعرض للكثير من المواقف التي أثبت من خلالها أنه مسلم محافظ على دينه رغم المغريات التي يجدها المسلمون عادة في بلاد الغرب ويسرني أن أدون في دراستي هذه بعض هذه المواقف التي تُلقي لنا الضوء على أخلاقيات الدكتور عمر خارج بلاد المسلمين ففي ألمانيا كان يدرس ويحضر للكثير من الأساتذة فلنقرأ هذا الموقف الذي كان له مع " روست " (أستاذ العهد القديم) والذي يذكره لنا في غبار السنين " وفي يوم من الأيام قال لنا روست (أستاذ العهد القديم) غداً مساء سنتناول طعام العشاء في بيتي ، ثم التفت إليّ وقال : أريد أن أراك بعد الدرس ، وبعد الدرس قال لي : أنا دعوتكم كلكم دعوة عامة ، ولكني أريد أن أقول لك كن واثقاً من أنه لن يكون على المائدة خمر ولا خنزير ، ولا شيء آخر يدخل في إعداد خمر أو خنزير " (٢)

(١) غبار السنين د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) غبار السنين د . عمر فروخ ط ١ دار الأندلس ص ٦٣ .

فلولا معرفة (روست) بأخلاقيات الدكتور عمر فروخ وسلوكه وعدم رضائه بالجلوس إلى مائدة عليها شيء محرم في الدين الاسلامي لما دعاه وحده وطمأنه بأن المائدة لن تكون عليها شيء من ذلك ، فهذا إحترام من الأستاذ لطالبه وتقدير ، والإنسان عادة هو الذى يفرض على الآخرين إحترامه أو عدم إحترامه عن طريق أقواله وأفعاله وتعامله معهم وسلوكه العام .

وقد سأله أحد الألمان : كيف تنفق أنت من " مائتى مارك " هذا الانفاق الكريم وفلان لا يستطيع أن ينفق من " ألف ومائتى مارك " إلا انفاقاً عسيراً ؟ ، فقال له يا صاحبى ليس فى الأمر سر ، أنا أعيش هنا وحدى وهو هنا يعيش مثنى وثلاث ورباع " (١)

كما يسرنى عند حديثى عن خلقه أن أشير إلى بعض آرائه البناءة وأقواله البليغة فى كثير من القيم والأخلاقيات من ذلك قوله : " إذا لم تكن سعيداً فى بيتك ، فإنك لن تستطيع أن تكون سعيداً فى مكان آخر ، وإذا أنت لم تكن سعيداً فى نفسك فإنك لن تستطيع أن تحمل شيئاً من السعادة إلى الآخرين " (٢) وقوله : " ليس هناك خطأ كبير وخطأ صغير ، إن الخطأ خطأ أينما كان ، وجميع الأخطاء واحدة فى المقدار ، ولكن هنالك نتائج لهذه الأخطاء والنتائج هى التى تكون كبيرة أو صغيرة " (٣) وقوله : " شيئان لقيمة لهما فى نفسيهما : المال والذكاء " هذان رأس مال عظيمان ، ولكن إذا لم يحسن صاحبيهما استخدامهما لم يكن لهما فائدة وربما كانا نقمة عليه " (٤)

(١) غبار السنين . د / عمر فروخ ، ط ١ دار الاندلس ص ٢٠

(٢) المصدر السابق . ص ١٢٥

(٣) المصدر السابق . ص ١٩٢

(٤) المصدر السابق . ص ٢٠١

وقوله : " إذا زرعت قمحاً فيمكن أن ينبت قمحك هذا نباتاً ضعيفاً أو نباتاً رديئاً أو لا ينبت أبداً . ولكن إذا أنت زرعت شعيراً ، فلا يمكن أن ينبت من شعيرك قمح " (١)

فهذا هو الدكتور عمر فروخ وهذه هي أخلاقياته وسلوكياته وفي رأبي أنه لولا هذا السلوك القويم والنهج السليم الذي كان ينهجه رحمه الله لما وصل إلى هذه الدرجة العالية من العلم ، فهو علم من أعلام العصر الحديث في مجال الأدب والتاريخ والفلسفة إلى جانب العقيدة والفقه والتشريع الاسلامي والرد على المستشرقين .

* * * * *

(١) - غبار السنين . د . عمر فروخ ط (١) دار الأنذلس ص ٢١٩

الفصل الثانى

حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية

١ - مؤلفاته

- ١ - فى الفلسفة والتاريخ والاجتماع
- ب - فى موضوعات اللغة والادب والشعر
- ج - فى الشخصيات
- ء - فى الدراسات الاسلامية
- هـ - فى التأليف المدرسي
- و - الكتب المترجمة
- ز - كتب اخرى

٢ - بحوثه

الفصل الثانى

حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية

إن الدكتور عمر فروخ عالم ومفكر وناقد وفيلسوف وأديب . فقد برع في هذه الفنون جميعها ، فهو عالم فى كثير من الميادين : الدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والرد على المستشرقين ، ومارساته العلمية لنيل شهادة الدكتوراه إلا رد على المستشرقين . هذا بالإضافة إلى أنه ناقد في المجالات الاجتماعية والأدبية فله العديد من المؤلفات النقدية كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته .

وهو فيلسوف فقد عايش - رحمه الله - فكر بعض الفلاسفة أمثال : ابن سينا والفارابى ، وابن خلدون وأبى العلاء المعرى . . . هذا إلى جانب تأليفه في المجال الفلسفى . وأديب إذ أنه طرح للقراء والدارسين والباحثين موسوعة ضخمة في تاريخ الأدب العربى مكونة من ثمانية أجزاء إلى جانب ترجمته لكثير من الأدباء ، أمثال بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، وأبى فراس الحمدانى ، وأحمد شوقى . . كما أنه شاعر مجيد فقد ترك لنا ديوان شعر بعنوان " فجر وشفق "

لقد كان - رحمه الله - موسوعة علمية فى شتى المجالات كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته ، فقد ألّف في التاريخ والحكمة والفلسفة والاجتماع والفلك ، والأدب واللغة والشعر ، وفي الرد على المستشرقين ، وفي التشريع الإسلامى والترجمة وإن ما تركه لنا من مؤلفات وبحوث لدليل أكيد على سعة علمه وتعدد ثقافته ومواهبه، إذ أنه أشرى المكتبة العربية بما يربو على خمسة وثمانين كتاباً غير البحوث والمقالات والخطب والندوات التى كان يلقيها في المحافل العلمية والثقافية .

وقد فكرت ملياً في تصنيف كتبه - رحمه الله - وأخيراً أهديت إلى تصنيفها بحسب الموضوعات فكانت على النسق التالي :-

أ - مؤلفاته في الفلسفة والتاريخ والاجتماع (١)

وقد كان لهذه الموضوعات جانب عظيم في فكر وتأليف الدكتور عمر فروخ ، فمعظم مؤلفاته - رحمه الله - تدور حول الفلسفة والتاريخ والاجتماع (٢)

١ - أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الأوربية :

هذه دراسة موجزة في ثقافة العصور الوسطى التي اقتضت لجوء الأوربيين إلى الفلسفة الاسلامية وفي الميادين التي التقى فيها الشرق بالغرب حتى تم انتقال الآراء الصحيحة من المسلمين إلى النصارى ، ثم أثر العلماء المسلمين في أندادهم في أوروبا ثم كلام على أثر فلسفة ابن رشد خاصة بين تقبل النصارى لها ، ثم مقاومة الكنيسة لها ، ثم فضل العرب على العلم والفلسفة ثم كلام على ثلاثة مفكرين " أوربيين " هم : موسى بن ميمون ، القديس توما ، وألبرت الكبير ، (وكانت طبعته الأولى عام ١٩٤٣) (٣)

(١) فقد رتب الكتب أبجدياً بحسب أسمائها .

(٢) لقد اعتمدت في كتابة مؤلفات الدكتور عمر فروخ والتعريف بها على ثلاثة مصادر رئيسة

هي :-

أ - صراع التيارات المتشددة والدكتور عمر فروخ ، للدكتور علي زيعور . ط (١) دار الأندلس .

ب - عمر فروخ وأثره الثقافية في أربعين عاماً " بقلمه " (١٩٣١ - ١٩٧١م) بيروت

ج - المجمعيون في خمسين عاماً - د . محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشؤون

المطابع الأميرية - القاهرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٣) صراع التيارات المتشددة د . عمر فروخ للدكتور علي زيعور (مصدر سابق) ص ١٧٥

٢ - تاريخ الإسلام المصور :

في خمسة أجزاء . سلسلة للمطالعة العامة وهي للقراء الصغار ، وفيها
العرض المبسط (وطبعت عام ١٩٦٤)^(١) *

٣ - تاريخ الجاهلية :

فصول هذا الكتاب هي : المصادر والمراجع (طبقاتها واستخدامها) جزيـرة
العرب ثم الساميون (الأعرابيـون ، على الأصح) والعرب ، ومجرى التاريخ في
نجد وفي الحجاز ... حضارة الجاهليين ، (والطبعة الأولى منه كانت عام
(٢) ١٩٦٤)

٤ - تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية :

هذا الكتاب أيضاً كان استجابة لتبديل المنهاج في الجامعة ، كما أنه يفيد
القارئ بصفة عامة ، (وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٠)^(٣)

٥ - تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط :

إن هذا الكتاب لا يقوم على الرواية فقط بل هو مبني على تحليل الوقائع التاريخية
وعلى ربط النتائج بالأسباب ، إنه يستخدم المنطق عند فهم التاريخ بقدر ، ثم
يفضل على المنطق " ما هو مألوف في الاجتماع الإنساني " بتدوين ما وقع فعلاً
فإذا تعارض المنطق وما هو مألوف في الاجتماع الإنساني ، فالمقبول عند تدوين
التاريخ ما وقع فعلاً في الاجتماع الإنساني ، هذا الكتاب يتناول أربعين سنة من
تاريخ المغرب والأندلس في الحكم الإسلامي (وطبع عام ١٩٥٨)^(٤)

** ويلاحظ القارئ أنني لم أصنف بعض الكتب المدرسية مع تأليفه المدرسي وإنما وضعتها
في مؤلفاته الأخرى وذلك لأن هذه الكتب تفيد القارئ العام أيضاً ، وليست مخصصة
لطلاب المدارس فقط فاعتبرتها من مؤلفاته العامة وليس من مؤلفاته المدرسية

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٩١
(٢) المصدر السابق ص ١٨٩ (٣) المصدر السابق ص ١٩٠ (٤) المصدر السابق الصفحة نفسها .

٦ - تاريخ العلوم عند العرب :

ويتضمن استعراضاً لتاريخ علوم التعاليم (العلوم الرياضية والطبيعية) منذ أقدم الأزمنة مع التوسع في الجوانب التي برع فيها المسلمون إلى أيام ابن خلدون ثم يلي ذلك تلخيص خمسة كتب : علم العدد لنيقوما خوص الجرشي (نقله إلى العربية ثابت بن تره) وكتاب الجبر والمقابلة (للخوارزمي) ، وكتاب البصريات (لابن الهيثم) وكتاب الآثار الباقية (للبيروني) ، ومقدمة ابن خلدون وهذا الكتاب ليس عرضاً فحسب . بل فيه قضايا علمية مشروحة علمياً ، مع شئ من الموازنة بين ما نقله اليونان خاصة وما أضافه العرب ، وكانت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٢٠ م) (١)

وقد أخرج مختصر للكتاب السابق في عام ١٩٢١ بعنوان :

٧ - " تاريخ العلوم عند العرب في مناهج الباكالوريا " (٢)

٨ - تاريخ الفكر العربي (إلى أيام ابن خلدون)

في هذا الكتاب استعراض للفلسفات السابقة ، ثم توسع في الفلسفة العربية يوضح المؤلف هنا فيقول : أنا استعملت كلمة العرب لأنني اعتمدت في هذا الكتاب المصادر العربية ، ولو قلت الفلسفة المسلمون لوجب علي أيضاً أن استعرض ما في الكتب التركية والفارسية والأردية ، وهذا ما لم أكن قادراً على أن أقوم به ، وقد كانت الطبعة الأولى عام ١٩٦٢ م ، والطبعة الثانية ١٩٦٦ م (٣)

(١) صراع التيارات المتشددة ، والدكتور عمر فروخ ، للدكتور علي زيعور ط (١)

دار الأندلس ص ١٢٠ ، ١٦٩

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ص ١٢١ .

٩ - تجديد التاريخ :

بعد فصل طويل في " علم التاريخ " وفي " قواعد التأريخ " (بالهمزة) يأتي في عدد من الفصول في التاريخ القديم والتاريخ الوسيط وفي التاريخ الحديث من الشرق والغرب ومن الاسلام والنصرانية ، كما يجب أن تكتب تلك الفصول مسن الناحية العلمية (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٨٠)^(١)

١٠ - عبقرية العرب في العلم والفلسفة :

" إن هذا الكتاب للقارئ العام ، ومع ذلك ففيه استعراض لقضايا معينة من العلوم ومن الفلسفة مع الموازنة بين ما عرفه العرب وما عرفه العلماء والفلاسفة في العصور الحديثة ، وهو منقول (مترجم) إلى اللغة الانجليزية ، وقد كانت الطبعة الأولى من عام ١٩٥٤ " (٢)

١١ - العرب في حضارتهم وثقافتهم :

فصول هذا الكتاب تشبه فصول الكتاب السابق ، مع اختصار الجانب السياسي والتفصيل في جانب الفكر والعلم ، ويزيد هذا الكتاب على الكتاب السابق في معالجة الحياة في دولة الخلفاء الراشدين وفي الدولة الأموية (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٦٦)^(٣)

١٢ - العرب والفلسفة اليونانية :

هو الكتاب السابق في نسخة " محررة " (ط ١ - ١٩٦٠ م)^(٤)

(١) صراع التيارات المتشددة والدكتور عمر فروخ ، د . / على زيعور ط (١) دار الأندلس/ص ١٨٨

(٢) المصدر السابق ص ١٢٠

(٣) المصدر السابق . ص ١٨٩

(٤) المصدر السابق ص ١٢١

- ١٣- العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط :
- كانت الحاجة إلى هذا الكتاب نابعة من حاجة جامعية في تبدل منهج التاريخ ، في هذا الكتاب إلحاح على الجانب السياسي من تاريخ صدر الاسلام (وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٨م)^(١)
- ١٤- الفكر العربي في منهاج الباكلوريا اللبنانية :
- هو كتاب موجز من الكتاب السابق ، هدفه فائدة طلاب الباكلوريا في الاكثـر ولكنه ليس لهم فقط ، (وقد كانت طبعته الأولى عام ١٩٦٦)^(٢)
- ١٥- الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب :
- وهو عبارة عن استعراض بشيء من التفصيل للفلسفة اليونانية ، ثم فصل واسع في نقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية ، وقد كانت الطبعة الأولى منه في ١٩٤٧ " (٣)
- ١٦- كلمة في تحليل التاريخ :
- وهو عبارة عن كتيب يشرح أنواع التحليل لأحداث التاريخ الواقعة فهناك التحليل الجغرافي ، والتحليل الديني ، والتحليل الفلسفي ، والتحليل النفساني والتحليل العلمي ، والتحليل الاجتماعي وغيرها ، فهو يشرح هذه الأنواع ويضرب عليها الأمثلة ، ثم يقف وقفة على التحليل الاجتماعي عند ابن خلدون خاصة ، ويورد نصوصاً من مقدمة ابن خلدون تتعلق بذلك (وكانت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م)^(٤)

(١) صراع التيارات المتشددة ، و عمر فروخ ص ١٨٩ .

(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ص ١٤

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ص ١٧٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٩

- ١٧- المنهاج الجديد في الفلسفة العربية :
وهو أيضا كتاب موجز آخر يستجيب لتطور المنهاج في البكا لوريا اللبنانية
ويتبع مداه إلى القارئ العام ، (وكانت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م) (١)
١٨- موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية :
هذا الكتاب مخططات موجزة لعدد كبير من موضوعات الفلسفة الاسلامية وضع في
الأصل لفائدة طلاب البكالوريا اللبنانية ، (وطبعته الأولى عام ١٩٤٩م) (٢)
١٩- وثبة المغرب :

هنا يقول المؤلف : في العام ١٩٥٧ قمت بزيارة للمغرب ولتونس (قبل استقلال
الجزائر والسماح للمسلمين بزيارتها) واستطعت أن أتطوف بهما حيناً ووصلت
في المغرب إلى تينمل في الأطلس الكبير ، ولما عدت ألفت هذا الكتاب لأقص
طرفاً من تاريخ المغرب وأصف بلاده على عتبة الاستقلال . (٣)

ب - مؤلفاته في موضوعات اللغة والأدب والشعر

إن للدكتور عمر فروخ مجهوداً واضحاً وبارزاً في مجال اللغة والأدب والشعر فقد كان
مدافعاً عن لغة الضاد مبرزاً مواضع جمالها وبلاغتها وتأثر اللغات الأجنبية بها إلى
جانب اهتمامه بالأدب والأدباء والشعر والشعراء، ونلمس ذلك من خلال كتبه الكثيرة
التي خص الأدب والشعر بجانب كبير منها كما سنرى في الأبواب القادمة .

هذا وقد كان الدكتور عمر فروخ شاعراً ولكن اهتمامه بقول الشعر كان اهتماماً جانبياً
لا أساسياً وهو يقرر ذلك بقوله " ومع أنني بدأت نظم الشعر باكراً - عام ١٩٢٠ م أو قبل
ذلك أيضا - فإن الشعر كان دائماً نشاطاً جانبياً لي " (٤)

(١) المصدر السابق ص ١٧١ (٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ص ١٧

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٩١

(٤) فجر وشفق (ديوان) د . عمر فروخ ص ١٤

ومع أن النشاط الشعري لدى الدكتور عمر فروخ نشاط جانبي إلا أنه أخرج لنا ديواناً طيباً نظم فيه الشعر العمودي في كثير من الأغراض إلى جانب تضمين الديوان مجموعة من الأشعار المنقولة عن الانكليزية والفارسية والألمانية .

والمؤلفات هي :-

١ - الأسئلة الثلاثة :-

مشهد تمثيلي للأطفال ، وهذا المشهد يمثل الوزير الذي يضر الشر للآخرين والذي يفرض فيه أن يكون مخلصاً لهم ، هذا إلى جانب الخادم المخلص الذي يصدر في أعماله عن براءة وحب للخير . (١)

٢ - الأناشيد المصورة :

أناشيد للأطفال بعضها منقط بالعلامات الموسيقية (بالاشتراك مع مدحت البنا) والألحان فيها للدكتور حمدي الخوجه . (٢)

٣ - تاريخ الأدب العربي :-

هذا في الحقيقة موسوعة في الأدب العربي ، صفحاتها ٤٨٠٠ صفحة يبدأ كل جزء بصورة للعصور التي يعالجها من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والأدبية ثم يلي ذلك تراجم الأدباء (١٢٣٠ ترجمة) وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب ، خصائصه ، مختارات من آثاره ، تأليفه وتأليف عنه ، ومراجع دراسته ، وليس في هذا الكتاب " إنشاء لفظي " بل حقائق في ألفاظ مركزة ، وفي كل جزء فهرس هجائي للاعلام ، وأحياناً فهرس هجائي للكاتب ، وصدر منه ستة أجزاء ينتهي عند الفتح العثماني " وقد بدأت هذه السلسلة عام ١٩٦٥ - إلى عام ١٩٨٣ (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٨٤
(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٦

٤ - الثعالب والأرانب :

مسرحية رمزية للأطفال . وهي تدور على الجماعات القوية والجماعات الضعيفة والجماعات الذكية والجماعات الغبية بأسلوب رمزي على لسان الحيوانات (ط١ ، ١٩٨٤)^(١)

٥ - الرسائل والمقامات :-

دراسة قصيرة تتناول الترسل الذي هو كتابة الرسائل الديوانية أو الرسمية والرسائل الاخوانية متصلة بالصناعة وبوجوه البلاغة ، ذلك النوع بدأ في أعقاب العصر الأموي ، ثم نشأت معه المقامات التي هي فن كان بدوره مثقلاً بالصناعة وبوجوه البلاغة ، وكل مقامة كانت في الحقيقة - بحسب المؤلف - مسرحية قصيرة في هذه الدراسة كلام على ثلاثة ناثرين : عبد الحميد الكاتب ، وبديع الزمان الهمداني ، والحريري ، (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٤٢م)^(٢)

٦ - سفينة الحيوانات :

هي مغناه شعرية للأطفال ، وهذه المغناه تدور على سلوك الناس (على لسان الحيوانات) فيما يتعلق بالطوفان في أيام نوح ، هذه المغناه مُثّلت في بيروت وفي العراق وذكرها بروكلمان في كتابه " تاريخ الأدب العربي " (١٩٣١)^(٣)

٧ - شعراء البلاط الأموي :-

تحتوي هذه الدراسة القصيرة : تحدر العصبية (القبلية) من الجاهلية إلى الإسلام ، ثم ثلاثة فصول في الأخطل والفرزدق وجريير ، ثم فصل وافي عن النقائص (والطبعة الأولى منه كانت عام ١٩٤٣)^(٤)

(١) المصدر السابق ص ١٨٤

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩

(٣) المصدر السابق ص ١٨٤

(٤) المصدر السابق ص ١٢٨

٨ - عبقرية اللغة العربية :

مجموعة بحوث وُضِعَتْ في الأصل لمجمع اللغة العربية أو لتكون أساساً لدراسات
واسعة : الثقافة اللغوية والعقلية اللغوية ، من مدارك القاموس (ألفاظ النكاح
الألفاظ الفلكية) ، الجيم البدوية وتقلبها في اللغة العربية ، وكلمة عـسـرب :
تحدوها في اللغات الأعرابية ثم استقرارها القومي ، الغزل في الشعر العربيـ
(نحو ثمانين صفحة) وفي التطور التاريخي لألفاظه ، لام التعريف في القاموس
الأسباني ، والترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى لغة الخ (١)

٩ - فجر وشفق :

وهو ديوان شعر للدكتور عمر فروخ وأبواب الديوان : من ثنايا التاريخ ، أحاديث
النفس ، وأبيات متفرقة ، ومن حدائق الشرق والغرب، وأوهام من مطارح الخيال
وأخيراً مداعبات .

ولم يكتفِ الدكتور عمر فروخ بنظم الشعر مع أن هذا النشاط كان جانبياً وإنما
ترجم الكثير من الشعر من اللغات الأخرى كالانجليزية والألمانية والفارسية إلى
اللغة العربية في هذا الديوان وقد كانت طبعته الأولى عام (١٩٨١ م) . (٢)

١٠ - القومية الفصحى :-

الفكرة الأساسية في هذا الكتاب أن الأمة تظل موحدة مادامت لغتها واحدة
ثم تتوزع إذا كتبت باللهجات المختلفة ، وقد قدمت أمثلة موضحة من تاريخ البلاد
الشمالية في أوروبا (الدانمارك ، أسوج وزوج وايسلنده) مع دراسة موجزة للغاتها
وقد كانت طبعته الأولى عام ١٩٦١ م . (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٢٥

(٢) عرفت بالديوان من خلال اطلاعي عليه

(٣) صراع التيارات المتشددة ود . عمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٢٦

١١- معالم الأدب العربي في العصر الحديث :

كان هذا الكتاب من مشاريع الدكتور عمر فروخ المستقبلية كما هو مذكور في كتاب صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور علي زيعور ص ١٩٨ على لسان الدكتور عمر فروخ ، " لقد وضعت أيضاً مشروع سلسلة في الأدب العربي الحديث ، وقد أنهيت جزأين منها: يتعلقان بالقرن الهجري العاشر والقرن الهجري الحادي عشر (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) وسأقدمهما للطبع إن شاء الله مع بدء موسم الطباعة الخريف المقبل " (١)

أما الدكتور عدنان الخطيب فيقول عن هذا الكتاب : " عزم الفقيه بعد إلحاح نفر من أصدقائه العلماء وتشجيع الناشر على تهيئة سلسلة جديدة تحمل عنوان : " معالم الأدب العربي في العصر الحديث ، وقد رسم الخطة لها لتكون أجزائها كما يلي :-

الجزء الأول : ويبحث في أدب " القرن العاشر للهجرة "

الجزء الثاني : ويبحث في أدب " القرن الحادي عشر للهجرة "

الجزء الثالث : ويبحث في أدب " القرن الثاني عشر للهجرة "

الجزء الرابع : ويبحث في أدب " القرن الثالث عشر للهجرة أي الأدب العربي في القرن التاسع عشر للميلاد .

الجزء الخامس : ويبحث في أدب " القرن الرابع عشر للهجرة أي الأدب العربي في القرن العشرين للميلاد ١٨٨٤ - ١٩٨٠ " (٢)

وباعتبار أن بحثي يتعلق بدراسات الدكتور عمر فروخ الأدبية والنقدية فإنني قد بحثت ونقيت إلى أن عرفت بأن الجزأين اللذين ذكرهما الدكتور علي زيعور قد ظهرا فعلاً واقتنيتهما فهما كما ذكر الدكتور عمر فروخ يتعلقان بالقرن العاشر والحادي عشر الهجريين

(١) المصدر السابق ص ١٩٨

(٢) الدكتور عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام (مصدر سابق) ص ٣٧

أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب فقد وافاه الأجل - رحمه الله - قبل أن يهيأها للطباعة والنشر ، وعن منهجه فهو نفس منهجه في سلسلة تاريخ الأدب العربي من حيث الإطار العام والخطبة المتبعة فيمكن أن نقول بأن الدكتور عمر فروخ ألف موسوعته في تاريخ الأدب العربي مكونة من ثمانية أجزاء وتاريخ صدر هذين الجزأين هو ١٩٨٥م - ١٩٨٦م .

* * * * *

ج - الشخصيات

لقد أفرد الدكتور عمر فروخ كثيراً من الشخصيات بالدراسة المستقلة وقد تنوعت هذه الشخصيات فمنها الأدبية ، والفلسفية ، والاجتماعية ، والاسلامية ..

١ - ابن باجة والفلسفة المغربية :

يعد ابن باجة الفيلسوف العقلي الأول في العصور الوسطى في الشرق وفي الغرب وقد أقام تفكيره الفلسفي على الرياضيات ، وعنده البحث الواضح في المقســـــــــــــــــدار " المحدود الذي ليس متناهياً " وفي هذه الدراسة مقدمة في انتقال الفلسفة من الشرق إلى الغرب ، والكتاب من أوائل من تعرض لابن باجة . (١)

٢ - ابن تيمية :

يقول عمر فروخ : " وضعت كتاباً يتناول حياة الفقيه المصلح أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) فلما قارب الانتهاء . صدر عن المملكة العربية السعودية " مجموعة فتاوى ابن تيمية " (في سبعة وثلاثين جزءاً) تضم في الحقيقة جميع كتب ابن تيمية ورسائله وفتاويه ، عكفت على هذه المجموعة فقرأتها كلها ثم جمعت ما فيها من المواد على أوراق كبار ثم نسخت رؤوس الموضوعات على بطاقات . وأنا الآن في سبيل جمع آراء ابن تيمية في سياق منطقي كيــــــــــــلا يفوتني شيء من آرائه العلمية . (٢)

ولأدري هل صدر هذا الكتاب قبل وفاة الدكتور عمر فروخ - رحمه الله - أم لا . ولم أبحث كثيراً حول هذا الموضوع لأن الكتاب لا يمس دراستي ولا يمت لها بصلــــــــة مباشرة .

(١) صراع التيارات المتشددة ود . عمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٢٤

(٢) المصدر السابق ص ١٩٦

٣ - ابن حزم الكبير :

هذه دراسة وافية في أدب ابن حزم ، وفي آرائه الفلسفية ، وآرائه العلمية
ثم في آرائه الفقهية أيضاً ، إن ابن حزم هذا قد سبق في " نظرية المعرفة "
جميع الفلاسفة إذ يرى الدكتور عمر فروخ أن نظرية الفيلسوف " كانط " الألمانية
(ت ١٨٠٤ م) ليست إلا صدى لنظرية ابن حزم . وكانت طبعته الأولى عام ١٩٨٠ . (١)

٤ - ابن الرومي :

الوصف الحسي أبرز خصائص ابن الرومي ، ويلحق بالوصف الحسي التحليل النفسي
(وصف الأخلاق والأعمال) وابن الرومي من أقرب الشعراء إلى معالجة الموضوعات
مستقلاً بعضها عن بعض ، ففي ديوانه قصائد يعالج بعضها موضوعاً واحداً ، ثم
عدد من تلك القصائد الطوال تغالج أكثر من موضوع واحد ولكنها تستوفى معالجة
كل موضوع قبل أن تنتقل إلى غيره . (٢)

٥ - ابن سينا :

يقول : بين يدي كتاب أدرس فيه ابن سينا العالم (في الرياضيات والفلك
والفيزياء والكيمياء - وربما تطرقت إلى الطب) (٣)

٦ - ابن طفيل وقصة حي بن يقظان :

لهذا الكتاب طبعتان : الطبعة الأولى تكاد تكون قاصرة على الجانب الفلسفي
من آراء ابن طفيل بما فيها من الجانب النظري والجانب العلمي من النشأة الطبيعية
للإنسان ، أما الطبعة الثانية ففيها فصل واسع عن الفكرة الفلكية ، وهنا يبيِّن

(١) المصدر السابق ص ١٧٤

(٢) المصدر السابق ص ١٧٩

(٣) المصدر السابق ص ١٩٧

المؤلف مهتماً ليس فقط بإظهار تأثير ابن طفيل في الغرب بل أيضاً بالعلم الفلكي
السابق في ثقافة حي وطرائقه في الملاحظة والملاحظة والابتكار ، (وطبعته الأولى
كانت عام ١٩٤٦ ، والثانية ١٩٥٩ م)^(١)

٧ - أبو تمام :

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٥ في طبعة موجزة في ١٠٠ صفحة ، ثم أعيد طبعه
مرتين موسعاً في ٢٠٠ صفحة ، فيه ترجمة وافية جداً للشاعر ، وفيه نظرة فاحصة
في خصائصه وفنونه ومختارات كثيرة ثم فيه دراسة وافية في صناعة أي تمام (وجوه
البلاغة في شعره) بالإضافة إلى فصل في أنصائه وخصومه (فيما يتعلق بإغراقه في
الصناعة البلاغية) (٢)

٨ - أبو فراس :

أبو فراس شاعر وجداني ، إنه في ذلك عند المؤلف فوق المتنبي ، وقد أشتهر
أبو فراس بقصائده الروميات أو الأسريات (التي قالها أثناء أسره في بلاد الروم)
ومن الغريب أن شعر أبي فراس لم يتأثر بمقامه في بلاد الروم ، ولكن يبدو (أن
شعره بحسب قول الدكتور عمر فروخ قد ترك أثراً في الأدب الرومي (ط١، ١٩٥٤) (٣)

٩ - أبو نواس :

صدر في الأصل في جزأين : ترجمة ، وخصائص ، وفنون ، ثم مختارات بعدئذ
جمع الجزءان في كتاب واحد (تبدأ هذه الدراسة بفصل هو اثنان وعشرون صفحة)

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٢٠

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩

(٣) المصدر السابق . ص ١٢٩

في تطور الخمر منذ الجاهلية إلى أيام أبي نواس ، ثم إلى ترجمة أبي نواس خصائصه —
ومجالس الخمر ، فنونه ، ونماذج الشعر هنا موزعة في الفصول ، وليس مجموعة
في مكان واحد (ط . ، ١٩٣٢) (١)

١٠- أخوان الصفا :

الغاية الأساسية من هذه الدراسة القصيرة والواسعة هي بسط آراء أخوان الصفا
بسطاً وافياً ، ويسبق هذا البسط فصل في نشأة جماعة اخوان الصفا ، واتجاههم
وخصائصهم يعتبر هذا الكتاب رائداً ، وهو مدخل واضح واسع .

(ط ١ ١٩٤٥ ، ط ٢ ١٩٥٣ ، ط ٣ ١٩٨١ م) (٢)

١١- أربعة أدباء معاصرون :

الناس يختلفون في مكانة الأدباء المعاصرين لهم ، لأن التاريخ لا يقول كلمته في
مكانة الأديب (أو العالم أو السياسي) إلا بعد مدة ، والأدباء الأربعة
المقصودون بهذه الدراسة هم : ابراهيم اليازجي ، وولي الدين يكن ، ومصطفى
لطفى المنفلوطي ، وسليمان البستاني ، ولكن هنالك في هذا الكتاب استعراضاً
موجزاً للأدب الحديث ، وللمظاهر الأدب الحديث ، بالإضافة إلى عدد آخر
من تراجم أدباء آخرين ، وفي هذه الدراسة موجز لترجمة جبران خليل جبران
ومقاله " لكم لبنانكم ولي لبناني " (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٧٨

(٢) المصدر السابق ص ١٧٢

(٣) المصدر السابق ص ١٨٠

١٢- بشار بن برد :

فيها الشعر المحدث (المولد) أو انتقال الشعر من الخصائص القديمة إلى الخصائص الجديدة ، ثم ترجمة وافية لبشار ، خصائصه وأغراضه ، ثم هناك نماذج مشكولة ومشروحة " (ط ١ ١٩٤٤ م) (١)

١٣- الحجاج بن يوسف الثقفي :

ترجمة الحجاج وشخصيته الادارية والسياسة والحربية ثم عدد من خطبه دارسة قصيرة (ط ١ ، ١٩٤١) (٢)

١٤- حكيم المعرة :

تتناول هذه الدراسة الوافية أبا العلاء المعري من جانبه الفكري (الفلسفي) لامن الجانب الادبي إلا قليلاً ، إن هذه الدراسة مبنية على " اللزوميات " للمعري وقلما أشير فيها إلى ديوانه سقط الزند ، وفي هذه الدراسة أيضاً فصل يتناول أثر فكر المعري في الشرق وفي الغرب ، وفي هذا الكتاب محاولة ناجحة في ترتيب " لزوميات المعري " ترتيباً تاريخياً إذ هي عند المعري مرتبة على القوافي وكان لهذا الترتيب التاريخي فائدة جلييلة حلت مشكلة في دراسة أبي العلاء المعري ، وهنا ينفي المؤلف أن يكون بعض آراء المعري مناقضاً لبعضها الآخر ولكن هذه الآراء خضعت في حياة المعري لتطور وقد دل الترتيب التاريخي للزوميات المعري على ذلك دلالة واضحة ، نُقل هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية ، وهو رائد في بابيه ، ط ١ ١٩٤٤ ، ط ٢ ١٩٤٨ ، ط جديدة ١٩٧٨ م (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٧٨

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧

(٣) المصدر السابق ص ١٧٣

١٥ - خمسة شعراء جاهليون :

تبدأ هذه الدراسة بفصل في تاريخ الجاهلية وخصائصها ، ثم يلي ذلك خمسة فصول تتناول بالبحث : أمراً القيس ، وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ، هنا ترجمة كل شاعر منهم وخصائصه ، ومختارات من معلقته مشكولة ومشروحة (ط ١ ، ١٩٤٤ م) (١)

١٦ - الشابي شاعر الحب والحياة :

يُعد الكتاب أو في ما كتب في الشاعر التونسي في تونس وفي خارج تونس أهدى هذا الكتاب بديوان الشابي ، وبالأحوال المحيطة بالشابي ، وذلك من غير أن يُلقَى بالاً إلى الأحوال المحلية (٢) (ط ١ ، ١٩٦٠ ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م)

١٧ - شاعران معاصران : أبو القاسم الشابي وإبراهيم طوقان :

يتناول هذا الكتاب شاعرين معاصرين لنا ، كانا من أحياء النصف الأول من القرن العشرين ، ووجه القران بينهما في كتاب واحد كثرة أوجه الشبه في حياتهما الخارجية وفي معظم شعرهما (٣) ويشتمل الكتاب على ترجمة لكلا الشاعرين ثم ذكر خصائصهما مع نماذج شعرية لهما . (ط ١ ، ١٩٥٤ م) (٤)

١٨ - صفحات من حياة الكندي وفلسفته :

هو محاولة لحصر تأليف الكندي وترتيبها (ط ١ ، ١٩٦٢ م) (٥)

(١) المصدر السابق ص ١٧٧

(٢) هذا رأى شخصي للدكتور على زيعور (كتابه السابق) ص ١٨٠ وسيتم تنفيذ هذه القضية في الباب الثالث من هذا البحث .

(٣) شاعران معاصران ، إبراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي للدكتور عمر فروخ ص ٤

(٤ ، ٥) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور (مصدر سابق) ص ١٧٢

١٩- عبدالله بن المقفع وكتاب كلیلة ودمنه :

إن عقدة هذه الدراسة القصيرة، هي الفصل في نسبة كتاب كلیلة ودمنه إلى عبدالله بن المقفع ، يبدو أن معظم القصص مأخوذة عن الهند ، ومن غيرها أيضا ، أما بناء الكتاب فهو لابن المقفع ، وفي الكتاب الذى بأيدي الناس الآن فصول كثيرة وعدد من المقدمات ، إن مقدمة واحدة وبضعة فصول قليلة تتصل بالهند أو بفارس ومع ذلك فقد طعمها ابن المقفع بآراء اسلاميه ، أما معظم الفصول فإضافات جديدة وعلى هذا لا يصح أن نقول بنظر الدكتور عمر : إن كتاب " كلیلة ودمنه " منقول عن أصل هندي .

(ط ١ ، ١٩٤٢) (١)

٢٠- عمر بن أبی ربيعة :

تبدأ هذه الدراسة القصيرة باستعراض خصائص الغزل في صدر الاسلام ثم تأتي ترجمة مفصلة لعمر ، بعدئذ يأتي فصل في خصائص عمر ، بالإضافة إلى حقائق يسيرة تتعلق بالنساء اللواتي جاء ذكرهن في شعره ، وبعدئذ تأتي نماذج وافية من شعره . (ط ١ ، ١٩٤١ م) (٢)

٢١- الفاربيان :

دراسة قصيرة ، لكن كانت طيلة فترة طويلة جزیلة النفع ، ما تزال رائدة جيدة والفاربيان هما : الفاربی وابن سینا ، فابن سینا نفسه يذكر أنه فهم فلسفة ما بعد الطبيعة بعد أن قرأ كتاباً في هذا الموضوع للفارابی ، وهذا الكتاب موجز ترجمة هذين الفيلسوفين ، وموجز شامل لفلسفتيهما . (ط ١ ، ١٩٤٤ ، ط ٢ ، ١٩٥٠ م) (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٧٧

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢

٢٢- كلمة في أحمد شوقي :

يقول الدكتور عمر فروخ " هنا أساس جديد لدراسة شعر شوقي بحسب " الصور " التي ينطوى عليها شعر شوقي (لا بحسب التقسيم المألوف للشعر القديم : مدحاً فخرأ ، غزلاً ، ... الخ) أن كل قصيدة من قصائد شوقي تعالج وجهاً من وجوه الحياة الاجتماعية في ماضي العرب أو حاضريهم ، بقطع النظر عن عنوان القصيدة وعن المناسبة التي قيلت فيها القصيدة :

(بيروت ط ١٣٦١ - ١٩٤٢ م ، ط ٢ ، ١٣٧٠ = ١٩٥٠ م) صفحاته ٦٤ (١)

٢٣- كلمة في مقدمة ابن خلدون :

في هذه الدراسة القصيرة ترجمة لابن خلدون مفصله الوقائع ، موجزة الألفاظ تم فيها عرض لآراء ابن خلدون ، ومختارات تمثل تلك الآراء ، هذا إلى جانب نظرة في تأليف المقدمة ، والمؤلف شديد الإعجاب والاعتزاز بصاحب المقدمة ،

(ط ١ ، ١٩٤٣) (٢)

* * * * *

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ص ٢٤ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ٧٤ .

د - الدراسات الاسلامية

ألف الدكتور عمر فروخ - رحمه الله - في الميادين الاسلامية من رد على المستشرقين وايضاح لتعاليم وسماحة الاسلام ، ومارسالته العلمية التي تقدم لها لنيل شهادة الدكتوراه ، إلا في هذا المجال .

١ - الأسرة في الشرع الاسلامي :

يعالج هذا الكتاب الأسرة كما نظر إليها الاسلام ، منذ الخطبة والزواج إلى تقسيم الإرث ، الأسلوب موجز واضح يصلح لأن يكون أساساً للقضاء أو للحكم على سلوك المسلمين بما جاء به الاسلام ، ولم يقصر الاهتمام في ذلك الكتاب على مذهب واحد فقد تناول من جميع المذاهب الاسلامية ، ذلك لأن المذاهب أبواب اجتهاد ، وليست فرقاً دينية ، ولا هي أديان .

(١)

(ط ١ ، ١٩٥١ ، ط ٢ ١٩٧٤ م)

٢ - الاسلام والتاريخ :

الغاية ، يقول المؤلف : تبيان موقف الاسلام في القرآن الكريم من قضايا معينة : الله والانسان وال عمران (أو الاجتماع) والتاريخ ، وفي بعض الأحيان فهو يستطرد استطراداً خفيفاً إلى آراء الأئمة والمفكرين . وإن الذي يتبدى في هذا الكتاب أن في القرآن الكريم مدارك من الفكر والعلم والاجتماع ومنطق التاريخ في أسمی درجات الصحة ، وهي التي تجعل من القرآن الكريم دستوراً للحياة

(٢)

الانسانية كلها (ط ١ ١٩٨٣ م)

(١) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ - ١٨٦

٣ - التبشير والاستعمار :

وُضِعَ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخالدي ، يقول عنه المؤلف : إن هذا الكتاب بقي بين أيدينا في التصنيف عشر سنوات (١٩٤٤ - ١٩٥٤) وقد جمعناه من أقوال المبشرين (في كتبهم باللغات الأجنبية) وكل حملة فيه منسوبة إلى المصدر الذي أخذت منه ، إن المبشرين لم يكن لهم اهتمام بالدين نفسه ، لقد كانوا أداة في أيدي دولهم التي كانت تريد السيطرة السياسية توصلًا إلى الاستغلال الاقتصادي . هذا الكتاب يكشف عن معظم الحيل التي كان المبشرون يقومون بها في سبيل غايات دولهم (ط ١ ، ١٩٥٣م)^(١)

٤ - تجديد في المسلمين لا في الاسلام

محوره : إن تأخر المسلمين اليوم راجع إلى أن جماعات فيهم قد تركوا العمل بما يوجبه القرآن الكريم عليهم ثم اتخذوا آراء حزبية مستوردة ، إن الاسلام قائم على التوحيد والعلم والصدق والتفكير ، فإذا نحن أحببنا أن ينهض المسلمون فيجب عليهم أن يأخذوا بالعلم الذي يدلهم على طريق النجاح والرقى كما كان هذا العلم منهجاً لاسلامهم (ط ١ ، ١٩٨١م)^(٢)

٥ - التصوف في الاسلام :

دراسة قصيرة ، لكن وافية واسعة حملت اسم " التصوف في الاسلام " لا " التصوف الاسلامي " وذلك لأن التصوف أصلاً ليس هو - عند المؤلف - من الاسلام . وبالإضافة إلى الفصول في أصل التصوف ومصادره وعناصره وخصائصه نجد في هذه الدراسة فصولاً عن الأدب الصوفي في اللغة العربية واللغة

(١) المصدر السابق ص ١٩٢

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦

التركية واللغة الفارسية ثم هناك فصلان وافيان في عمر بن الفارض ومحي الدين بن عربي ، وآثارهما ، كما يقول علي زيعور : الكتاب صاحب نظرة متشدة ، وفصوله ثمينة ، جريدة النفع رائدة " (١)

٦ - صورة الاسلام الباكر في الشعر العربي (١-٢٣ هـ = ٦٢٢-٦٤٤ م) :-

هذا الكتاب هو الرسالة التي تقدم بها لنيل المشيخة (الدكتوراه) والمحور هو أن جماعة من المستشرقين كانوا يعتقدون أن الإسلام لم يدخل في حياة المسلمين إلا في العصر العباسي ، وذلك قياساً على النصرانية التي لم تنتشر بين النصارى إلا في القرن الرابع للميلاد ، تقيم هذه الرسالة الدليل من الشعر العربي على أن جميع فرائض الاسلام (في العقائد والعبادات خاصة) كانت تجد صداها في الشعر العربي منذ السنة الأولى للهجرة ، وهذا الصدى نتيجة قيام المسلمين بالفرائض على وجهها المطلوب . (١٩٣٧ م) (٢)

٧ - الطفل المسلم :

دعت الضرورة إلى وضع هذا الكتاب ، وهو في خمسة أجزاء ، على المذهب المالكي لكن إذا نحن استثنينا عدداً يسيراً من الأمور ، وجدنا أن هذا الكتاب "الطفل المسلم" كتاب يصلح لجميع أطفال المسلمين (ط ١ ، ١٩٦٥ م) (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٧٣

(٢) المصدر السابق ص ١٨٥

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨

* الأصل في الكتاب أنه مقرر دراسي في بلد المؤلف .

هـ - التأليف المدرسى

للدكتور عمر فروخ بعض المؤلفات المدرسية في التاريخ والأدب والجغرافيا ، والدين
للمرحلة الابتدائية ، ومرحلة البكالوريا ، إلى جانب مؤلفاته لهذا المستوى
في الفلسفة والتاريخ مما هو مذكور في بداية هذا الفصل .

١ - الإسلام دينى :

" وهو في خمسة أجزاء للمرحلة الابتدائية ، وقد شارك في وضع هذا الكتاب أحمد
العجوز ، ومدحت البنا ، أقاموا هذا الكتاب على ما جاء في القرآن الكريم
وفي الحديث الصحيح مما يحتاج إليه كل مسلم في حياته الفردية والاجتماعية
وأوردوا كثيراً من الآيات والأحاديث التي يجب على المسلم العادى أن يعرفها
لصحة عبادته ولحسن المعاملة لآخوانه " (١)

٢ - أنا مسلم :

وهو تمهيد لكتاب " الإسلام دينى " (٢)

٣ - تاريخ سوريه ولبنان المصور :

وهو في أربعة أجزاء ، الأجزاء الثلاثة الأولى
للمرحلة الابتدائية ، والجزء الرابع للمرحلة التكميلية ، الأجزاء كلها تقوم
على معالم التاريخ في أسلوب واضح ، وفيه اطار من التاريخ العام " (ط ١/ ١٩٣٥) (٣)

(١) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢) المصدر السابق ص ١٨٨

(٣) المصدر السابق ص ١٩٠

٤ - تاريخنا المصور :

" سلسلة للمرحلة الابتدائية (خمسة أجزاء) فيها التثقيف لعقول الناشئة بحسب أعمارهم وفيها أيضا الأسلوب الواضح " وقد وضع جزء تمهيدى لهذه السلسلة .^(١)

٥ - الجغرافية المصورة الجديدة :

وهو في أربعة أجزاء للمرحلة الابتدائية .^(٢)

٦ - القراءة المصورة :

كتاب قراءة للمرحلة الابتدائية واشترك في تأليفه مع الدكتور عمر فروخ واصف البارودي ، وعبدالله المشنوق ، وطاهر اللاذقي ، وفؤاد قاسم ، والكتاب موزعه قطعه على الأجزاء بحسب مستوى الصفوف التي قررت له تلك الأجزاء ، لغتها صحيحة وموضوعاتها مأخوذة من حياتنا الثقافية والاجتماعية ، وللعرب وللإسلام وللعلم جانب كبير فيها ، دُرست في أيامها (منذ ١٩٣٤م) في البلاد العربية من المغرب إلى الخليج (ط ١ ١٩٣٢م)^(٣)

"وقد صدر تمهيد للقراءة المصورة بناء على طلب الدكتور هشام نشابة (مدير التعليم سابقاً ثم عميداً التعليم في جمعية المقاصد الإسلامية) ط ١ ١٩٦٨"^(٤)

(١) المصدر السابق ص ١٩١

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣

(٣) المصدر السابق ص ١٨١

(٤) المصدر السابق ص ١٨١

٧ - لسانى الفصيح :

(١) مدخل تمهيدى للصرف والنحو بالاشتراك مع مدحت البنا (ط ١ ١٩٤٧)

٨ - المنهاج في الأدب العربى :

هذا الكتاب مبني على نسق منهجى لتفهم الأدب للتلميذ الثانوى ولتثقيفه بالنصوص والكتاب كله مشكول شكلاً كاملاً ، ونصوصه مشروحة شرحاً وافياً (حيث تدعو الحاجة إلى ذلك) والكتاب ثلاثة أجزاء ، للمرحلة الثانوية (ط ١٩٦٨م) وقد طبع طبعة ثانية معدله بحسب المنهاج في البكالوريا اللبنانية وهو فى جزأين بعنوان : المنهاج الجديد فى الأدب العربى (ط ١ ١٩٧٤) (٢)

٩ - النحو الابتدائى :

هذا الكتاب ، وهو فى ثلاثة أجزاء وُضِعَ لتعليم النحو فى المرحلة الابتدائية وأمثله جمل لتفهم القواعد ، وفيه نماذج النصوص الأدبية لتنمية الحس اللغوى وتثقيف الذوق الأدبى ، وُضِعَ بالاشتراك مع منير البعلبكي ونبيه حجاب. (ط ١ ، ١٩٤٥) (٣)

١٠ - النحو الثانوى :

وقد صدر منه جزآن - للمرحلة الثانوية - بالاشتراك مع منير البعلبكي (٤).

(١) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦ - ١٢٧

(٣) المصدر السابق ص ١٨١ - ١٨٢

(٤) المصدر السابق ص ١٨٢

و - الكتب المترجمة

ينقل الدكتور عمر فروخ بعض المؤلفات بلغات أخرى إلى العربية أو منها إلى لغة أخرى . ومن كتبه المترجمة :-

١ - الإسلام على مفترق الطرق :

" تأليف محمد أسد (ليوبولد فايس) فيه مناقشة الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين ثم عرض للوسائل التي يستطيع المسلمون أن يستعيدوا بها مكانتهم ، من هذه الوسائل الرجوع إلى ما كان قد أدى إلى رقي أسلافهم ، وفي الكتاب أيضاً كلام على ما يجوز للمسلمين أن يأخذوه من الغرب وما لا يجوز لهم أن يأخذوه (بيروت ١٩٤٦ ، ط ٢ ١٩٧١ م) ، صفحته ١١٩ " (١)

٢ - الإسلام منهج للحياة :

تأليف الدكتور فيليب حتى ، يقول المؤلف : " في هذا الكتاب يُشرف القارئ على اختبار خصب حي للمسلم ، للمسلم المؤمن بدين والمواطن في دولة والمفكر المبتكر " (بيروت يصدر في خريف ١٩٧١) " (٢)

٣ - أصدقاء لاسادة :

السيرة السياسية لمحمد أيوب خان (رئيس جمهورية باكستان) بقلمه ، إن كثيراً مما ذكره رئيس جمهورية باكستان من المشاكل في باكستان يوجد مثله في كل بلد عربي وكل بلد إسلامي (مكتبة لبنان - بيروت ١٩٦٨ ، صفحته ٤٠٢) " (٣)

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ص ٣٣

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

(٣) المصدر السابق ص ٣٤

٤ - الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط :

" تأليف جورج سارطون أكبر المؤلفين في تاريخ الفكر الانساني ، يتناول هذا الكتاب كثيراً من وجوه فضل الاسلام والفكر الاسلامي على الثقافة الأوروبية ، وفي الكتاب فصل عنوانه : تأخر المسلمين وبوادر نهضة " (بيروت ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢ ، طبعة جديدة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م صفحاته ١٢٠) " (١)

٥ - السياسة الشرعية لابن تيمية :

" هذا الكتاب هو نقل (ترجمة) لكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية إلى اللغة الانكليزية (١٩٦٦) " (٢)

٦ - الطريق إلى النجوم :

" تأليف فان درريت وللي (رئيس المرصد الفلكي في غرينيتش) في هذا الكتاب محاولة ناجحة مفيدة لتيسير المبادئ الأساسية في علم الفلك من غير أن يخل ذلك بالجانب العلمي منه (بيروت ١٩٦٤ ، صفحاته ٢٤٠) " (٣)

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ص ٣٣

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . علي زيعور (مصدر سابق) ص ١٨٦

(٣) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً . ص ٣٤

ز - كتب أخرى

١ - باكستان دولة ستعيش :

" في عام ١٩٥٢ حضر المؤلف الدورة الثانية لمؤتمر العالم الاسلامي (في كراتشي)
وتلك كانت زيارته الأولى لباكستان ، وصف الكتاب ذلك المؤتمر وأنعم النظر
في عدد من جوانب الحياة في ذلك الوطن ، وحاول أن يستشف شيئاً من وراء
حجاب المستقبل " (١) وبها عرض موجز للجهود التي أدت إلى قيام هذه الدولة
الاسلامية الكبرى (بيروت ١٣٧٠ = ١٩٥١م صفحاته ١١٦) (٢)

٢ - دفاعاً عن العلم :

" كلمة في مناهج البكالوريا اللبنانية وامتحاناتها تدور على الجملة التالية : "ليست
الحكومة مسؤولة عن سيئات الماضي (في أيام الانتداب الفرنسي) ولكنها مسؤولة عن
استمرار هذه السيئات (بيروت ١٣٦٤ = ١٩٤٥م صفحاتها ٢٤٤) (٣) ويقول د/زيعور
عن هذه الدراسة " دراسة عامة موجزة لنظام التعليم في الجمهورية اللبنانية
يعلق المؤلف على هذا الكتاب فيقول : منذ ذلك الحين (١٩٤١) كتبت
أرى الأثر السيئ الذي كان يميل بالسياسة اللبنانية الرسمية إلى كره بعض
اللبنانيين بعضاً ، وما القتال الذي دار في لبنان (١٩٢٥ - ١٩٨٤) إلا إحدى
النتائج لذلك المنهاج المدرسي السيئ ، هنا نجد الكثير من ركائز نظرية فروخ
التربوية ط ١ ١٩٤٥ " (٤)

(١) . صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . زيعور ص ١٩٢ .

(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ص ٣٢ .

(٣) المصدر السابق . ص ٢٩

(٤) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . زيعور ص ١٩١ - ١٩٢

٣ - دفاعاً عن الوطن :

" الفوضى السياسية والادارية في الجمهورية اللبنانية مع الالامح إلى الاتجار بالطائفية خاصة (بيروت ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م صفحاته ٤٨) (١) أما الدكتور زيعور فيقول عن هذه الدراسة " تتناول الحياة العامة في لبنان من حيث السياسة خاصة، ينبه الكتاب إلى أن استمرار الوضع سيؤدي إلى ثورة فحذر وأوصى ودلّ ، لقد كان المؤلف منذ ثلاثين عاماً يرى ما يحدث اليوم في لبنان (ط ١ ١٩٤٦م) " (٢)

٤ - عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً :

هذا الكتيب عبارة عن فهرس لمؤلفات الدكتور عمر فروخ التي ألفها قبل اصدار هذا الكتيب من (١٩٣١ : ١٩٧١م) إلى جانب ترجمة مختصرة لحياته ثم فصل فسي التاليف وخصائصة (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧١ - صفحاته ٧٢) *

٥ - غبار السنين :

يقول الدكتور عمر فروخ عن هذا الكتاب : " هذه القطع من غبار السنين - خطوات في طريق الحياة تعرض أحداثا واقعية ولا تبدى آراء ، ولقد قصدت بها أن أقص جوانب من حياتي (أو على الأصح من الوقائع التي اتفقت لي في الحياة) في إطار من الثقافة ومن الاجتماع " (٣) كما يقول عنه أيضا : " هذه قطع نشرت في جريدة السفير (بيروت) بعنوان عام هو : عمر فروخ ينفخ غبار السنين ، بدأ نشرها في ٤/٨/١٩٨٠م واستمر إلى أواسط آذار - مارس - من عام ١٩٨٢ " (٤)

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاما ص ٣٠ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . علي زيعور ص ١٩٢ .

(٣) غبار السنين (مصدر سابق) ص ١٣

(٤) المصدر السابق . ص ١١ * عرفت بالكتيب من خلال اطلاعي عليه

فكتاب غبار السنين عبارة مقالات قصيرة تحكى جوانباً من حياة الدكتور عمر فروخ بأسلوب أدبي مشوق إلى جانب مالها من فوائد أخلاقيه لمن يقرأوها ويتعمق معانيها *.

٦ - لغة القرآن :

" كتاب لتعليم اللغة العربية للأجانب بواسطة اللغة الانجليزية ، هذا الكتاب يقصد إلى تعليم القراءة من خلال الألفاظ والنصوص القرآنية ليستطيع غير العربى قراءة القرآن " (١)

٧ - لغة القرآن : L'arabe Coranique

" القرآن بواسطة اللغة الفرنسية " وهناك كتاب لغة القرآن : Elarabe Coranique بواسطة اللغة الأسبانية جاهز ، ولكن لم ينشر * (٢)

٨ - نحو التعاون العربى :

" وهو درس في امكانيات البلاد العربية والنواحي التى يجدي فيها التعاون بينها وتقدير لاتجاه التاريخ في الوطن العربى الكبير نحو اشتباك الحوادث وتداخل المصالح ووحدة الشعور ، وفي هذا الكتاب كلام كثير على أهمية مكانة مصر في مستقبل العالم العربى (بيروت ١٩٤٦م صفحاته ٦٨) " (٣)

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . على زيعور ص ١٨٢

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

* وربما يكون هذا الكتاب قد نُشر نظراً لأن كتاب د . زيعور نشر عام ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م

(٣) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ٣٠

* * عرفت بالكتاب من خلال اطلاعي عليه .

بحوثه :

للدكتور عمر فروخ بحوث وندوات كثيرة ألقاها في المحافل الأدبية والعلمية وأثرى بها مجامع اللغة العربية فنشاطه في مجمع اللغة العربية في القاهرة كان ملموساً فهو يشارك في أعمال المجمع ولا يتخلف عن حضور مؤتمراته إلا لعذر قاهر ، ويذكر ذلك الدكتور محمد مهدي علام في كتابة المجمعين في خمسين عاماً " يشارك الدكتور عمر فروخ في أعمال المجمع وخاصة في مؤتمره الذي لا يتخلف عنه إلا لعذر قاهر . وله في كل مؤتمر يحضره بحث أو كلمة وبحوثه وكلماته هي :-

- ١ - كلمة " عرب " تحدثها وتطورها واستقرارها على معناها القومي (د ٢٨ جلسته - ٨ للمؤتمر - البحوث والمحاضرات ص ٢٦٣)
- ٢ - المدارك القديمة في اللغة . (د ٣٢٠ جلسته ٥ للمؤتمر - البحوث والمحاضرات ص ٩٧)
- ٣ - الجيم السامية وتقلبها في الألفاظ العربية (د ٣٥ جلسته ٣ للمؤتمر - البحوث والمحاضرات ص ٣٩)
- ٤ - مدارك القاموس (مؤتمر ٣٧ القسم الثاني - البحوث والمحاضرات ص ٢٠)
- ٥ - لام التعريف العربية في القاموس الأسباني (مؤتمر د ٣٩ - البحوث والمحاضرات ص ٦٣)
- ٦ - في اللغة العربية المعاصرة فساد الطرق في تعليمها (مؤتمر د ٤٣ - البحوث والمحاضرات ص ٣٤)
- ٧ - فجر الإعلام في اللغة العربية (مجلة المجمع ج ٢٩/٤٣)

- ٨ - كلمة في افتتاح مؤتمر د ٤٧ (مجلة المجمع ج ١٨٤٧)
 - ٩ - لغة العلم (جلسته ٢ للمؤتمر د ٤٧ - مجلة المجمع ج ٢٥/٤٧)
 - ١٠ - التراث اللغوي وكلمة حتى عندنا وعند غيرنا (مؤتمر د ٤٩ - مجلة المجمع ج ١٢٥/٤٩)
 - ١١ - الأسماء المعبده والأسماء المجددة (مؤتمر د ٤٩ - مجلة المجمع ج ٢٥/٤٩)
 - ١٢ - كلمة في تأبين المرحوم الأستاذ أنيس المقدسي (مجلة المجمع ج ١٨٠/٤٠) (١)
- هذا بالنسبة لنشاطة المجمع في مجمع اللغة العربية في القاهرة .
- أما مجمع اللغة العربية بدمشق فله فيه أيضا نشاطات واضحة وبحوث قيمة
- أهمها :-

- ١ - نظرية المعرفة عند ابن حزم (المجلد ٢٣ صفحة ٢٠١ سنة ١٩٤٨ م)
- ٢ - درعيات المعري طور مهيد للزومياته (المجلد ٢٣ صفحة ٥٤٣ سنة ١٩٤٨)
- ٣ - التعريف بكتاب قيم (كتاب مقدمة لتاريخ العلم تأليف جروج سارطون) (المجلد ٢٦ صفحة ١٠١ سنة ١٩٥١ م)
- ٤ - أحمد شوقي أمير الشعراء (المجلد ٢٦ صفحة ٣٠٠ سنة ١٩٥١)
- ٥ - دور النضج في تاريخ الفلسفة الإسلامية (المجلد ٢٦ صفحة ٥١٢ سنة ١٩٥١)
- ٦ - دراسات عن مقدمة ابن خلدون (المجلد ٢٩ صفحة ٢٠٣ و ٦٧ سنة ١٩٥٤)
- ٧ - تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون (المجلد ٤٢ صفحة ٣٤٤ سنة ١٩٦٩ م)
- ٨ - العلم القديم بين الشرق والغرب (المجلد ٤٨ صفحة ٨٢٧ سنة ١٩٧٣ م)
- ٩ - مشروع العربية الأساسية (المجلد ٤٨ صفحة ٩٠٩ سنة ١٩٧٣ م)
- ١٠ - مصادر الدراسة الأدبية (المجلد ٤٨ صفحة ٩٠٩ سنة ١٩٧٣ م)
- ١١ - ابن رشد العالم بالبصريات والفلك خاصة (المجلد ٥٣ تفي صفحة ٣١٣ و ٥٠٢ سنة ١٩٨٧ م)

(١) المجمعون في خصمين عاماً ، للدكتور محمد مهدي علام ص ٢٢٢

١٢- الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى (المجلة ٥٤ صفحة ٦١١ سنة ١٩٧٩م)^(١)
أما مجمع اللغة العربية في الأردن فقد كان عضواً فيه وقد ذكر الدكتور عبد الكريم
خليفه رئيس المجمع في رسالة بعث بها إلي ردّاً على استفساري حول نشاط الدكتور
فروخ في المجمع بأنه لم يكن له أي نشاط ويبدو أن الدكتور عبد الكريم خليفه قد أحال
رسالتي إلى موظف إداري لم يتوخّ الدقة ، ولم يراجع مجلات المجمع أو الفهارس الخاصة
برصد عناوين البحوث والدراسات التي أقيمت فيه ، لأنه بقراءتي لكتاب : الدكتور عمر
فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام للدكتور عدنان الخطيب سبب
وجدته يذكر بحثين للدكتور عمر فروخ في مجمع اللغة العربية الأردني هما :-

(١) حرف الباء والغاء في اللغة (مؤتمر د ٥١ - الوقائع ص ٢٢٢ مجلة
المجمع الأردني ع ٢٩٢٨)

(٢) جانب العلم في ديوان امرئ القيس (مؤتمر د ٥٢ - الوقائع ص ١٦٦ ، ١٦٤)^(٢)

المجمع العلمي العراقي ببغداد :

فإنه لم يرد على رسائلتي التي بعثت بها استفساراً عن نشاط الدكتور عمر فروخ
فيه .

هذا وقد شارك الدكتور عمر فروخ في كثير من المؤتمرات ، ذكر ذلك د . محمد
حمد خضر في مقال له " شارك في مؤتمرات اسلامية وعربية في لبنان وسوريا والقاهرة

(١) الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستون عاماً دفاعاً عن الاسلام والعروبة للدكتور
عدنان الخطيب (مصدر سابق) ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

والسعودية والمغرب العربي وبغداد وباكستان وموريتانيا وأندونيسيا " (١) كما يذكر كاتب المقال " شارك د. عمر فروخ في المؤتمر العالمي الأول للتربية والتعليم في مكة المكرمة ، وفي ندوة الدعاة والأئمة في نواكشوط ، وفي المؤتمر الأول للاسلام الاسلامي في جاكارتا كما حضر حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية في الرياض وحاضر في نادي مكة الثقافي (*) الأدبي وساهم في جلسات رابطة العالم الاسلامي بمكة " (٢)

كما أنه - رحمه الله - اشترك في كثير من الندوات في مختلف البلاد العربية منها " الندوة التي كانت عن محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر ، يقول عن هذه الندوة الدكتور عمر فروخ تلبية لرغبة الدكتور علي زيعور في معرفة نشاطاته في ميدان الصحافة والندوات " كنا ثلاثة أمام ميكروفون التلفزيون في بيروت : أنا وأثنان من أساتذة الرياضيات .. بعد أن تحاورنا في مكانة الخوارزمي التاريخية وأثرها في تاريخ العلم كان لابد من شرح الطريقة التي بنى بها الخوارزمي " المعادلة التربيعية " (المعادلة من الدرجة الثانية) وهي أم المعادلات ، وكان من المنتظر أن يتولى ذلك على اللوح الأسود أحد الأستاذين اللذين معي ، فهاها الموقف فقلت أنا إلى اللوح الأسود والطبشورة في يدي وشرحت تلك المعادلة شرحاً وافياً بقدر الطاقة ، وكان الشرح كافياً ، لقد أدركت لماذا هابا هما الموقف ولماذا أقدمت أنا عليه ، لقد كان بالامكان أن يخطئ الواقف عند اللوح الأسود أمام الجمهور في برنامج يجري بثه على الهواء (مباشرة) فيلومه الناس ولا يعذرونه لأنه في الأصل أستاذ للرياضيات

(١) المجلة العربية / عدد ١٢٤ / جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ص ٢٢

(*) لقد حاولت الحصول على هذه المحاضرة من النادي لكنني لم أجدها فالمسؤولون في

النادي أخبروا بأن حصر المحاضرات والندوات لم يتم قبل عام ١٤٠٠ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

أما أنا فالمعروف عني أنني أستاذ للأدب والتاريخ والفلسفة فلماذا أنا أخطأت كنت عند المشاهدين معذوراً " (١)

" وكذلك فقد كتب للراديو ندوات للاذاعة في الخارج ، فشلاً كتب برنامجاً من ثلاثين ندوة عن عمر بن الخطاب باللغة الفرنسية ، وكتب عدداً من البرامج باللغة الانجليزية ، وكان البرنامج الواحد يتألف من ثلاثين ندوة أحياناً أو من ست وعشرين ندوة في الغالب من موضوعات ثقافية اسلامية " (٢) وقد أضطر إلى الاعتذار عن الاستمرار في كتابة هذه البرامج لضيق الوقت ولأن هذه البرامج كانت توضع لمناسبات معينة ، وهذا يقتضى تقديم الندوات في أوقات محدودة ، وفي كثير من الأحيان كانت أعماله في التدريس وفي التأليف تحول دون الوفاء بما يطلب منه في الوقت المطلوب ، وقد كان يتولى كتابة تلك الندوات فقط ، وكان يتولى تسجيلها للاذاعات أشخاص آخرون " (٣) .

هذا وقد ظل الدكتور عمر فروخ - رحمه الله - باذلاً وقته وجهده لخدمة العلم إلى أن وافاه الأجل ، يقول الدكتور محمد خضر : " افتقد الأدب العربي علماً من أعلامه الذين خدموه وذلك في منتصف الشهر قبل الماضي ، ذلكم هو د . عمر فروخ الذي وافاه الأجل المحتوم إثر نوبة قلبية وهو يكتب على الآلة الكاتبة مقالاً عن التراث الاسلامي " (٤)

فحتى وفاته رحمه الله كانت أثناء أداء عمل جليل وخدمة للاسلام والمسلمين وقد كان يعمل في صمت غير منتظر شكر أو جزاء إلى أن انتقل إلى رحمته الله .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ لعلى زيعور ط ١ دار الأندلس ص ١٩٤-١٩٥

(٢) المصدر السابق ص ١٩٥ .

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٤) المجلة العربية عدد ١٢٤ جمادى الاولى ١٤٠٨ هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثانى

دراساته لتاريخ الادب العربى

الفصل الاول

تاريخ الادب العربى ومنهجه فى هذه الدراسة

- ا - تقديم
- ب - منهج المؤلف فى هذه الدراسة
- ج - محتويات الكتاب
- د - التراجـم
- هـ - المصادر التى اعتمد عليها فى بحثه
- و - نظرة فى تقسيمه للعصر العباسى
وتقسيم غيره من المؤلفين
- ز - معالم الادب العربى فى العصر الحديث
- ح - التراجـم فى معالم الادب العربى فى
العصر الحديث

الفصل الأول

تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة

أ - تقديم :

ألف الدكتور عمر فروخ كتاب " تاريخ الأدب العربي " والذي عرض فيه للحياة الأدبية من العصر الجاهلي - أي ما قبل الاسلام بما يقرب من مائة وخمسين سنة إلى الفتح العثماني عام ٩٣٢هـ في ستة أجزاء أردفها بجزأين أكمل فيهما تاريخ الأدب العربي إلى العصر الحديث تحت عنوان " معالم الأدب العربي في العصر الحديث "

وقد درس الدكتور عمر فروخ الحياة الأدبية في عدة أزمنة وعصور بدأها كما ذكرت بالعصر الجاهلي ثم الاسلامي ثم الأموي فالعباسي الذي يمتد من عام ١٣٢هـ إلى الفتح العثماني سنة ٩٩٢هـ باعتبار أن الاسم الرمزي للخليفة العباسي لا زال موجودا إلى الفتح العثماني حيث يقول : " أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر (٩٢٣هـ - ١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق " (١)

وهذا سبب آخر يذكره الدكتور عمر فروخ في جعله العصر العباسي يمتد إلى الفتح العباسي " إن الخصائص العباسية في الأدب قد ظلت سائدة في النتاج الوجداني من الشعر والنثر إلى سقوط بغداد في يد التتر ثم إلى الفتح العثماني للبلاد العربية (٩٢٣هـ - ١٥١٧م) ثم إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) (٢) فالخصائص العباسية - في رأي الدكتور عمر فروخ - قد ظلت سائدة في النتاج الوجداني

(١) تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣

إلى الفتح العثماني فكانت سبباً في امتداد هذا العصر لأكثر من ثمانية قرون وفي رأيي، إن السبب هذا بجانب للصواب تماماً إذ أن الخصائص الأدبية للشعر والنثر العربي في أي عصر من العصور متشابهة مع ما بعدها أو ما قبلها ، وهذا أمر طبيعي فالأدب سواء كان شعراً أو نثراً في بداية العصر العباسي كان متأثراً جداً بالأدب في العصر الأموي وهكذا فليس من الصواب أن نجعل العصر العباسي ممتداً إلى الفتح العثماني وما بعد العصر العثماني أيضاً بسبب أن الخصائص الأدبية متأثرة بالعصر العباسي ، فنحن الآن في العصر الحديث نجد أن كثيراً من الشعراء والناثرين ينهجون النهج العباسي في الأدب أصالة وتقليداً "

وقد كان ذلك - دراسة لأدب العصر العباسي والأموي والإسلامي والجاهلي في ثلاثة أجزاء وأطلق عليها الأدب المشرقي ، أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة فقد خصها بدراسة الأدب العربي في الأندلس والمغرب حيث تناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي في الأندلس - الدولة الأموية - حتى الفتح العثماني في المغرب.

يقول الدكتور عمر فروخ في بداية الجزء الرابع من هذه الموسوعة " وأنا لم أفصل تاريخ الأدب في المشرق من تاريخ الأدب في المغرب لأن الأدبيين مختلفان ولكن عملي هذا كان في سبيل التسهيل على نفسي في معالجة الموضوع ^(١) فهو لم يفصل تاريخ الأدب في المشرق عن تاريخ الأدب في المغرب والأندلس لأن الأدبيين مختلفان ولكن كي يسهل عليه معالجة الموضوع وذلك في رأيي لأن الأدب في المغرب والأندلس قد اتسع اتساعاً كبيراً وإن كان متأثراً إلى حد كبير بالأدب المشرقي من حيث الأغراض

(١) تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ط (١) دار العلم للملايين ج ٤ ص ٥

والخصائص اللفظية والمعنوية لكن لا يمنع هذا من أن الأدب المغربي كانت له سمات خاصة به أوجدتها طبيعة الحياة في المغرب والأندلس ، وهذا ما سيتم توضيحه عند الحديث عن الأدب في المغرب والأندلس .

وقد اختص الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي بالأدب العربي من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية تحت عنوان " الأدب القديم " وقد طبع هذا الجزء خمس طبعات أولها في عام ١٩٦٥ م وآخرها عام ١٩٨٥ م ويتصفحي لهذه الصفحات لم أجد أن المؤلف قد أحدث اضافات أو تعديلات فيها ، ويقع هذا الجزء في ٧٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

أما الجزء الثاني فيتناول العصر العباسية " الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجري " ١٣٢ - ٣٩٩ هـ " ٢٥٠ - ١٠٠٨ م " وقد طبع هذا الجزء أربع طبعات أيضاً أولها في عام ١٩٦٨ م وآخرها في عام ١٩٨١ م ولم يحدث المؤلف اضافات أو تعديلات على أى من هذه الطبعات ، ويقع هذا الجزء في ٦٧٢ صفحة .

والجزء الثالث يتناول الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ٤٠٠ - ٩٣٢ هـ " ١٠٠٩ - ١٥١٧ م وقد تم طبع هذا الجزء ثلاث طبعات أولها عام ١٩٧٩ م وآخرها عام ١٩٨١ م ويقع هذا الجزء في ٩٩٧ صفحة هذا بالنسبة للأدب العربي في المشرق ، أما الأدب العربي في المغرب والأندلس فقد خصّته بالثلاثة أجزاء الأخيرة وهي :

الجزء الرابع ويتناول الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف (آخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد) وقد طبع هذا الجزء طبعته الأولى في عام ١٩٨١ م وهو يقع في ٧٩٨ صفحة

أما الجزء الخامس فهو يتناول الأدب في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين
والموحدين ، وقد كانت طبعته الأولى في عام ١٩٨٢ م وهو يقع في ٢٩٨ صفحة
والجزء السادس والأخير يتناول الأدب العربي في المغرب والأندلس من أوائل
القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة " أوائل القرن الثالث عشر الهجري
أواسط القرن السادس عشر للميلاد " وقد صدرت الطبعة الأولى له عام ١٩٨٣ م ويقع
في ٢٥٤ صفحة وقد صدرت جميع طبعات هذه الموسوعة عن دار العلم للملايين
بيروت - لبنان .

* * * * *

ب- منهج المؤلف في هذه الدراسة :

يذكر الدكتور عمر فروخ في مقدمة الجزء الأول الغرض من تأليفه كتاب تاريخ الأدب العربي فيقول : " هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي يقرب الموضوع للدارسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين" (١)

إن الواضح من هذا التعريف للكتاب أنه يهتم بالجانب الوجداني فقط لكن هذا لا يمنع من أن نراه يضم إلى ذلك طوائف أخرى من الشخصيات ممن لا يرتبطون بالأدب ارتباطاً وثيقاً في نتاجهم ، وشهرتهم في مجالات أخرى غير الجانب الأدبي كاللغويين والنحويين والفقهاء . . . أمثال : القاضي أبي بكر الباقلاني " كان القاضي أبو بكر الباقلاني فقيهاً كبيراً وأصولياً متعمقاً ومن المتكلمين والنظار المعدودين للباقلاني من الكتب : اعجاز القرآن ، تمهيد الدلائل وتلخيص الأوائل ، كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان " (٢)

ومحمد آدم الهروى النحوى " كان محمد بن آدم الهروى إماماً في النحو والأدب وفى تفسير الشعر خاصة وكان له علم واسع بأصول الدين ويظن أنه كان من أهل العدل (من المعتزليه) " (٣)

والخليل بن أحمد " كان الخليل بن أحمد الفراهيدى إماماً في علم اللغة والنحو ومن الرواة والنسابين (العارفين بأنسب العرب) والعلماء . وهو أول من استخرج علم العروض (أوزان الشعر وأحكامه) وأول من وضع معجماً للغة العربية " (٤)

(١) مقدمة تاريخ الادب العربي للدكتور عمر فروخ ج ١ ط (٤) دار العلم للملايين ص ١٧

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٢

كذلك الأُخفَش الأَكْبَر (ص ١١٨) والمفضل الضبي ص ١١٩ - وسيبويه ص ١٢٠ ، وابن طباطبا العلوي ص ٤٢٠ ، ونفطويه ص ٤٢٣ ، وقدامة بن جعفر ص ٤٣٤ ، وابن خالويه ص ٥٢٠ ، وجميع هؤلاء مترجم لهم في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي وغيرهم ممن لا يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالأدب وشهرتهم فى مجالات أخرى غير الجانب الوجدانى .

فالدكتور عمر فروخ أراد أن يبسط ذخائر الأدب العربى للمطالعين فدراسته للأدب العربى لا تقتصر على اعطاء نماذج لبعض الشخصيات الأدبية البارزة فى كل عصر بل هو يتناول جوانب كل عصر بالتفصيل من خلال الترجمة لمعظم أدبائه وقد فهمت ذلك من خلال قوله " إن الكتب فى تاريخ الأدب العربى ليست قليلة ولكنها كلها تمر فى العصور فتختار عصرًا تتكلم عليه ثم تضرب عليه مثلاً من بضعة شعراء : ثلاثاً أو أربعة أو اثنى عشر من الشعراء المعروفين عادة فى المعلقات أو القريبين عادة من شعراء المعلقات . (١)

إن هذا الكتاب يتناول من الجاهليين وحدهم شعراء كثيرين وخطباء قليلين يزيدون كلهم على خمسين " (٢) فالدكتور عمر فروخ تناول كل عصر من الأعصر الأدبية بالدراسة التفصيلية ولم يكتف بالترجمة لبعض الشخصيات البارزة لكل عصر بل نجده يترجم لأدباء وشعراء العصر الجاهليين لإحدى وخمسين شخصية وللعصر الإسلامى اثنتان وثلاثين شخصية ، وللعصر الأموى تسعين شخصية هذا بالنسبة للجزء الأول إلا أنه تعتمد الإيجاز فى استنطاق المصادر حيث يقول ... يضم هذا الجزء الأول أكثر

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ١٧

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدمات للأعصر و للفنون ، فلو أننى
أطلقت لقلمي العنان فى تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة
الأولى بعد الألف قبل أن أغادر خيام الشعراء الأوائل فى الجاهلية " (١)

لذلك استحق كتاب تاريخ الأدب العربى بأجزائه الستة أن يكون موسوعة أدبية
ذات قيمة عظيمة لدى الدارسين والباحثين حيث يستطيعون أن يتعرفوا على الحياة
الأدبية فى كل عصر من العصور الأدبية من خلال الترجمات الكثيرة والمقدمات
الخاصة بكل عصر ، كما يقول : " وأرجو إذا قيس الله لهذا الكتاب أن يتم
أن يكون فيه بضع مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الانتاج
الوجدانى ، بالإضافة إلى المقدمات فى نطاق الأعصر السياسية وخصائص الأعصر
الأدبية " (٢). فقد بدأ الدكتور عمر فروخ كل عصر من العصور الأدبية التى أرخ لها
بإعطاء صورة وافية شاملة للحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، والفكرية والثقافية
ومن ثم الأدبية التى واكبت كل عصر .

وقد اتخذ المؤلف تعاقب الدول أساساً للانتقال من عصر إلى عصر مع
مراعاة أن عدداً من الخصائص الأدبية يظل مستمراً على الرغم من انتهاء عصر ومجيء
عصر آخر ، فجعل العصر الجاهلى ينتهى بظهور الاسلام ، والعصر
الاسلامى أو عصر صدر الاسلام ينتهى بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط٤ دار العلم للملايين ص ١٨

(٢) المصدر السابق . (ص ١٧)

واستلام بني أمية زمام الحكم وانتهاء العصر الأموي بسقوط بني أمية وبسقوط
نفوذ بني العباس واستلامهم زمام الحكم وجعل هذا العصر مستمراً إلى الفتح
العثماني سنة ٩٢٣ هـ .

أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التي دخل فيها
السلطان سليم الأول العثماني مصر (٩٢٣ هـ ، ١٥١٧ م) وقضى على المنصب
الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في
العراق (١)

وهذه مسألة فيها نظر سيتم توضيحها في الصفحات التالية .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٢ ط ٤ دارالملايين ص ٣٤

جـ - محتويات الكتاب :

يقول الدكتور عمر فروخ : " يتألف هذا الكتاب من مقدمات للأعصر ومن تراجم
ففي مقدمات الأعصر استعراض لرؤوس الأحداث حتى يكون فيها إطار يوقع القارئ في
نطاقه أزمان أصحاب التراجم ، وإذا كنت قد اتخذت تعاقب الدول أساساً
للانتقال من عصر إلى عصر فلأني أحببت أن استفيد من الوضوح في تعاقب العصور
مع العلم بأن عدداً من الخصائص الأدبية يظل مستمراً على الرغم من انتهاء عصر
ومجيء عصر آخر ، ثم إنني أتكلم بعد ذلك على الفنون والخصائص الأدبية
للعصر " (١)

فتاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ يتكون من مقدمات للأعصر أي مدخل
تاريخي وعرض للأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية . . التي عاشها
أصحاب التراجم وذلك من أجل أن تتضح الرؤيا لدى القارئ حول المؤثرات
الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو الثقافية التي أثرت على نتاج الشاعـر
أو الأديب ، فهو بعد أن يعطى الصورة العامة للعصر يترجم للشخصيات التي
كان لها نتاج أدبي في ذلك العصر ، ومع أن الدكتور عمر فروخ يترجم لعدد هائل
من الشخصيات (٢) إلا أنه يذكر أنه لم يترجم لجميع الشعراء والأدباء حيث يقول :
" ومادمت أنا لا أستطيع أن أضم في هذا الكتاب جميع من نشر ونظم ومادام لا بد في
التخير من الاستغناء عن نفر كثيرين في كل عصر ، فلقد وجدت أن أستغني عن كل
مالم يعيش في الأدب الوجداني ، على الرغم من أن اتجاهها سياسياً معنياً أرادته الأمر
لا صلة للأدب به " (٣)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٢٧ ، ٢٨

(٢) سيتم توضيح ذلك في الصفحات التالية (التراجم)

(٣) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ١٨/١٧

فهو يترجم للشخصيات التي كان لها نتاج أدبي مهمما كانت مغمورة أو قليلة النتاج ويغفل الشخصيات التي كان نتاجها لاصلة له بالأدب . كما أنه قدم شرحاً وافياً للمختارات التي يذكرها من آثار الأديب " بعدئذ شرحت معظم هذه المختارات شرحاً وافياً ، حيث الحاجة الى الشرح الوافي ضرورة لا بد منها (١) والشرح الوافي معناه الشرح اللغوي متلوا بالشرح الأولى (في تبيان أوجه البلاغ) " فهو يشرح المختار من آثار الأديب شرحاً وافياً من حيث المعنى اللغوي والأدبي ولن كان الشرح لا يحتاجه متخصصو الأدب لكنه بالتأكيد يفيد الطلاب في مختلف المراحل الدراسية .

وبعد كل ترجمة يحيل القارئ إلى مجموعة من المراجع حول هذه الشخصية لمن يريد التوسع والاستزادة .

ومجمل القول : إن تاريخ الأدب العربي يحتوى على موضوعين أساسيين هما :

مقدمات للأعصر وهي عبارة عن ايضاح للحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والفكرية والثقافية والأدبية التي عاشها كل عصر ، أما الموضوع الثاني فهو : الترجمة للشخصيات الأدبية في كل عصر ، وتشتمل الترجمات على :-

أ - نبذة عن حياة الشخصية

ب - الخصائص الفنية للشخصية .

ج - بعض المختارات من نتاج تلك الشخصية .

د - الاحالة إلى المراجع التي تحدثت عن تلك الشخصية .

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٢٩

د - التراجـم :

ترجم الدكتور عمر فروخ فى كتابة تايخ الأدب العربى فى أجزاء الستة والجزأين الأخيرين "معالم الأدب العربى فى العصر الحديث " لكثير من الأدباء وغير الأدباء فقد ترجم لإحدى وخمسين شخصية فى العصر الجاهلى مثل : الشنفرى الأزدى ص ١٠٢ وتأبط شراً ص ١٠٧ وامرؤ القيس ص ١٢٦ ، وعبيد بن الأبرص الأسدى ص ١٢٤ والحارث بن عباد البكرى ص ١٢٧ ، والمرقش الأكبر ص ١٢٩ ، وطرفة بن العبد البكرى ص ١٣٥ ، والمرقش الأصغر ص ١٤٥ ، والحارث بن حلزة اليشكرى ص ١٥٢ وصاحب بن زرارة ص ١٧٤ ، وإن كانت هذه الترجمات مذكورة بشئ من الاختصار لكننا نجده بعد كل ترجمة يحيل إلى المراجع التى يمكن أن يعود إليها الدارس والباحث عندما يريد الاستزادة ، وهذا مجهود عظيم قام به الدكتور فروخ فقد بذل قصارى جهده وأعطى جل وقته فى جميع وتصنيف هذه المراجع ليعود إليها الباحث والدارس متى أراد ، ونحن نحمد له المجهود الجبار الذى لا يمكن أن يقوم به إلا باحث جلد ، ذو مدارك واسعة ، وخبرة طويلة ودراسة دءوبة ، وثقافة عالية .

وكما ذكرنا آنفاً فقد ترجم لإحدى وخمسين شخصية فى العصر الجاهلى ، واثنين وثلاثين شخصية لشعراء وخطباء صدر الاسلام منهم :عبدالله بن رواحة ص ٢٦٠ وأبو بكر الصديق ص ٢٦٣ ، والعباس بن مرداس ص ٢٧١ ، وعمرو بن معدى كسرب الزبيدى ص ٢٧٥ ، وزيد الخيل ص ٢٧٨ ، وعمر بن الخطاب ص ٢٧٩ ، وعلى بن أبى طالب ص ٣٠٧ ، وحسان بن ثابت الأنصارى ص ٣٣٥ ، والأحنف بن قيس ص ٣٤٤ ، وأبو الأسود الدؤلى ص ٣٤٨ ، ثم تسعين شخصية من شعراء وأدباء العصر الأموى منهم :-

الوليد بن عقبة ص ٤٠١ ، ومعاوية بن أبي سفيان ص ٤٠٥ ، ومعن بن أوس ص ٤١٨ ،
وعبدالله بن الزبير ص ٤٤١ ، وأبو صخر الهذلي ص ٤٤٥ وقطري بن الفجاءة
ص ٤٥٨ ، وعمران بن حطان ص ٤٩٠ ، وعمر بن أبي ربيعة ص ٥٥٣ ، وعمر بن عبدالعزيز
ص ٦٠٣ ، والكميت بن زيد الأسدي ص ٦٩٧ ، وهذه الترجمات من العصر الجاهلي
إلى العصر الأموي قد تناولها في الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي .

أما الجزء الثاني مترجم فيه لمخضرمي الدولتين - الأموية والعباسية - وقد بلغ
هؤلاء المخضرمون الذين ترجم لهم اثنين وثلاثين شخصية منهم : -
عبدالله بن المقفع ص ٥١ ، ورؤبة بن العجاج ص ٦١ ، وحمام عجرد ص ٧١ ، وصالح
ابن عبدالقدوس ص ٩١ ، وبشار بن برد ص ٩٢ ، والخليل بن أحمد ص ١١١ ، والمفضل
الضبي ص ١١٩ ، ومطيع بن إياس ص ١٠١ .

وتحت عنوان ذروة الشعر المحدث ترجم لمؤلف واحد ومائة شاعر وأديب منهم :-
رابعة العدوية ص ١٢٨ ، والعباس بن الأحنف ص ١٤١ ، وأبو الشيب ص ١٤٨ ،
وأبو نواس ص ١٥٨ ، ومسلم بن الوليد ص ١٧٧ ، وسهل بن هارون ص ٢١٢ ، وبكر
ابن النطاح ص ٢٣٨ ، ودعبل بن علي الخزاعي ص ٢٨٤ ، والحافظ ص ٣٠٣ ، والبحري
ص ٣٥٢ .

أما الفترة ما بين أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس للهجرة فقد
أعطانا فيها تراجم لأربعة وستين شاعراً وأديباً منهم :-

ابن دريد ص ٤١٦ ، وأبو بكر الصولي ص ٤٣٨ ، وأبو الطيب المتنبي ص ٤٥٧ ،
وأبو فراس الحمداني ص ٤٩٥ ، وأبو سعيد السيرافي ص ٥١٥ ، والمصاحب بن عباد
ص ٥٦١ ، وابن النديم ص ٥٦٦ ، والقاضي الجرجاني ص ٥٨٥ ،

وبديع الزمان الهمذاني ص ٥٩٥ ، وأبو الرقعمق ص ٦٢١ ، وذلك في الجزء الثاني الذي هو بعنوان الأعصر العباسية .

أما الجزء الثالث والذي يتحدث عن تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني فقد ترجم فيه تحت عنوان الحروب الصليبية لأربعين شخصية منهم : أبو الفتح البستي ص ٤٩ ، والشريف الرضي ص ٥٩ ، ومحمد بن آدم الهروي ص ٧٠ ، وأبو الحسن التهامي ص ٧٥ ، وابن رزین البغدادی ص ٩٠ ، ومهيار الديلمي ص ٩٨ وأبو العلاء المعري ص ١٢٤ ، والماوردي البصري ص ١٤٠ .

وتحت عنوان العصر السلجوقي ترجم لإحدى وثمانين شخصية منهم :-

ابن سنان الخفاجي ص ١٦٨ ، الشريف البياضي ص ١٧٦ ، وأبو اسحق الشيرازي ص ١٩٥ والطغرائي ص ٢٣٢ ، وعمر الخيام ص ٢٥٠ ، وابن الشجري ص ٢٨٨ ، وابن القيسراني الشاعر ص ٢٩٥ ، وابن قادوس الدمياطي ص ٣٠٢ ، والمؤيد الألوسي ص ٣١١ ، وابن الخشاب البغدادی ص ٣٣٥ ،

ثم ترجم لخمس وتسعين شخصية تحت عنوان "أعقاب الخلافة العباسية " منهم :-

أسامة بن منقذ ص ٣٩٣ ، والقاضي الفاضل ص ٤١١ ، وابن النجار البغدادی ص ٤٢٤ وابن سناء الملك ص ٤٥١ ، وابن النبيه ص ٤٧٣ ، وعمر بن الفارض ص ٥٢٠ ، وجمال الدين القفطي ص ٥٥٧ ، وابن أبي الاصبع المصري ص ٥٧٤ ، وابن أبي الحديد ص ٥٧٩ ، وابن العديم ص ٥٩٧ . بعد ذلك تناول عصر المماليك البحرية والبرجية فترجم لثلاث عشرة ومائة شخصية أدبية منهم :-

أبو شامه ص ٦٢٣ ، وابن أبي أصيبعة ص ٦٢٨ ، وابن لؤلؤ الذهبي ص ٦٤٦ ،

وابن النقيب ص ٦٥٥ ، والبوصيري ص ٦٢٣ ، وابن منظور ص ٧١٢ ، وعمر بن مسعود
ص ٧١٦ ، وجلال الدين القزويني ص ٧٥١ ، وابن نباته المصري ص ٧٩٤ ، والفيروز
آبادي ص ٨٢٩ ، هذا بالنسبة للممالك البحرية . أما الممالك البرجية فمن الذين
ترجم لهم :-

شمس الدين السخاوي ص ٨٩٠ ، وجلال الدين السيوطي ص ٨٩٨ ، وابن مليك
الحموي ص ٩١٧ ، والأشمونى ص ٩١٩ ، وحمزه الناشري ص ٩٣١ ، ومحمد بن عمـر
الحميري ص ٩٣٢ ، وابن اياس ص ٩٣٤ .

أما فى الجزء الرابع والذي خصه بدراسة الأدب العربى فى المغرب والأندلس
إلى آخر عصر ملوك الطوائف ، فقد ترجم فيه لعصر الولاة شخصيتين هما :-
أبو الأجرى الكلابى ص ٤٩ ، وعبدالرحمن بن زياد ص ٥١ .

وتحت عنوان " عصر الأمراء المتوارثين " ترجم لست وأربعين شخصية منهم :-
عبدالرحمن الداخل ص ٨١ ، وأبو المخشى ص ٨٧ ، وعبدالرحمن الأوسط ص ٩٩
والعتبى الشاعر ص ١٢٢ ، وعباس بن فرناس ص ١٣٥ ، وبقي بن مخلد ص ١٤٠ ، وتمام
ابن عامر ص ١٤٣ ، وعيسى ابن مسكين ص ١٤٩ ، ومحمد بن عاصم النحوى ص ١٥٩ ،
وبزید الفصیح ص ١٦٣ .

وتحت عنوان " عصر الخلافة الأموية فى قرطبة " ترجم لتسع وستين شخصية
منهم :- ابن عبدربه ص ٢١٠ ، وابن هانى الأندلسى ص ٢٦٦ ، وأبو بكـر
الزبيدى ص ٣٠٠ ، وابن شخيس ص ٣٢٩ ، وابن الفرضي ص ٣٣٧ ، ومريم الشلبية ص ٣٥٠
وصاعد البغدادى ص ٣٦٢ ، واسحاق بن ابراهيم ص ٣٧٣ ، وابن دراج القسطلی ص ٣٧٧

وعند حديثه عن عصر ملوك الطوائف ترجم لتسع وأربعين شخصية منهم :-
عبادة بن ماء السماء ص ٤٤٧ ، وأبو عمر بن شهيد ص ٤٥٤ ، وأبو القاسم بن عباد
ص ٤٧١ ، وابن الخياط الاندلسي ص ٥٠٥ ، وابن سيدة ص ٥٦٠ ، ابن خلوف المغربي
ص ٦٣٤ ، وابن عمار ٦٣٨ ، وولادة المروانية ص ٦٩٩ ، والمعتمد بن عباد ص ٧١٣
وأبو اسحاق الوذاني ص ٧٤٢ ، .

أما الجزء الخامس والذي خصّه بدراسة الأدب في المغرب والاندلس عصر المرابطين
والموحدين فهو يترجم فيه تحت عنوان " المرابطون في الأندلس " لسبع وسبعين شخصية
منهم :- ابن الملح ص ٧٠ ، والجزار السرقسطي ص ١٠٢ ، وابن القطاع ص ١١٢ ، وابن
عيدون ص ١٩٢ ، وابن خفاجة ص ٢١٨ ، وأبو طاهر التميمي القرطبي ص ٢٣٧
وابن سلام المالقي ص ٢٨٩ ، وأبو بكر الصيرفي ص ٣٣٤ ، وأخيل الرندي ص ٣٥٤
وترجم لعصر الموحدين سبع ومائة شخصية منهم :-

أبو حامد الغرناطي ص ٣٩٠ ، وابن ميمون القرطبي ص ٤١١ ، والأصم المرواني
ص ٤١٩ ، ويونس بن محمد القسطلي ص ٤٥١ ، وابن زرقون ص ٤٨٢ ، وابن رشد
ص ٥٢٤ ، وأبو القاسم بن هشام القرطبي ص ٦٤٠ ، والمأمون الموحد ص ٦٧٦ ، وابن
طلحة الأنصاري ص ٦٨٨ ، وأبو الحجاج الأشبيلي ص ٧١٧ .

وأخيراً الجزء السادس من هذه السلسلة والذي يتناول فيه الدكتور عمر فروخ تاريخ
الأدب في المغرب والاندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة
وفيه يترجم لواحد وأربعين بعد المائة من الشعراء والأدباء منهم :-

أبو البقاء البلنسي ص ١٣٤ ، وابن سهل الاشبيلي ص ١٧٤ ، وابن مالك النحوي
ص ٢٦٠ ، وابن معمر الهواري ص ٢٨٣ ، وأبو البقاء صالح بن شريف الرندي ص ٢٨٦

وابن عبد الملك المراكشي ص ٢٤٦ ، وابن خميس التلمساني ص ٣٦١ ، ويحيى بن خلدون ص ٥٤٠ وابن مرزوق الخطيب ص ٥٤٦ ، وأبو بكر بن عاصم ٦٢٥ .

ومجمل القول : إن تاريخ الأدب العربي بأجزائه الستة قد تناول خمساً وأربعين ومائة بعد الألف من الشخصيات ، وهذا في حده مجهود جبار يُثنى عليه الدكتور عمر فروخ ، فالكتاب إن صح التعبير يعتبر فهرساً جيداً لأعلام الأدباء والشعراء على مر العصور ، وكما ذكرت في بداية حديثي عن التراجم كان الدكتور عمر فروخ يسردف الشخصيات المترجم لها بالمراجع التي يمكن العودة إليها لمن يريد الاستزادة ، وهذه المراجع تنقسم إلى قسمين :-

١ - الآثار المطبوعة للأديب .

٢ - أسماء الكتب التي أُلِّفَتْ في هذا الأديب .

ولني أتساءل هنا لماذا يذكر الدكتور عمر فروخ الآثار المطبوعة للأديب فقط ؟ فإذا كان للأديب آثار مخطوطة فما المانع من ذكرها ؟ !! هل هذا يحتاج إلى مجهود آخر ؟! بالتأكيد ، ولكن هذا المجهود لا يصعب ولا يستعصى على أستاذ قدير وباحث دؤوب مثل الدكتور عمر فروخ الذي بذل الجهد الجهد ، والوقت الطويل كي يجمع ويصنف هذه الترجمات وهذه المراجع الخاصة بالترجمات ، لكن ربما يرجع ذلك لعدم معرفته بهذه المخطوطات لأنها في طي الكتمان .

أما عن ترتيبية لهذه التراجم فهو يقول في طريقة ترتيبية لها : " وأما التراجم فهي منسوقة في كل عصر نسقاً تاريخياً بحسب سنى الوفيات " (١)

(١) تاريخ الأدب العربي ج ١ عمر فروخ ص ٢٨

فهو لم ينسّقها بحسب الجودة أو كثرة النتاج بل نسّقها بحسب سنى الوفيات فهو ليس
فى مقام تقييم لهذه الشخصيات بقدر ما هو حصر لها وعرض سريع .

أما عن أقسام الترجمة فيقول " وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب
خصائصة - المختار من آثاره - المصادر والمراجع لدراسته " (١) فكان يذكر
الترجمات بحسب هذا الترتيب ، ولكن لو أنه جعل آثار الأديب قبل الخصائص لكان
أفضل لأنه على ضوء الآثار نستطيع أن نستنتج الخصائص .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ عمر فروخ ص ٢٨

هـ- المصادر التي أعتد عليها في بحثه :-

اكفى الدكتور عمر فروخ في تاريخ الأدب العربى بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وترك ذكر البحوث والمقالات فهو يقول أكتفيت أنا في هذا الكتاب بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وأضربت عن ذكر البحوث والمقالات ، غير أنني ذكرت أحياناً عدد من البحوث نشرت في مجلة المجمع العلمى العربى (دمشق) وفي عدد آخر من المجلات التى اتفق لى أن عثرت فيها على مقال مفيد ، وإن كنت لم آخذ نفسي باستقصاء تلك البحوث " (١)

فالقاعدة العامة التى كان يسير عليها في ذكر المصادر هي الاكتفاء بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وترك ذكر البحوث والمقالات ، وتلافياً لما قد يكون أغفله من تلك المصادر والمراجع فإنه يذكر مظان تراجم الأدباء في كتاب بروكلمان وفي تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان " ولقد حرصت على أن أعوض الدارس الباحث عما أغفله من استقصاء أسماء الكتب ، فبعد أن ذكرت المصادر والمراجع التى لاغنى عنها ، بعد كل ترجمة ، أتبعها بذكر مظان هذه التراجم في كتاب بروكلمان وفي تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان " (٢)

وهذه الطريقة التى أتبعها الدكتور عمر فروخ في ذكر المصادر والمراجع طريقة جيدة ونافعة إذ أنه ربما يكون قد أغفل شيئاً من تلك المصادر والمراجع فعندما يذكر مظان هذه المصادر في كتاب بروكلمان ، وكتاب جرجى زيدان يعطى الباحث والدارس طريقاً آخرًا للوقوف على هذه المصادر والمراجع .

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ عمر فروخ ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

كما أنه يذكر جميع الكتب المطبوعة التي خصت الأديب بالدراسة عدا الكتب العامة التي جعلت للمدارس فنراه يقول : " أما الكتب المطبوعة التي أحرص على إثباتها بقدر الطاقة فهي الكتب الخاصة بأديب أديب وقد أورد كتاباً يضم تراجم قليلة ، أما الكتب التي جعلت عامة للمدارس أو كانت بحوثها وتراجمها موجزة ومكررة من مصادر أو مراجع ككتاب تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا لمؤلفه أحمد حسن الزيات ، فقد أضريت عن ذكرها حباً بالاختصار ولأن ذكر مثل هذه الكتب قليل الجدوى في مثل هذا الكتاب " (١) ، وهذا مجهود جبار قام الدكتور عمر فروخ به حيث أخذ يجمع ويستقصى ليقف على جميع الكتب المطبوعة التي خصت الأديب بالدراسة ومن ثم يرتبها ليذكرها في كتابه مساعدة فيه للدارسين والباحثين وتسهيلاً لهم في الحصول على هذه الكتب متى أرادوها خاصة أولئك الدارسين والباحثين المبتدئين ذوي القدرة المحدودة على البحث ، فقد وفر عليهم عناء البحث حول المصادر والمراجع التي تتحدث عن أديب أو شاعر فقد وضع أمامهم كل مايمكن أن يعودوا إليه من مصادر ومراجع عند بحثهم حول أي شخصية أدبية ، وإنى أحمد له ذلك رحمه الله وأثنى عليه أشد الثناء فما بذله في تأليف تاريخ الأديب العربي من جهد وصبر وتحمل على عناء البحث ، وما أخرجته لنا من فوائد عظيمة في هذا الكتاب لا توجد عبارات وأفيه لوصفه والثناء عليه .

هذا هو الاطار العام والخطة المتبعة في تأليف تاريخ الأدب العربي ومعالم الأدب في العصر الحديث. (٢)

(١) المصدر السابق ص ٢٢

(٢) سيتم الحديث عن هذين الجزأين من "معالم الأدب في العصر الحديث" في الصفحات التالية .

و- نظره في تقسيمه للعصر العباسي وتقسيم غيره من المؤلفين

لقد اختلف دارسو تاريخ الأدب العربي في تحديد الفترة الزمنية للعصر العباسي (١) فنرى من جعله ينتهي بسقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ، أمثال كارل بروكلمان "وجرجي زيدان" (٢) وأحمد حسن الزيات (٣) ومنهم من يجعله يمتد إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر سنة ٩٢٣ هـ " أمثال : الدكتور عمر فروخ " والدكتور شوقي ضيف "

كما اختلفوا في تقسيم الفترة من ١٣٢ هـ إلى ٦٥٦ هـ إلى عصور أدبيه ، فمنهم من جعلها عشرين مثل كارل بروكلمان :-

١ - عصر ازدهار الأدب في عهد العباسيين بالعراق من حوالي :-

(٢٥٠ - ١٠٠٠ م - ٤٠٢ هـ)

٢ - عصر الازدهار المتأخر إلى سقوط بغداد على يد هولاكو :-

(١٢٥٨ م - ٦٥٦ هـ)

وهناك من جعلها أربعة أعصر كجرجي زيدان إذ يقول : " ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن ، من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ، وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم على ما أقتضته الانقلابات السياسية أو الاجتماعية ، وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة

(١) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج ١ ص ٣٧

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٢ ص ٣١٦، ٣١٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٥

أو باختلاف الدول التي أفضت الأسور إليها ، أما القرنان الأخيران فيشتركان في أحوالهما ، فقسمنا العصر العباسي إلى أربعة أدوار أو عصور وهي :-

١ - **الدور أو العصر الأول** : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الأول .

٢ - **العصر العباسي الثاني** : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

٣ - **العصر العباسي الثالث** : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ إلى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ .

٤ - **العصر العباسي الرابع** : من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتر سنة ٦٥٦ هـ ، كما حذا هذا الحذو في تقسيم العصر العباسي الأستاذ أحمد حسن الزيات "

أما الذين جعلوا العصر العباسي يمتد إلى سنة ٩٢٣ هـ فمنهم الدكتور شوقي ضيف الذي جعل العصر العباسي الأول من (١٣٢ - ٢٣٢) بانتهاء خلافة الواثق والعصر العباسي الثاني (٢٣٢ - ٣٣٤) ينتهي باستيلاء البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، ومن هذا التاريخ يبدأ عصر الدول والامارات ويمتد الى نهاية العصور الوسطى (٩٢٣ هـ) (١)

أما الدكتور عمر فروخ فقد جعل العصر العباسي يمتد إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) وقضى على المنصب

(١) راجع سلسلة تاريخ الأدب العربي للدكتور . شوقي ضيف .

الرمزي للخليفة العباسي ، إذ يقول : " أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر ٩٢٣هـ (١٥١٢م) وقضى على المنصب الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق ، هذه الحقبة الطويلة من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٩٢٣هـ للهجرة تنقسم من الناحية السياسية والأدبية أيضاً إلى فترات متفاوتة في الطول وفي الأهمية ، فإذا نحن اعتبرنا تلك الفترات وما كان فيها من الدول التي اتسع نفوذها في أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الإسلامية وجدناها التالية :-

- * الفترة العباسية الأصلية (نفوذ فارسي ثم تركي) ١٣٢-٢٣٤هـ
- * عصر الدويلات ودولة بني بويه (فارسيه شيعية) ٢٣٢-٤٤٠هـ
- * دولة السلاجقة (تركية سنية) ٤٢٩-٥٧٩هـ
- * الاتابكة آل زنكي (من السلاجقة) ٥١٦-٦٣٩هـ
- * الدولة الأيوبية ٥٥٥-٧٣٢هـ
- * دولتي المماليك : المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤هـ
- المماليك البرجية ٧٨٤-٩٢٣هـ (١)

فنرى أن الاختلاف لا زال جارياً حول تحديد فترة العصر العباسي ، وحول أقسام أو فترات العصر العباسي ، فالدكتور فروخ جعل العصر العباسي يمتد إلى الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ معتمداً في ذلك على بقاء المنصب الرمزي للخليفة العباسي والذي جعله ينتهي بسقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦هـ اعتمد على انتهاء الحكيم في بغداد لبني العباس باستيلاء هولاكو على عرش الخلافة سنة ٦٥٦هـ .

ويمكن القول بأن العصر العباسي انتهى بنهاية الخلافة العباسية في بغداد عند استيلاء هولاكو عليها ٦٥٦هـ ، لأنه بذلك قُضي على الخلافة العباسية قضاء

كاملاً من الناحية السياسية ، وإن بقت الخصائص الأدبية لهذا العصر ثم أخذت تهبط رويداً رويداً حتي سُمِّيَ العصر الذي يلي العصر العباسي " عصر الانحطاط في الأدب " ، فالعصر العباسي انتهى سنة ٦٥٦ هـ ثم قامت بعده الدول والامارات الصغيرة ، وهذا ما ذكرته كتب التاريخ والكتب التي تؤرخ للأدب أيضا مثل تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ولا يكفي أن يكون المنصب الرمزي الصوري للخليفة العباسي موجوداً كي نجعل الفترة ما بعد سنة ٦٥٦ هـ تابعة للعصر العباسي ، فمقاليد الحكم في هذه الفترة كان الخليفة العباسي - الصوري - لا يعلم عنها شيئاً ولا يؤخذ برأيه في أي أمر من أمور الدويلات التي قامت ، إذن فكيف نستطيع أن نسمي هذا العصر عصرًا عباسياً ؟ ! ! !

كما أن الاختلاف واضح بين مؤرخي الأدب حول تقسيم فترة العصر العباسي فالذي جعله يمر بدورين أو عصرين أعتمد في ذلك على النفوذ البويهى ، والسلاجوقي الذي كان في العصر العباسي ، فجعلوا العصر العباسي الأول يبدأ من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ إلى سقوط دولة بنى بوية في بغداد سنة ٤٤٧ وقيام دولة السلاجقة التي استمرت إلى سنة ٦٥٦ هـ .

أما من جعل العصر العباسي يمر بأربعة أدوار فقد تجاوز كثيراً في هذا التقسيم لأنه جعل العصر العباسي الأول يبدأ من سقوط الدولة الأموية إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، والعصر العباسي الثاني من خلافة المتوكل إلى استقرار البويهيين في بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

والعصر العباسي الثالث من استقرار البويهيين في بغداد إلى دخول السلاجقة

بغداد سنة ٤٤٧ هـ

والعصر العباسي الرابع من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في يد المغول سنة ٦٥٦ هـ .

وأرى أنه من الأفضل ألا يفصل بين العصرين - الأول والثاني - لأنه في هذه الفترة لم تتدخل العناصر الأجنبية في مقاليد الحكم تدخلاً جذرياً . ومن هنا ينبغي أن يكون تقسيم الأعصر الأدبية خلال هذه الفترة :- ١٣٢ - ٦٥٦ هـ كمايلي :-

١ - العصر العباسي الأول : من سنة ١٣٢ هـ أي منذ سقوط الدولة الأموية ، وقيام دولة بني العباس إلى دخول البويهيين واستقرارهم في بغداد وانتشار مذهبهم الفارسي الشيعي سنة ٣٣٤ هـ .

٢ - العصر العباسي الثاني : من سنة ٣٣٤ هـ أي من استقرار بني بويه في بغداد إلى دخول السلاجقة بغداد وانتشار مذهبهم التركي السني سنة ٤٤٧ هـ .

٣ - العصر العباسي الثالث : من سنة ٤٤٧ هـ أي منذ دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها على يد هولاكو التتري سنة ٦٥٦ هـ .

فهذا التقسيم بنى على أساس دخول عنصر أجنبي في الخلافة العباسية وحدوث تغيرات جوهرية في المذهب والمعتقد والسياسة والمجتمع مما كان له أثره الواضح في الفكر والاتجاهات الأدبية .

ز- معالم الأدب العربى فى العصر الحديث :-

قد أُرْدِف الدكتور عمر فروخ سلسلة تاريخ الأدب العربى - الأجزاء الستة -
بجزأين آخرين تحت عنوان " معالم الأدب العربى فى العصر الحديث " وكان قد
أشار إلى ذلك فى رسالة رد بها على الدكتور على زيعور عندما طلب منه أن يكتب له عن
مشاريعه " كتب لنا الدكتور عمر هذه اللائحة ، تحقيقاً لرغبتنا ، وذلك عند سؤاله
عن مشاركة للمستقبل وقد أوردنا هنا هذه الأسماء والتي هى مكتوبة بتاريخ ٢٩ رمضان
عام ١٤٠٤هـ = ٢٨ / ٦ / ١٩٨٤م بقصد اظهار ما يود المؤلف استكماله وما يشغل
باله " (١)

فقد قال الدكتور عمر فروخ عن مشاريعه المستقبلية " لقد وضعت أيضاً مشروع سلسلة
فى الأدب العربى الحديث ، وقد أنهيت جزأين منها يتعلقان بالقرن الهجرى العاشر
والقرن الهجرى الحادى عشر (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وسأقدمهما
للطبع إن شاء الله مع بدء موسم الطباعة فى الخريف المقبل " (٢) وبعد بحث
واستقصاء منى استطعت أن أعلم بأن هذين الجزأين قد ظهرا بالفعل وقد حصلت
عليهما ولله الحمد ، فالجزء الأول يصور معالم الأدب العربى فى العصر الحديث
فى القرن العاشر الهجرى ٩٠١ - ١٠٠ هـ (١٤٩٥ - ١٥٩١ م) وقد صدر هذا
الجزء فى عام ١٩٨٥م ويقع فى ٥٢٦ صفحة من القطع المتوسط .

أما الجزء الثانى فيتناول الأدب العربى فى القرن الحادى عشر الهجرى
١٠٠١ - ١١٠٠ هـ (١٥٩٢ - ١٦٨٨ هـ) وقد صدر هذا الجزء فى عام ١٩٨٦ م

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ط١ دار الأندلس

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨

وهو يقع في ٨٤٧ صفحة من القطع المتوسط كما أن هذين الجزأين قد صدرت عن دار العلم للملايين ببيروت - لبنان .

وبما أن هذين الجزأين حديثا الظهور بخلاف الأجزاء الستة لتاريخ الأدب العربي للمؤلف يجدر بي في هذه العجالة أن أعرف بهما كي يكون القارئ على صلة بين هذين الجزأين وما نقوله وناقشه حولهما ، فعند اطلاعي على هذين الجزأين وجدت أنهما لا يختلفان من حيث الاطار العام عن سلسلة تاريخ الأدب العربي ويقول الدكتور عمر فروخ في ذلك " لما عزمت على كتابة " تاريخ الأدب العربي " سنة ١٣٧١ للهجرة (١٩٥١ م) ، ثم شرعت في جمع المواد وانشائها كان قصدي أن أقف في هذا الكتاب عند الفتح العثماني سنة ٩٢٣ للهجرة (١٥١٦ م) ، وفي مدى جيل كامل من الدهر . من سنة ١٣٧١ هـ إلى سنة ١٤٠٣ للهجرة (١٩٥١ م - ١٩٨٣ م) صدر هذا الكتاب في ستة أجزاء ، ولكن نفراً من الأصدقاء رغبوا في أن أتناول أطرافاً من الأدب الحديث. ثم انضاف إلى رغبة الأصدقاء هذه رغبة الناشر أيضاً ولقد رأيت لتينك الرغبةين وجهاً ، فعزمت على أن أستم في العمل ، وأرجو أن يعين الله سبحانه وتعالى على ما عزمت عليه ، ولكن على نطاق أضيق ، إذ ليس في الامكان أن أعد للأدب الحديث ما أعددت له للأدب القديم والوسيط ، جيلاً جديداً من الزمن من أجل ذلك أتخيل الآن سلسلة جديدة لا تختلف في أسسها من السلسلة السابقة اختلافاً كبيراً ، وسيكون اسمها " معالم الأدب في العصر الحديث " (١) فالمؤلف يخبر بأنه سيستم في التأريخ للأدب العربي وسيتناول

(١) معالم الأدب العربي في العصر الحديث د . عمر فروخ ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ٥ .

أطرافاً من الأدب الحديث لكن على نطاق أضيق ، أى أضيق مما كان عليه في سلسلة تاريخ الأدب العربي ، لكن عند قراءتي لهذين الجزأين لم أجد أنهما كانا على نطاق أضيق من تاريخ الأدب العربي إذ أن الجزء الأول كان يؤرخ فيه للأدب في القرن العاشر الهجري فقط في ٥٧٥ صفحة ، والجزء الثاني يؤرخ فيه للأدب في القرن الحادي عشر الهجري في ٨٤٧ صفحة وبمقارنة هذه الفترة من العصر الأدبية مع الفترات التي أرخ لها في كتابه تاريخ الأدب العربي نجد أن الخطة والطريقة والأسلوب هو نفسه لم يتغير من حيث إعطاء الصورة التاريخية والثقافية والاجتماعية ومن ثم الأدبية لكل عصر بشيء من الأسهاب في كثير من الأحيان ، كما أنني لاحظت أنه لم يختصر في هذين الجزأين بل على العكس وجدته قد أسهب في الحديث عن أشياء لا صلة لها بالأدب وليس هناك داع إلى ذكرها ، (١)

كما تحدث عن صورة العصر الثقافية في أوروبا باعتبار أن الدولة العثمانية كانت تصل إلى أوروبا فتحدث عن العالم الأوروبي المعاصر للفتح العثماني (فرنسا وإنكلترا) و (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) و (روسيا) .

كلمة حول معالم الأدب العربي في العصر الحديث :-

عند تناولتي لسلسلة " تاريخ الأدب العربي " بالدراسة وعند اطلاعي على هذين الجزأين وجدت أنهما :-

أولاً : لا يتناولان العصر الحديث وإنما يتجهان إلى العصر العثماني - فالجزء الأول

يتناول معالم الأدب العربي من سنة ٩٠١ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ (١٤٩٥-١٥٩١ م)

(١) سيتم توضيحها في الصفحات التالية .

والجزء الثاني يتناول معالم الأدب من سنة ١٠٠١ إلى سنة ١١٠٠ هـ (١٥٩٢ - ١٦٨٨ م) ومعنى ذلك أن الكتّابين يتناولان معالم الأدب العربي في العصر العثماني لأننا نعلم أن الحكم العثماني في البلاد العربية بدأ من سنة ٩٢٣ هـ " وسقوط دولة المماليك انتهت الخلافة العباسية التي كان المماليك قد أقاموها متكأ لهم في مصر (٦٥٩ - ٩٢٣ هـ) وانتقل منصب الخلافة إلى آل عثمان " (١) واستمر إلى سنة ١٢١٣ .

فالعصر الحديث لم يبدأ إلا بدخول الحملة الفرنسية مصر والشام سنة ١٢١٣ (١٧٩٨ م) " بعد فترة طويلة من التخلف كان لابد من حدوث أكثر من هزة عنيفة توقظ العرب من سباتهم ، وتثير في نفوسهم الحماس لينهضوا من كبوتهم ، وكان هذا هو ما حدث بالفعل في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عندما رست بواخير القوات الفرنسية الغازية بقيادة نابليون في ميناء الاسكندرية بادئة حملة ضد مصر ، ضد الأمة العربية الاسلامية " (٢)

كما يذكر الدكتور حسن الكبير حول تحديد بداية العصر الحديث " إذا كان المؤرخون قد اصطَلَحوا على جعل الحملة الفرنسية على مصر والشام سنة ١٧٨٩ م - ١٢١٣ بداية لفجر النهضة في الشرق لأنها كانت أول اتصال حقيقي بين الشرق والغرب منذ الحروب الصليبية . . . إذا تقرر ذلك لدى المؤرخين فإن نهضة الأدب العربي الحديث لم تظهر - في رأيي - إلا في أواخر القرن التاسع عشر حيث زالت الموانع الحقيقية للنهضة وتتابع وسائلها وتلاحقت ، وتقدمتها أسبابها الكثيرة فقد عاد

(١) تاريخ الأدب العربي ج ٣ ط ٣ دار العلم للملايين ص ٨٨٢

(٢) دراسات في الأدب العربي على مر العصور للدكتور عمر الطيب الساسي ط ٣ دار الشروق جده ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ

إلى مصر طائفة من المبعوثين أسهمت بأفكارها الجديدة وثقافتها الحديثة في الحركة التعليمية أيام اسماعيل كما نشطت الحركة في إحياء التراث العربي لمواجهة الثقافة الغربية الوافدة بثقافة عربية أصيلة" (١) .

فالفترة التي أرخ لأدبها الدكتور فروخ هي فترة العصر العثماني ، لا فترة من فترات العصر الحديث . فهذا العنوان للكاتبين معالم الادب العربي في العصر الحديث ، يوحي بأن الدكتور فروخ قد تناول العصر الحديث بالدراسة مع أن مضمون الكتابين جميعهما يدور حول العصر العثماني فقط فكان الأخرى بهذا المؤلف القدير أن يجعل عنوانه أكثر دقة فيكون مثلاً : معالم الأدب العربي في العصر العثماني .

ثانياً - إن المتصفح لهذين الجزأين يجد أن الدكتور فروخ قد أسهب كثيراً في الحديث عن الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية ونحن لانرى في ذلك عيباً إذا كان هذا الحديث متصلاً بالأدب ، إذ لابد من ذكر الحقائق التاريخية البارزة التي يكون لها تأثير كبير على سير الحركة الأدبية ، لكننا نجد أنه يعطي تفصيلاً تاريخياً لكل مدينة وإقليم على حدة مع أنه كان بالامكان أن يتحدث عن هذه الأحداث التاريخية بصفة عامة دون أن يفصل بين هذه الأقاليم لأن الأحداث متشابهة ونتائجها وتأثيراتها على الحركة الأدبية أيضاً متشابهة .

هذا وقد أسهب في حديثه عن المساويء الاجتماعية التي سادت تلك الفترة - القرن العاشر والحادي عشر الهجريين فنجد أنه يعطي تعريفاً كاملاً للقات ، والحشيش .

(١) تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث د . حسن أحمد الكبير
مطبعة دار الفكر العربي ص ٦

والبرش ، والقهوة ويوضح متى ظهرت هذه المساوئ ، وكيف ظهرت ، مع أنه لا يهتم منها سوى مدى تأثيرها على الحركة الأدبية وإنتاج الأدباء والشعراء ، لا أكثر ، أما أن يُعرّف القارئ بتاريخ ظهور هذه العادات السيئة ، وكيف ظهرت ، وتأثيرها على متعاطيها ومكوناتها ومن ذلك قوله : " القات شجيرة قصيرة الساق جداً تتفرع غصوناً وتنمو إلى نحو اثنتي عشرة قدماً ، وهى تنمو فى النصف الجنوبى من ساحل قارة أفريقية ، كما تنمو أيضاً فى الجانب الجنوبى من شبه جزيرة العرب وفى أوراقها وعساليجها (أغصانها الجديدة التى تبدأ بالبروز فى أول فصل الربيع) مادة شبه قلوية تحدث فى الذى يتعاطاها أثراً منبهاً فمشطاً فمشيراً ، ولكن يعقب ذلك كله انحطاط فى القوى ، والمدمنون على القات يتناولونه مضغاً أو مصنوعاً شراباً كثيفاً (بعد غليه مدة طويلة) " (١) فهذا كله لا داعي لذكره فى كتاب يؤرخ للأدب علاوة على ما قد تسببه هذه المعلومات من حب الاستطلاع وإثارة الفضول لدى القارئ للتعرف على هذه المساوئ. أما الحديث عن الأدب فى هذه الفترة فنراه فى صفحات قليلة جداً من هذين الجزأين لا تتساوى وحجم اسم الكتاب ، حتى الترجمات الكثيرة لم تكن فى أغلبها إلا لغير الشعراء والأدباء ، وما ذلك إلا لأن هذا العصر ما هو إلا امتداد لعصر المماليك (عصر الانحطاط) فكان طبيعياً أن يكون الأدب فيه مازال ركيكاً ضعيفاً .

كما أفرد فصلاً كاملاً فى الجزء الثانى من الكتاب للحديث عن الصورة العامة لقارة أوروبا فى القرن السابع عشر للميلاد وبين هدفه من ذلك فيقول : " إن الغاية من هذا الفصل أن تدل على أن عدداً من تلك اللغات لم يكن قد ولد بعد

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث ج ١ ط ١ دار العلم للملايين

وأن العدد الآخر منها كان لا يزال يحبو نحو البلوغ ، أما الأدب الأوربي - فى مجموعه - فقد كان أدنى طبقة من الأدب العربى المعاصر له ومن الأدب العربى فى الجاهلية قبل أحد عشر قرناً " (١)

إن هذا المجهود الذى بذله الدكتور عمر فروخ فى إعطاء هذه الصورة العامة للوضع السياسى والأدبى لكل دولة أوربية على حده إلى جانب توضيحه مدى تطور أو جمود ذلك الأدب يعتبر مجهوداً جيداً يضاف إلى بقية المجهودات العظيمة التى بذلها الدكتور فروخ أثناء بحثه وتأليفه . لكننا مع ذلك نجد هذا الجهد بعيداً عن موضوع الكتاب الذى يؤرخ ويدرس الأدب العربى لا الأدب الأوربي .

فعنوان الكتاب يؤكد على أن الدراسة للأدب العربى فقط ، فالقارئ أو الباحث الذى يريد التعرف على الأدب الأوربي فى تلك الفترة لا يخطر بباله إطلاقاً أن يلجأ إلى كتاب الدكتور عمر فروخ ، وبذلك يكون قد أضاع مجهوده العظيم فى جمع مادة هذا الفصل وأضاع على القارئ فرصة التعرف على الأدب الأوربي من خلال كتابه ، ولو أنه جعل هذا الفصل فى كتاب مستقل تحت عنوان :
" تاريخ الأدب فى أوروبا فى القرن السابع عشر الميلادى " لكان أفضل له وللقارئ .

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين

ج-التراجم في معالم الأدب العربي في العصر الحديث:

مما نحمده للدكتور عمر فروخ عرضه للكثير من الشخصيات التي قد تغيب على كثير من الباحثين ، فهو يجمع لنا في هذين الجزأين (٢٤٦) شخصية مما يدل على أنه بذل مجهوداً جباراً في جمع مادة هذه الشخصيات والتعريف بها مثل : شمس الدين السخاوي ص ١٣٧ ، وإبراهيم الوزيري ص ١٧٣ ، وبرهان الدين بن أبي شريف ص ٢١١ ، وابن أياس ص ٢٣٨ ، وشمس الدين بن طولون ص ٢٨٩ ، ورضي الدين الحنبلي ص ٣٦٦ ، ونور الدين العسيلي ص ٤٠٧ ومحي الدين النجار ص ٤٤٤ ، وعبدالقادر بن أحمد الفاكهي ص ٤٦٥ ، وعبدالمعطي باكثير ص ٤٩٣ ، وجلال الدين ابن هبة الله ص ٥٣٨ ، . في الجزء الأول من معالم الأدب العربي في العصر الحديث .

أما الجزء الثاني فمن الذين ترجم لهم :-

أمين الدين الصالحي الهلالي ص ١٨١ ، وأحمد بن عبد الغفار ص ٢٠٩ ، وتقي الدين الغزي المصري ص ٢٢٠ ، والمنصور الذهبي ص ٢٣٢ ، وابن القاضي الفاسي ص ٣٢٢ وعبدالكريم أفندي سنان ص ٤٢٩ ، وشمس الدين المحاسني ص ٦٦٦ ، وابن الخطيب الدمشقي الحفيد ص ٧١٨ ، ومحمد بن محي بن معصوم ص ٧٥٣ ، وعلي بن المتوكل على الله اسماعيل ص ٧٨٦ .

كما أنه أعطى ترجمات موجزة لبعض الشخصيات في الجزء الثاني تحت عنوان :-

" في اللغة والأدب عامة " فيقول : " هذا الفصل يضم اشارات إلى نفر من اللغويين

والأدباء والشعراء لم أجد أن بالامكان أفرادهم بتراجم مستقلة ثم هم يمثلون جانباً من

العصر ويتمون رسم صورته الثقافية إلى حد ما " (١)

(١) معالم الأدب العربي في العصر الحديث د . عمر فروخ ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين ص ١١٩

فهذه الشخصيات التي يذكرها في هذا الفصل - في اللغة والأدب عامة - لا يمكن ذكرها عند تناول التراجم المستقلة نظراً لقلة نتائجها كما أنه لا يمكن تجاهلها لما لها من أثر واضح في رسم صورة العصر الثقافية لذلك ذكرها تحت عنوان " في اللغة والأدب عامة " ومن هذه الشخصيات :-

علي بن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) ص ١١٩ ، ومصطفى بن ابراهيم (ت ١٠٢٤) ص ١٢١ ، وعلي بن صلاح بن محمد العبالي (ت ١٠١٩هـ) ص ١٢١ وعبدالقادر بن محمد بن محي الطبري المكي (ت ١٠٣٣هـ) ص ١٢٢ ، وأبو المواهب احمد بن علي بن عبدالقدوس بن محمد الشناوي (ت ١٠٢٨هـ) ص ١٢٣ ، وقطب الدين لطف الله بن محمد الغياث (ت ١٠٣٥هـ) ص ١٢٥ .

وقد أعاد الدكتور عمر فروخ بعض الترجمات التي ذكرت في الجزء الثالث والسادس من سلسلة تاريخ الأدب العربي فهو يقول : " لما رأيت أن تكون هذه السلسلة مستقلة في نفسها - وكانت تبدأ بمبدأ القرن العاشر للهجرة - لم يكن لى بد من أن أعيد في هذا الجزء الأول عدداً من التراجم التي مرت في الجزء الثالث (من قسم الأدب المشرقي) والجزء السادس (من قسم الأدب في المغرب والأندلس) من السلسلة الماضية ، ولكن على غاية من الوجازة ، أو مع شئ من التوسّع لم يكن فيها من قبل ، ولقد أشرت إلى التراجم المكرورة في هذا الجزء بحصر كل عنوان من عناوينها بين نجمين صغيرين " (١)

ومن هؤلاء الذين أعاد الدكتور عمر فروخ ترجمتهم :- أحمد باشا الرومي ص ١٣٧

(١) معالم الأدب العربي في العصر الحديث د . عمر فروخ ج ١ ط ١ دار العلم للملايين

وشمس الدين السخاوى ص ١٣٧ ، وشمس الدين القادري ص ١٣٩ ، والحسين بن صديق بن الأهدل ص ١٤٠ ، وأحمد بن عبيد الله ، ومحمد الجلاجولي ص ١٦٣ ، وجلال الدين السيوطي ص ١٦٣ ، وأحمد بن الفرفور الدمشقي ص ١٦٥ .

وأخيراً أقول بحق "إن مجهود الدكتور عمر فروخ في ترجمة الشخصيات التي احتواها كل عصر سواء كانت هذه الشخصيات أدبية أو غير أدبية يعتبر مجهوداً عظيماً يسجل له ، ويتسحق عليه كل ثناء وتقدير لأنه بذلك يعطي الباحثين والدارسين فرصة التعرف على شخصيات كثيرة في كل فترة أو عصر أدبي ، هذا إلى جانب الاحالة إلى المراجع لمن يريد الاستزادة حول أى شخصية من الشخصيات التي ذكرها .

أما فيما عدا ذلك فإننى أقول : إن هذا الكتاب قد عني بتوضيح أحداث سياسية واجتماعية وإبراز مساوئ اجتماعية ظهرت في تلك الفترة أكثر من احتوائه على إبراز الملامح الأدبية مما لا تتضح معه الصورة الحقة للأدب في تلك الحقبة الطويلة من تاريخ الأمة العربية .

* * * * *

الفصل الثانى
الموضوعات الادبية وطريقة
دراسته لها

- ١ - العصر الجاهلى :
 - ١ - ايهما اسبق : الشعر ام النثر .
 - ب - تاريخ الادب الجاهلى .
 - ج - قضية اللفظ والمعنى .
 - ء - المعلقةات .
 - هـ - النثر الجاهلى .
- ٢ - عصر صدر الاسلام .
 - ١ - الشعر
 - ب - النثر
- ٣ - العصر الاموى
 - ١ - النقائض .
 - ب - النثر .
- ٤ - العصر العباسى
 - ١ - ظروف العصر .
 - ب - اتساع الفنون الادبية
- ٥ - الادب العربى من مطلع القرن الخامس .
 - الهجرة الى الفتح العثمانى
 - ٦ - كثرة التأليف فى عصر الانحطاط
 - ٧ - الادب العربى فى الاندلس والمغرب
 - ٨ - الموشحات
 - ٩ - معالم الادب العربى فى العصر الحديث

١ - العصر الجاهلي :

أ - أيهما أسبق : الشعر أم النثر ؟

من القضايا الأدبية التي أثارها فروخ قضية أيهما أسبق : الشعر أم النثر ؟ !
وقد ذهب الدكتور عمر فروخ إلى أن النثر أقدم من الشعر فقال في تعريفه للكلام المنشور أنه " هو الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية ، وعلى ذلك كان الكلام المنشور أسبق في التعبير عن مقاصد الانسان وعن أفكاره " (١)

حقيقة إن الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية يسمى نثراً ولكن هناك اختلاف وفرق كبير بين هذا النثر ، والنثر الفني ، ونحن عندما ندرس الأدب لا نقصد بالنثر الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية - كما يقول فروخ - وإنما نقصد به النثر الفني الذي يقوم على أسس فنية وخصائص أدبية .

فهو قد خلط بين النثر الذي هو الكلام الطبيعي وبين النثر الفني ، وقد أعاد هذا القول إلى نفس ذلك الحوار الذي تحدث فيه جوردان " (٢) لأستاذه الفيلسوف في قصة من قصص موليير : إنني أريد أن ألقى إليك سراً ، فيقول له أستاذه : هات فيقول : إنني أريد أن أكتب بطاقة لسيدة جميلة وأريد أن أستعين بك عليها ، فيقول له أستاذه : لك ذلك ، هل تريد شعراً ؟ فيقول كلا ... هل تريد نثراً ؟ فيقول : كلا .

فيقول له أستاذه : ومع ذلك فلا بد أن تختار إما شعراً وإما نثراً ، لأن الكلام لا يمكن أن يكون إلا شعراً أو نثراً ، فيقول له صاحبه : وإذن فعندما أطلب إلى خادمي أن يناولني قلنسوتي أو حذائي فأنا أقول النثر ؟ فيقول له : نعم . فيقول :

(١) تاريخ الأدب العربي (مصدر سابق) ج ١ ص ٤٥

(٢) شخصية من شخصيات قصص موليير .

يا للعجب ! إذاً فأنا أتكلم النشر منذ أربعين سنة - ولا أدري " (١)

فنحن إذن إذا أردنا أن نعرف أيهما أقدم النشر أم الشعر ، علينا أن ننظر بمنظار فني أدبي كما ذكر الدكتور طه حسين " فعندما نلاحظ تاريخ الأمم التي كانت لها حياة أدبية وكان لها شعر ونثر ، نلاحظ أن حياتها الأدبية قد بدأت شعراً وأن الشعر وجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمان طويل " (٢) فالأمم التي لها أدب قد عبرت عن ميولها وشعورها بالشعر قبل أن تعبر عنه بالنثر ، وعندما تطورت ونشأت لديها أفكار وآراء لم توجد من قبل واحتاجت أن تنظم هذه الأفكار والآراء فعجز الشعر عن ذلك بطبيعة قواعده وأساسه والتزامه بالوزن والقافية أضطرت أن تعبر عن تلك الأفكار والآراء بأسلوب آخر أوسع ، فكان النشر . كمرحلة تالية من تاريخ التطور الفكري .

* * * * *

(١) من حديث الشعر والنثر للدكتور . طه حسين . ص ٢١ ، دار المعارف

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

ب - تاريخ الأدب الجاهلي :-

أما بالنسبة لتأريخه للأدب الجاهلي فلا أدري على أى أساس جعل فترة هذا العصر مائة وستين سنة قبل الاسلام حيث يقول : " تاريخ الأدب العربى قديم جداً ولكن أقدم ما وصل إلينا من نصوص الأدب لايزيد عمره على ألف وستمئة سنة هذه المدة مقسومة فى تاريخ الأدب ثلاث حقوب هى :-

الأدب القديم من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموى (نحو ٣٠٠ سنة) (١) أتمائة وأربعين سنة تقريباً للعصر الأموى وعصر صدر الاسلام ومائة وستين للعصر الجاهلي . ومع أن هذا التحديد لم يسر عليه أحد من القدماء أو المحدثين فمنهم من قال : إن مدة العصر الجاهلي مائة وخمسون سنة قبل الاسلام ، ومنهم من قال إنها مائتا عام ، ولم يقل أحد - غير الدكتور فروخ - بمائة وستين سنة - فمن جعل العصر الجاهلي يمتد قبل مائتى سنة قبل الاسلام إنما فعل ذلك على أساس الأحداث السياسية التى حدثت فى تلك الفترة عندما استقل العدنانيون عن اليمنيين وذلك فى منتصف القرن الخامس للميلاد " والعصر الجاهلي يبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد وينتهى بظهور الاسلام سنة ٦٦٢م " (٢)

أما الذين يؤرخون للأدب الجاهلي على أنه قبل الاسلام بمائة وخمسون سنة فيعتمدون فى ذلك على بداية الآثار الأدبية الموجودة فى النقوش أو التى عُرِفَت

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٥٨ .

(٢) الحياة الأدبية فى العصر الجاهلي للدكتور خفاجى ص ١٨ ط ١ مكتبة الحسين التجارية

عن طريق الرواية " خضع الأدب لتقسيمات وزّعها مؤرخوه على امتداد عصور التاريخ العربى والاسلامى ابتداء من العصر الجاهلى الذى حدد بدايته أدبياً قبل الاسلام بمائة وخمسين عاماً تقريباً ، وقد اعتمدوا فى ذلك على بدايات الآثار الأدبية التى وصلت عن طريق النقوش والرواية " (١) أما أن يجعل الدكتور عمر فروخ فترة التاريخ للأدب الجاهلى مائة وستين سنة قبل الاسلام فقد كنت أرجو أن يوضح السبب الذى حدا به إلى ذلك حتى نجد المبررات الكافية لما ذهب اليه.

* * * * *

(١) المدخل فى دراسة الأدب للدكتورة مريم البغدادى ص ٣٧ ط ١ تهامة / جدة

ج - قضية اللفظ والمعنى :-

أثار الدكتور عمر فروخ قضية كبرى طالما تحدث فيها القدماء وهى قضية المعنى واللفظ وأيهما أهم فى العمل الأدبى فنجد منهم من يساوى بين المعنى واللفظ كابن رشيق الذى يقول فى العمدة : " اللفظ جسد وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعروهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك من غير أن يذهب الروح وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجرم والأرواح فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ موثلاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة فى السمع وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى " (١)

كذلك فإن ابن قتيبة فى الشعر والشعراء يساوى بين المعنى واللفظ فى الأهمية ومن المحدثين نجد الدكتور خفاجى أيضاً يساوى بين اللفظ والمعنى من حيث الأهمية فيقول : " فيجب على الأديب أن يوازن بينهما موازنة دقيقة ، فلا يطغى المضمون على الشكل - أى الصورة - ولا خرج الكلام من باب الأدب إلى باب العلم ، ولا تطغى الصورة على المضمون ولا كان الكلام أدباً لفظياً لا قيمة له فى باب الفكر " (٢)

وابن الأثير الذى ذكر ذلك فى كتابه المثل السائر ، فهو يرى أن الألفاظ لا بد أن تكون سهلة حلوة موافقة للمعاني لا تزيد عليها ولا تنقص عنها .

(١) العمدة لابن رشيق ، تحقيق وشرح د . مفيد محمد قميحة ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) النقد العربى الحديث ومذاهبه للدكتور خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مطبعة الفجالة " ص ٤٦

أما من يؤثر الأسلوب (اللفظ) على المعاني فيرى أن المعاني إذا كانت كثيرة كانت حشوا فاشتغل الذهن بالغوص عليها فضاع على الذوق فرصة إيفاء حق الشعر من البلاغة ، ولا يكون الشغل سهلاً إلا إذا كانت معانية قليلة تسابق ألفاظه إلى الذهن .

وقد قدم الجاحظ قديماً اللفظ على المعني حيث يقول : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك " (١)

ومن النقاد الذين قدموا اللفظ على المعني أيضاً أبو هلال العسكري حيث يقول في "الصناعتين" : " ليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته وجسده وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعني إلا أن يكون صواباً ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت " (٢)

ويسوق ابن رشيق قول بعض العلماء من أن : " اللفظ أغلى من المعني ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والهاق ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف " (٣)

وبالنسبة للدكتور فروخ فهو يساوي بين اللفظ والمعني إذ يقول : " ولا ريب في أن الأدب هو الأدب الجيد وحده ، وكل ما سواه فليس بأدب ، فالأدب إذن هو المعني المبتكر في اللفظ الفصيح والتعبير المتين والأسلوب البارع والخيال الواسع ، وهكذا لانعد الكلام المتداول في أحاديثنا اليومية المؤلفه ولا الكلام الدائر في الرسائل العادية ————— من

(١) الحيوان . للجاحظ - ج ٢ ص ١٣١

(٢) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر الأدبي لأبي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل

ابراهيم ط بدون ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

(٣) العمدة لابن رشيق تحقيق وشرح د . مفيد محمد قميحه ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ج ٢ / ص ١٢٧

اخوانية وتجارية ولا الكلام المستعمل في الصحف اليومية والكتب العلمية أدبا ، إلا أن يتأنق المتكلم أو الكاتب فيه فيدخل ذلك الكلام حينئذ في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة والتأنق " (١) .

أما رأيي فليني أرى أنه لا ضير بالمساواة بين اللفظ والمعنى من حيث الأهمية في العمل الأدبي فالمعنى لا بد أن يُوفى بلفظ مناسب له دون زيادة ولا نقصان ، ولكن المعول الحقيقي في تقييم الأعمال الأدبية في الدرجة الأولى هو الأسلوب لأن المعاني كما قيل مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي فالأديب الجيد أو الشاعر الموهوب الذي يستطيع أن يغبر عن المعنى الواحد بعدة أساليب مختلفه ومتباينة بحيث يكون كل لفظ مضافاً على المعنى شيئاً من الروعة والرونق والوضوح والقوة والجمال .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربي ، د. عمر فروخ ، ج ١ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٤٤

د - المعلقات :-

يقول الدكتور فروخ : " ومع الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد ذاك أن الشعراء كانوا يتبارون في سوق عكاظ أمام أحد فحول الشعر - وقد ذكروا من هؤلاء النابغة - فمن حكم له انداده أُختيرت قصيدته و (عُلقت) قيل اعدّوها علقاً أى شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدار الكعبة ، وقيل بل علقوها بالذهن أى حفظوها عن ظهر قلب ، وليس من المستبعد أن تكون المعلقات قد دونت وعلقت في الكعبة تصديقاً للروايات الكثيرة المتواترة في ذلك وجرياً على عادة الجاهليين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها في الكعبة نفسها " . (١)

فهو يذكر الآراء التي قيلت حول تسمية (المعلقات) من أنها قد تكون أُعتبرت علقاً أى شيئاً نفيساً ، أو تكون قد عُلقت بالذهن وحفظت عن ظهر قلب ، ثم لا يستبعد أن تكون قد دونت وُعلقت في الكعبة معتمداً في ذلك على الروايات الكثيرة المتوافرة ومعتمداً أيضاً على عادة الجاهليين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها في الكعبة وأنا لأوافق في الرأي الأخير ، هذا لأنه بالنسبة للروايات الكثيرة فإنها لم تأت في وقت متقدم ، وإنما أول من ذكر تعليق المعلقات على الكعبة ابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ أو عزاها غيره إليه رغبة في تحبيب الناس في الشعر الجاهلي واقبالهم عليه بعدما رأى بوادر الانصراف عنه إلى الشعر الاسلامي .

وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ، وهذا الكتاب متأخر ، ثم إن حماد الرادية (١٥٦م هـ) هو الذي قام بجمعها لأول مرة وسماها المشهورات أو السمـوط جمع سمط وهو العقد ، ولم يطلق عليها المعلقات . فلو أن المعلقات عُلقت في الكعبة بالفعل لذكر المتقدمون ذلك .

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ، ج ١ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٢٥

أما قوله وجرياً على عادة الجاهلين فى كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها فى الكعبة لا يمكن أن يكون دليلاً يُستند عليه فى القول بتعليق المعلقات فى الكعبة فالأمر مختلف هنا لأن العهود والمواثيق تحتاج إلى أن يعرفها القوم جميعهم ويلتزمون بها ولا يخالفونها لذلك تُدَوّن هذه العهود والمواثيق وتُعلق على الكعبة ، ولكن المعلقات لاتنص على عهد أو ميثاق كى تُعلق فى الكعبة إضافة إلى ما فيها من فحش لا يتناسب وقدسية الكعبة موضع تقديسهم وإجلالهم . وأنه لم يرد لنا شىء عنها فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ورد لعرفه الناس وتناقلوه ، وإنما يمكن لنا أن نقول فى سبب تسميتها بالمعلقات بما قاله فريق من الباحثين رواه لنا التبريزى الذى يقول فيه : " وذهب فريق إلى وجه تسميتها بالمعلقات علقوها بأذهان صغارهم وكبارهم ومراءسيهم ورؤسائهم وذلك لشدة اعتنائهم بها " (١) فلأنها علقت بالأذهان وحفظت عن ظهر قلب سميّت المعلقات، والله أعلم .

+ * * * *

(١) الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى د . محمد عبد المنعم خفاجى ط ١ مكتبة الحسين التجارية ص ٢٦٢ .

هـ - النشر الجاهلي :-

يذكر الدكتور عمر فروخ أغراض النشر الأدبي في العصر الجاهلي فيقول : " ومن أوجه النشر في الجاهلية الأمثال والوصايا وسجع الكهان " (١) ثم يعرف كل نوع على حده فيقول : أما الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار " ثم يفرق بينها وبين الحكم : " ومع أن المثل قول حكيم على كل حال فإنه غير الحكمة لأن الحكمة قول صائب في حال مخصوصة ، بينما المثل قول موافق للواقع يعمل الإنسان به " (٢) أما الوصايا فيقول فيها : " وأما الوصايا فهي من باب الخطب ، إلا أن الخطبة تُقال في الحفل المجتمع ، بينما الوصية تُقال للفرد " (٣) .

وفي سجع الكهان يقول : " وأما سجع الكهان فإنه أيضا من باب الخطابة ولكن جملة أقصر ، والسجع في فصول الكلام مطرد لا تخلو جملة منه من سجعه ، ولذلك سمي سجع الكهان " (٤)

فهو يذكر أن الوصايا من باب الخطب وكذلك سجع الكهان لكنه لم يذكر شيئا مفصلاً حول الخطابة ولم يعطها حقها من الإيضاح مع أنها من أبرز فنون النشر في العصر الجاهلي ، إذ كانت هي النافذة التي يطل منها الأديب على مجتمعه إما ناصحاً أو حاثاً على قتال الأعداء أو داعياً إلى السلم أو مفاخرراً أو مهنتاً

يقول الدكتور شوقي ضيف : " كان للخطابة في العصر الجاهلي شأن عظيم إذ كانوا يستخدمونها في منافراتهم ومفاخراتهم وفي النصيح والارشاد وفي الحث على قتال الأعداء وفي الدعوة إلى السلم وحقن الدماء ، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة

(١، ٢) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ط ٤ دار العلم للملايين ج ١ ص ٨٩

(٣) المصدر السابق ص ٩٠

(٤) المصدر السابق ص ٩٠

كالزواج والاصهار إلى الاشراف وكانوا يخطبون في الأسواق والمحافل العظام والوفادة إلى الملوك والأمراء متحدثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها " (١) فقد كان للخطابة دور كبير في الحياة العامة والخاصة فهي من أبرز الفنون الأدبية في ذلك العصر ، ومع ذلك يغفل الدكتور فروخ تفصيل الحديث فيها وبيان موضوعاتها ويكتفى بالقول فيها : " والخطابة قديمة وعامة في جميع الأمم ، ويرى الجاحظ أن الفرس أخطب الأمم كلها والخطابة صعبة لحاجة الخطيب إلى البداهة والارتجال والبدو أحسن خطباً ممن المولدين ومن أهل المدن عامة لأن البدوي يجرى على الطبع والسليقة ولا يتكلف في شيء وتكون الخطب طويلاً وقصاراً ، إلا أن القصار أفضل لأنها أسرع علوقاً بالذاكرة وأطول مكثاً فيها " (٢)

وفي خصائص النثر الجاهلي بصفة عامة يقول : " ومن خصائص النثر الجاهلي أنه كثير الفواصل والموازنه ، مقتصد في السجع قليل الصناعة " (٣)

أما الدكتور شوقي ضيف فيذكر أن الخطابة في العصر الجاهلي كانت مثقلة بالصناعة اللفظية : " من الصفات التي تميز عرب الجاهلية أنهم كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة ، ودفعهم ذلك إلى الاحتفال بخطاباتهم احتفالاً شديداً لا من حيث البقل وتجديد الألفاظ فحسب بل أيضاً من حيث مخارج الكلم " (٤) كما أن الدكتور زكي مبارك يثبت السجع خصيصة من خصائص النثر الجاهلي فيقول : " وما جمعه الرواة من خطب الجاهليين أكثره مسجوع كخطبة قس بن ساعدة الأيادي وخطبة النابغة الذبياني " (٥) .

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ط ٨ دار المعارف بمصر ص ٢٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربي - د. عمر فروخ ج ١ ط ٤ . دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان

(٣) المصدر السابق ص ٨٩

(٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف ط ٨ دار المعارف بمصر ص ٣٣

(٥) النثر الفني في القرن الرابع ج ١ زكي مبارك ص ٧٦

فالنثر الجاهلي إذ أن كان يقوم على السجع يقول الدكتور شوقي ضيف : " ثبت عند من يروون المنافرات والخطب الجاهلية أنها كانت تعتمد اعتماداً شديداً على السجع" (١) لكن الدكتور عمر فروخ يرى أن هذا السجع كان مقتصداً فيه مع أن الأدلة تثبت أن النثر الجاهلي بصفة عامة يقوم على السجع والصناعة سواء في الوصايا أو الخطب أو الأمثال أو سجع الكهان ومثال ذلك في الوصايا ، وصية زهير بن خباب الكلبى لبيته " يا بني قد كبرت سني وبلغت حرصاً من دهري ، فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار فاحفظوا عني ما أقول وعوه : إياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعيه للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط إلا أبتلوا ولكن توقعوها فإنما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماح ، فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع غن يمينه وشماله ثم لا بد أنه مصيبه " (٢)

فالصناعة اللفظية واضحة في الوصية السابقة (المصائب ، النوائب) ،
(مغترين ، آمين ، ساخرين) .

أما الخطب فخير دليل على ما تحتويه من صناعة هو خطبة أكرم بن صيفي التي يقول فيها : " إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة والشر لجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء ، آفه الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطه وسوء الظن عصمة ، اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي . . " (٣)

-
- (١) الفن ومذاهبه في النثر العربي - د. شوقي ضيف - ط ٨ دار المعارف بمصر ، ص ٣٥
(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة - ج ١ - العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام - أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية . بيروت ص ١٨٢ ، ١٨٨
(٣) المصدر السابق . (ص ٥٦)

فالصناعة اللفظية بصفة عامة والسجع بصفة خاصة يظهران في الخطبة السابقة بوضوح وكذلك الأمثال كانت تقوم على السجع، ولولم يكن كذلك لما حفظ لنا ووصل إلينا هذا الكم من الأمثال الجاهلية مثل : "إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد ، الحر حر وإن مسه الضر - رب كلمة سلبت نعمه " أما سجع الكهان فلا يقوم إلا على السجع ولذلك سمي بسجع الكهان (١) ومنه قول أحدهم " والأرض والسماء والعقاب والصقعا ، واقعة ببقعاء لقد نفر المجد بني العُشراء للمجد والسَّناء "

فهذه أدلة واضحة على أن النثر الجاهلي بأغراضه المختلفة يقوم على الصناعة اللفظية خاصة السجع ، ولكن هذه الصناعة غير متكلف فيها بل كانت تأتي متسقة مع المعنى غير مخلة به ولا بعيدة عنه ، وقد ذكر الدكتور عمر فروخ أنه على من يريد التعرف على أساليب الجاهليين عليه بالرجوع إلى القرآن الكريم حيث يقول : " وبما أننا لسنا على ثقة من أن جميع النصوص النثرية قد رويت لنا عن الجاهلية بلفظها الأول فقد أصبح لزماً على من أراد أن يتعرف إلى أساليب الجاهليين في نثرهم أن يتلمسها في القرآن الكريم ، فإن حجة ذلك الآية الكريمة : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " ففي القرآن الكريم جميع أساليب العرب " (٢)

وهذا أمر أوافق فيه وأقره عليه فبالفعل لا بد أن يكون القرآن الكريم قريباً من النثر الجاهلي في خصائصه اللفظية لأنه بلغة قوم المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي اللغة العربية .

أما الحديث حول مدى صحة ما وصل إلينا من النثر الجاهلي فيمكن لـ

أن أقول : لأنه لا يمكن الجزم بأن كل ما وصل إلينا على أنه نثر جاهلي هو جاهلي فعلاً

(١) الكاهن : هو من يدعى علم الغيب أو التنبؤ به - وكهن : أخبره بالغيب فهو كاهن

وسجع الكهان : كلامهم المزوق المتكلف (راجع المعجم الوسيط ج ٢) ص ٨٠٣

تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ط ٤ دار العلم للملايين ج ١ ص

(٢) المصدر السابق ص ٨٩

فقد تعرض النثر الجاهلي - وكذلك الشعر - إلى الوضع والانتحال إلا أن المقدرة على الوضع في النثر كانت أسهل وأوسع ، ويذكر الدكتور عمر فروخ قول ابن رشيـق رايـاً عن غيره " ماتكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره " (١) وعلى كل فإنه لايمكن اغفال ماكان للأدباء في العصر الجاهلي من جهد ومشقة في اخراج هذاالنثر " وأكبر الظن أن فيما قدمنا من حديث عن سجع الكهان وخطابه الجاهليين وماكان من أمثالهم ما يدل دلالة صريحة على أن ماسلم لنا من بقايا نثرهم إنماهو شظايا متناثرة من صناعة بليغة تستنفد من أصحابها آماداً واسعة من التعب والعناء والجهد والنشاط " (٢)

فالنثر الجاهلي له قيمته التاريخية والأدبية فهو يقدم صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية في ذلك العصر وإن تعرض لبعض الوضع فهذا لا يقلل من قيمته أو يحط من شأنه فهو أدب رفيع . لا يخلو من الصدق رغم ماقال فيه المشككون والمغرضون .

ولكى أنهى حديثي عن النثر الجاهلي وآراء الدكتور عمر فروخ النقديه فيه لا بد لى من أن أعرض لقضية هامة طرحها الدكتور فروخ ولم يعلق عليها أو يفصح عن رأيـه فيها وهى قوله : " وبعض النقاد يفضل الكلام المنظوم على الكلام المنثور ، كابن رشيـق وأبى هلال العسكري ، أما ابن الاثير فيرى أن المنثور أشرف من المنظوم لأن أسباب النظم أكثر وميدانه أوسع ، ولذلك كان عدد المجيدين من الشعراء أكبر من عدد المجيدين من الكتاب " (٣)

-
- (١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ط ٤ دار العلم للملايين ج ١ ص ٨٩ .
(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقي ضيف ص ٤١ ط ٦ - دار المعارف بمصر
(٣) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ط ٤ دار العلم للملايين ج ١ ص ٨٨ .

أما رأيي فهو أن الكلام المنظوم أفضل وأرقى من الكلام المنثور لأن الكلام المنظوم له قواعد لابد أن يُتقيد بها، فإذا استطاع الأديب (الشاعر) أن يتقيد بهذه القواعد سواء في الوزن أو الموسيقى أو القافية وقواعد النحو والصرف ويسير عليها ويعطي نظاماً يقوم على فكرة جيدة بأسلوب جيد، فإنه بلا شك يكون أفضل من الكلام المنثور الذي ليس له قاعدة ضيقه تحكمه، وإنما يمكن للأديب (الكاتب) أن ينطلق ويتحدث بما يبين عن فكرته وما يحكمه في ذلك إلا الالتزام بالقواعد النحوية والصرفية والصياغة الجيدة والابتناء عن غرضه .

* * * * *

٢ - عصر صدر الاسلام

أ - الشعر :

إن أول ما نلاحظه على الأدب في عصر صدر الاسلام وعصر الخلفاء الراشدين تأثره بالقرآن الكريم سواء في الألفاظ أو في المعاني " رأينا أن الشعر في الصدر الأول من الاسلام لا يختلف كثيراً في أسلوبه منه في الجاهلية ، أما في المعاني والأغراض فقد كان الفرق بين العصرين كبير جداً : هجر المسلمون الأغراض الوثنية : القسم بالآوثان ، والكلام في العصبية ، والفخر بالخمير والثأر إلا قليلاً ، ثم أحلوا مكانها بالمعاني الاسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة " (١)

وهذا أمر طبيعي فهذا الدين الذي صحح العقائد وصحح العبادات وأثار الطريق للناس وأزكى في أنفسهم حب الخير والتفاني في فعله ونشر بينهم الأخلاق الفاضلة من صدق وأمانة وتسامح ووفاء ، وصبر وإيثار وبما أنه غير كثيراً في أخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم فلا بد أنه أثر على أديبهم الذي هو عبارة عن مرآة للعصر الذي يُقال فيه فكان شعرهم يتضمن المعاني الاسلامية ويدعو إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والبعد عن الفواحش ، ومن هذا الشعر الداعي إلى مكارم الأخلاق قول معن بن أوس :- (٢)

وذي رحم قلّمت أظفار ضغنه * * بحلمي عنه وهو ليس له حلمٌ
إلى أن يقول :
فما زلت في لينى له وتعطفى * * عليه كما تحنو على الولد الأمُ

(١) تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ط ٤ دار العلم للملايين ج ١ ص ٢٤٦

(٢) العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف ط ٧ دار المعارف بمصر ص ٢٤ .

وقول كعب بن زهير لزوجته (١):
 أعلم أني متي ما يأتني قدرى * * فليس يحبسه شح ولا شفق
 بينا الفتى معجب بالعيش معتبط * * إذا الفتى للمنايا مسلم غلى
 والمرء والمال ينمى ثم يذهبه * * مرّ الدهور ويفنيه فينسحق
 فلا تخافي علينا الفقر وانتظري * * فضل الذى بالغنى من عنده نشق
 إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا * * ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

ويرد الدكتور عمر فروخ على بعض المستشرقين الذين يدعون بأن الاسلام لم يؤثر على ثقافة المسلمين إلا فى العصر العباسى : " زعم نفر من المستشرقين أن الاسلام انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً منذ انتصار الاسلام الحربى فى شبه الجزيرة ، ولكن الاسلام الثقافى لم يجد طريقه إلى قلوب المسلمين إلا فى العصر العباسى ، وقد كانت حجتهم أن الشعر العربى الأول كان خالياً من الصور الاسلامية المختلفة " (٢)

فيرى الدكتور فروخ أن هذه النظرة خاطئة إذ أن الشعر العربى اشتمل على كثير من الألفاظ الاسلامية وتأثر به تأثراً بالغاً فيقول : " وبالرجوع إلى الشعر العربى يتبين أن حجة المستشرقين لم تكن تستند إلى أساس ، فإن الألفاظ الاسلامية والمدارك الاسلامية وجدت طريقها إلى الشعر العربى منذ الهجرة على الأقل ، وهذا لايعنى أن المسلمين الذين أسلموا قبل الهجرة ثم أُنقوا لهم أن قالوا شعراً لم يظهر أثر الاسلام فى شعرهم ، ولكن المسلمين قبل الهجرة كانوا قلة ولم يكن ثمة مناسبات تقتضى قول الشعر كالتى كانت بعد الهجرة " (٣)

(١) ديوان كعب بن زهير ، شرح ودراسة د . مفيد قميه ط ١ دار الشواف للطباعة

والنشر - الرياض - السعودية ١٤١٠ - ١٩٨٩ ص ١٢٣-١٢٤

(٢) تاريخ الادب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ١٥٧

(٣) المصدر السابق . (ص ١٥٨)

وأنا أستغرب في أن يكون لبعض المستشرقين رأى كهذا ! ألم يقفوا على
الأدب في صدر الاسلام شعراً ونثراً ولمسوا التأثير البالغ بالقرآن الكريم
ونظروا إلى الصور الاسلامية المختلفة ؟ !

كيف يطلقون الأحكام دونما دليل ، والدليل واضح وظاهر ظهور الشمس على
تأثر الأدب في صدر الاسلام بالمعاني الاسلامية حتى أنه لم يتأثر - الأدب -
في أى فترة من فترات الدولة الاسلامية المتعاقبة بالقرآن الكريم والمعاني الاسلامية
كتأثره به في صدر الاسلام إذ أننا نجد معظم الشعراء لم يكن كله يعتمد
على بث الروح الاسلامية ، وقد كان التأثير واضح في الألفاظ والمعاني في آن واحد
مما حدا بالشعراء والأدباء أن يبتعدوا عن أغراض جاهلية قديمة كالهجاء اللاذع
والغزل الفاحش والتعصب القبلى ، وأصبح المديح مترناً يعتمد على الصدق دون مبالغة
وكذلك الفخر والرياء ، والهجاء أيضاً لا يخالف الحقيقة ومن ذلك قول حسان بن ثابت
مادحاً المصطفى صلى الله عليه وسلم :- (١)

وأحسن منك لم ترقط عيني *
خلقت مبرءاً من كل عيب *
وأجمل منك لم تلد النساءُ *
كأنك قد خلقت كما تشاءُ *

وفى رثائه يقول :- (٢)

وما فقد الماضون مثل محمدٍ *
ولا مثله حتى القيامة يُفقدُ *

وقول كعب بن زهير :- (٣)

إن الرسول لسيف يستضاء به *
في عصبة من قريش قال قائلهم *
زالوا فما زال انكاس ولا كشف *
مهند من سيوف الله مسلول *
بيطن مكة لما أسلموا زولوا *
عند اللقاء ولا ميل معازيل *

(٢٠١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ص ١٤٨ و ٦٣

(٣) ديوان كعب بن زهير (مصدر سابق) ص ١١٥

وقول حسان بن ثابت في هجاء أبي سفيان :- (١)

ألا أبلغ أباسفيان عنسى	**	فأنت مجوف نخبهـواء
بأن سيوفنا تركتك عبداً	**	وعبد الدار سادتُها الاماء
هجوته محمداً فأجبت عنه	**	وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكف	**	فشركما لخير كما الفداء
هجوته مباركا براً حنيفاً	**	أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم	**	ويمدحه وينصره سوءاً

فالروح الاسلامية كانت تطفئ على شعر الشعراء ، والألفاظ كانت مستوحاة من القرآن الكريم في كثير من الأحيان ، وهذا أمر لا جدال فيه إطلاقاً لأن الأدب عبارة عن وصف للأحوال السائدة في العصر الذي قيل فيه، وليس هناك حدث أهم من ظهور هذا الدين القويم ليتأثر به الشعراء والأدباء على حد سواء فأنت أفاظهم ومعانيهم متأثرة تأثراً واضحاً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الاسلامي .

* * * * *

(١) شرح ديوان حسان / عبدالرحمن البرقوقى (ص ٦٠ - ٦١)

ب - النشر في عصر صدر الاسلام :-

يذكر الدكتور عمر فروخ أن النشر الاسلامي كان استمراراً للنشر الجاهلي كما يحدد الأمور التي يختلف فيها النشر الاسلامي عن النشر الجاهلي فيما يلي :-

أ - كان هذا النشر الاسلامي الذي وصل إلينا أكبر مقداراً وأوسع مدى هنالك إلى جانب أحاديث رسول الله ، وخطب رسول الله ، وخطب الخلفاء الراشدين وخطب قادة الجيوش .

ب- إن هذا النشر الذي جاء إلينا من صدر الاسلام كان موشوق الرواية ثبثاً أكثر من النشر الذي وصل إلينا من الجاهلية .

ج - ثم إن هذا النشر كان بطبيعة الحال شديد التأثير في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم من وجهين : كان في الدرجة الأولى أفصح ألفاظاً وأسهل تركيباً وأعذب تعبيراً وأما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكاً وأبرع دلالةً وآتق ديباجةً لأن الناشرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجرى في أساليب متعددة بتعدد الأغراض من ترغيب وترهيب " (١)

والفقرة الأخيرة هذه هي أكثر ما يهتما في الحديث عن نقد النشر عند الدكتور عمر فروخ فهو يذكر فيها أن النشر في صدر الاسلام كان شديد التأثير في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم وما ذلك في رأيي إلا لأن الاسلام قد حارب العصبية القبلية ، والتناحر بين القبائل والمنافرات والمفاخرات وأما هذه النعرات فلم تعد تظهر في النشر الاسلامي إلا الروح الاسلامية من حيث الأغراض والأساليب :

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ص ٢٥٤ ط ٤ دار العلم للملايين .

فكانت الأغراض إما حشاً على القتال في سبيل الله أو توضيحاً لبعض أحكام الاسلام أو نصحاً للمسلمين وما إلى ذلك من تأصيل القيم الاسلامية وترسيخ مفاهيمها ، كذلك فقد تأثرت الأساليب بالقرآن الكريم وبلاغته ، وظهر الاقتباس من القرآن الكريم وهذا ما نتراه واضحاً في خطب الرسول عليه الصلاة والسلام وخطب الخلفاء الراشدين أيضاً .

إلا أن الخصائص العامة للخطبة في صدر الاسلام كانت جاهلية من حيث الأسلوب وذلك للقرب الزمني بين الجاهلية والاسلام فما زالت خصائص النثر الجاهلي من حيث الأسلوب سائدة في النثر الاسلامي ، فالأسلوب كان يعتمد على الاقتباس من القرآن الكريم والتأثر بألفاظه إلى جانب التأثر بالأسلوب الجاهلي الذي لم يكن بعيداً عن القرآن " واختلفت أغراض الخطابه ومغانيها في الاسلام منها في الجاهلية كما أتفق في الشعر ولكن أسلوبها ظل - كما ظل أسلوب الشعر أيضاً - جاهلياً قصراً في الخطب وإيجازاً في الجمل مغشى كثير من الموازنة وشيء قليل من السجع يضاف إلى ذلك اقتباس أو تضمين للأمثال والأشعار ، وزاد الخطباء في الاسلام الاستشهاد بآيات من القرآن وبأحاديث لرسول الله " (١)

ولقد نهضت الخطابة في عصر صدر الاسلام وكانت هي الفن النثري الأول في ذلك العصر ، يقول الدكتور عمر فروخ حول أسباب ازدهار الخطابة " وأما ازدهار الخطابة فكان لحاجة الاسلام إلى الخطابة في سبيل الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحميس الجند "

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٢٥٦

ثم حدثت حاجة الخلفاء والأمراء (في الجيش) والولاة إليها لاعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وأمراء الجيوش وولاة الأمصار والقضاة من الخطباء ضرورة غير أن بعضهم كان أخطب من بعض ، فعلي بن أبي طالب كان خطيباً موهوباً فوق عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب ، ولا غرو فكلام علي يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث " (١)

إذن كانت دواعي ازدهار الخطابة في عصر صدر الاسلام متوفرة، ومجمل القول حول النشر في عصر صدر الاسلام في رأى الدكتور عمر فروخ له: إن هذا النشر كان متأثراً بالقرآن الكريم وروح الاسلام من حيث المعنى أما من حيث الأسلوب فإن التأثير كان مزدوجاً بالقرآن الكريم والنشر الجاهلى ولكن ما آخذه على الدكتور عمر فروخ عدم الاستشهاد ببعض الخطب التى يظهر فيها الاقتباس من القرآن الكريم ، والتأثر بألفاظه عند حديثه عن تأثر النشر في صدر الاسلام بالقرآن الكريم كما أنه من لم يوضح المعانى التى كانت موجودة فى الخطبة الجاهلية واندثرت بظهور الاسلام من منافرات ومفاخرات وعصبيات قبلية وعلى كل فإنى أرى أنه استطاع أن يعطى صورة عامة للنشر الفنى فى عصر صدر الاسلام ، وأن يبرز لنا كثيراً من خصائصه الفنية .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العم للملايين ص ٢٥٦

٣ - العصر الأموي

أ - النقائص :-

يتحدث الدكتور عمر فروخ عن فن النقائص عند تناوله العصر الأموي بالدراسة ، ويبين سبب نشوء هذا الفن " كانت النقائص في العصر الأموي استمراراً للهجاء القبلي في الجاهلية ، وكان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين فينتصر شاعر لقومه أو لأحلاف قومه فيرد عليه شاعر من هؤلاء ، فيعود الأول إلى الرد عليه ، ثم يلتحم الهجاء ويستطير " (١) ويذكر أيضاً سبب ازدهار هذا النوع من الشعر فيقول : " ولقد أذكي هذه النزعة في الشعراء قيام الأجزاء وتقرب هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسباً للمال " (٢)

فالنقائص إذن هي : دعوة للهجاء القبلي الذي كان في الجاهلية وخمد في عصر صدر الاسلام تمشياً مع تعاليم هذا الدين الجديد الذي لا يفرق بين عربي ولا عجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ولكن مع بداية العصر الأموي عادت النزعة القبلية التي كانت في الجاهلية وذلك كما ذكر الدكتور فروخ بسبب قيام الأحزاب السياسية والقبلية ، ومحاولة الشعراء التقرب من الخلفاء والأمراء عن طريق مدحهم وهجاء من يناهضهم رغبة في المال ، إلى جانب أنها كانت وسيلة للتسلية والترويح عن النفس يقول الدكتور شوقي ضيف في ذلك " وفي العادة كان الجمهور يتحرك من شاعر إلى شاعر وخاصة حين يحاول شاعر أن يرد على ماري به شاعر قبيلته ، فيشتد الحماس عند القبيلة وعند الجمهور المحتشد ويشتد التصفيير والتصفيق ويتجمع الناس من كل مكان لينظروا ما هو صانع بخصمه " (٣)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ، ج ١ ص ٣٦٣ (٢) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٣) التطور والجديد في العصر الأموي . الدكتور شوقي ضيف ط ٥ دار المعارف بمصر

وهذا هو الفرق بين هذا الهجاء والهجاء الجاهلى فالشاعر الجاهلى لم يكن ينظم القصائد الطوال فى الهجاء ولم يهجو ليضحك الجمهور أو يسليه ، يقول الدكتور شوقى ضيف " وهذا أهم فرق بين الهجاء فى القديم وفى الحديث أو فى العصر الجاهلى والعصر الأموى ، فالشاعر الجاهلى لم يكن يهجو ليضحك جمهوراً ، وليقطع له أوقات فراغه ولم يكن يهجو أمام خصومه مباشرة ولم يكن يحترف الهجاء على هذا النحو الذى نجده فى عصر بنى أمية " (١)

فالنقائص كانت فناً يراد منه التسلية والامتناع للجمهور وهذا هو الاختلاف بينه وبين الهجاء الجاهلى إذ أن الشاعر يأخذ فى ذكر مثالب خصمه ليضحك أنصاره أو ليضحك الجمهور عامة ثم يرد عليه الخصم وهكذا ، فيتحول من الرغبة فى التعريض والهجاء اللاذع الذى كان سائداً فى الهجاء إلى مجرد النكتة والتسلية عن طريق ذكر العيوب ، وقد أوضح الدكتور شوقى ضيف الغرض الأساسى من الهجاء فى فن النقائص : " فالغرض الأساسى من الهجاء تحول إلى الرغبة فى إعجاب الجماهير من الخصوم و غير الخصوم وهذا معنى ما نقوله من أن الهجاء أصبح حرفة أو مهنة ، فالشاعر يريد أن يتفوق على خصمه عند الجماهير المحتشدة فى المربد أو فى الكناسه ، ولم يعد كل همه أن يرضى قبيلته ، بل لعله لم يعد يفكر فيها ، إلا باعتبارها جزءاً فى الجماهير المتجمعة من حولها " (٢)

ولم يذكر الدكتور فروخ غير أن النقائص هى عودة للهجاء القبلى الذى كان سائداً فى الجاهلية فلم يذكر أن الشاعر لم يعد يهيم التعريض والهجاء وذكر العيوب بقدر

(١) التطور والتجديد فى العصر الأموى الدكتور شوقى ضيف ط (٥) دار المعارف بمصر

ص ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ - ١٦٥ .

ما يهيمه الامتاع وتسلية الجمهور وضحكهم سواء من قبيلته أو من غيرها وأكتفى بقوله
أنها عودة للحمية الجاهلية " كانت النقائض تمثل جانباً من العصر الأموي ، ذلك
الجانب المضطرب بالتنازع على الخلافة مع ما يستتبعه ذلك التنازع من الأحوال : لقد دلت
على أن الحمية الجاهلية ظلت ذات أثر في النفوس حتى بعد أن انتشر الاسلام " (١)

وما ثبت أن النقائض لم يكن المراد منها الهجاء القبلي وإنما اللهو والتسلية أن شاء زِي
النقائض الكبيرين جرير والفرزدق كانا متحابين " فقد حزن جرير على صاحبه حزناً شديداً
حين سبقه إلى الموت ورثاه بأبيات مختلفه " (٢)

ومن رثائه قوله :-

فُجِعْنَا بِحَمَلِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ	وحامي تميم عرضها والمراجع
بِكَيْنَاكِ جُدْثَانَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا	بكيناك شجواً للأمور العظام
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً	ولاشدَّ اتساع المطى الرواسم

فهذه هي حقيقة النقائض في العصر الأموي . أما قيمة النقائض : فلها قيمة لغوية
أدبية بالغة ، يقول الدكتور عمر فروخ : " شعراء المناقضات قد حفظوا اللغة
العربية صافية كما كانت في الجاهلية ، فلقد حفظوا العدد الأوفر من الألفاظ حتى قيل :
لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة وقيل بل ثلثاها ، وكذلك حفظوا لهذه اللغة جزالتها " (٣)
أما التراكيب فيقول فيها : " وكذلك إذا نظرنا إلى التراكيب رأيناها تراكيب متينة تجرى على
الأسلوب العربي القديم وهكذا نستطيع أن نقول : إن النقائض كانت مزيجاً من معان
قديمة وجديدة ولكن في لغة قديمة " (٤)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ص ٣٦٣ ط ٤ دار العلم للملايين
(٢) التطور الجديد في العصر الأموي ص ١٢٩ ، د . شوقي ضيف ط (٥) دار المعارف
بمصر .
(٣ ، ٤) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ط ٤ دار العلم للملايين

وأما من الناحية الأدبية فيقول فيها : " كانت النقائض تقليداً واضحاً للمعلقات خاصة تقليداً في شكل القصيدة وفي كثرة أغراضها وطول نفسها وهي كثيرة من خصائصها الأخرى كالفخر بالانساب والهجاء القبلي والنسيب في مطالع القصائد وكالغزل البدوي عفيفاً وصريحاً " (١) فالنقائض كانت فناً أدبياً رائعاً من الناحية اللفظية فقد حفظ لنا شعراء النقائض اللغة العربية صافية قوية متينة جزلة وقد استفاد النحاة واللغويون كثيراً منها حيث كانوا يستشهدون بهذه الأشعار على قواعدهم النحوية والصرفية إلا إنها من حيث المعاني كانت بعيدة عن الخلق الاسلامي ، فإنني لا أنكر أن هذه النقائض أعادت العصبية القبلية بما أشتملت عليه من هجاء لاذع وذكر لمثالب الخصم وتفاخر بالانساب وهذه أمور قد عفا عليها الاسلام ومقتها وأندثرت في عصر صدر الاسلام لكنها عادت للظهور مع العصر الأموي ، لكن لم يكن الهجاء مع استمرار هذه النقائض خاصة بين جرير والفرزدق مقصوراً لذاته وإنما كما ذكرنا أصبح وسيلة لتسلية الجمهور والترويح عنهم. ويوضح لنا الدكتور شوقي ضيف ماهية النقائض من الناحية المعنوية فيقول : " ليست النقائض إذن أهاجي بالمعنى القديم الذي كان يفهمه العرب في الجاهلية للهجاء ، وإنما هي مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية لعصر بني أمية " (٢)

وفي معاني النقائض يقول الدكتور عمر فروخ : " ويحسن أن نشير إشارة خاصة إلى أن الآراء الاسلامية والآيات الكريمة قد سادت المناقشات ، لقد كانت النقائض قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة ، ثم كانت اسلامية بمعانيها الجديدة وفي بعض أغراضها " (٣)

(١) تاريخ الأدب العربي د. عمر فروخ . ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ط ٤ دار العلم للملايين

(٢) التطورات والتجديد في العصر الأموي د. شوقي ضيف ص (١٨١) ط ٥ دار المعارف بمصر .

(٣) تاريخ الأدب العربي د. عمر فروخ ج ١ ص ٣٦٦

ف نجد أن الروح الاسلامية تظهر في كثير من الأحيان في هذه النقائض كالخوف من يوم القيامة ، وذكر بعض المعاني الاسلامية والتأثر بالقرآن الكريم ومن ذلك قول الفرزدق :

ولما رأينا المشركين يقودهم * * قتيبة زحفاً في جموع الزمازم
ضربنا بسيف في يمينك لم تدع * * به دون باب الصين عيناً لظالم
به ضرب الله الذين تحزبوا * * بيدر على أعناقهم والمعاصم

ويذكر الدكتور فروخ أن النقائض لم تتأثر بعلم الكلام والجدل الديني الذي كان سائداً في تلك الفترة حيث يقول : " عاصر شعراء النقائض نشأة علم الكلام وتوفي الفرزدق وجير بعد الحسن البصري (توفي سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م) ببضع سنوات ، ولكننا لم نجد مسائل الجدال الديني ولا قضايا البحث العقلي ولا بوادر الاتجاه العلمي قد اتخذت طريقاً إلى المناقضات على الرغم من أن البصرة - وهي مركز الحركة الفلسفية الأولى - كانت سوقاً عظيمة لهذه النقائض " (١) وللدكتور شوقي ضيف رأى مخالف في هذا الموضوع فنراه يقول في كتابه التطور والتجديد في العصر الأموي : " لم تعد قصيدة الهجاء إذن تخوض في معاني محدودة ، بل أصبحت تتناول معاني واسعة ، أو قل معاني معقدة فيها جاهلي قديم ، وفيها اسلامي حديث وفيها هذا التلوين العقلي الذي لا بد للشاعر أن يكتسبه من بيئة العلماء الذين يتحاورون في النحل ومسائل القدر والايمان " (٢)

وفي رأئي: إن الظروف الاجتماعية والعلمية التي كانت سائدة في عصر بني أمية لها الأثر الكبير على هذه النقائض وهذا أمر طبيعي إذ أننا نجد أن الأدب في عصر

(١) تاريخ الأدب العربي د. عمر فروخ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٦٦

(٢) التطور والتجديد في العصر الأموي د. شوقي ضيف . ط ٥ دار المعارف بمصر ص (١٩٤)

صدر الاسلام قد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الاسلامي ، وكذلك العصر العباسي تأثر الأدب نفسه بمجريات العصر ، فأمر طبيعي أن يتأثر شعراء النقائص بعلم الكلام والجدال الديني والبحث العقلي الذي عاصره ، فأصبحت هذه المناقشات كأنها مناظرات واسعة في حقيقة قبائل المتناقضين وعشائرها وذلك بسبب نشوء المناظرات الدينية والعلمية ، وتأثر النقائص بها .

* * * * *

ب - النثر في عصر بني أمية :-

ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهاراً لم تشهد له مثيل على مر العصور لدرجة أنه ما يذكر النثر الأموي إلا وتذكر معه الخطابة الأموية ، ويرى الدكتور عمر فروخ أنها كانت استمراراً للخطابة في عصر صدر الاسلام الأول فهو يقول : الخطابة في العصر الأموي كانت استمراراً للخطابة في صدر الاسلام الأول ولكن زادت فيها أمور : من ذلك أن الخطابة طالت ذلك لأن الخطبة كانت لتبليغ أوامر الدولة ، فلما كثرت تلك الأوامر باتساع رقعة الامبراطورية وتطور الحياة الادارية والسياسية احتاج الخطباء إلى بسط القول في ذلك من هنا جاء طول الخطبة في الدرجة الأولى . ثم عرف صدر العصر الأموي ثورات وحروباً واحتاج الولاة والقواد إلى تصريف القول بالاقناع وبالوعيد عند مخاطبة الجموع فاقضى ذلك أيضاً أن تكون الخطبة أطول مما كانت في الجاهلية أو في صدر الاسلام الأول ، وفي العصر الأموي تطورت البيئة الاسلامية ونشأت طبقات جديدة في المجتمع كطبقة المولدين ، ولم يكن من المنتظر أن يفهم المولدون الايجاز العربي لمحا كما كان يفهمه العرب الاقحاح الأولون من البدو خاصة فاحتاج الخطيب من أجل ذلك إلى أن يردد المعنى الواحد في تراكيب متشابهة متقاربة ، فزاد ذلك أيضاً في طول الخطبة ، وكذلك لما ترامت حدود الامبراطورية باتساع الفتوح لم يبق من الممكن أن ترسل الأوامر إلى الولاة تباعاً في أوقات متقاربة ، فكانت تلك الأوامر تجمع حتى يتألف منها مقدار واف ثم ترسل في بريد واحد ، ولقد كان الوالي بطبيعة الحال يحتاج إلى خطبة طويلة تستوعب هذا القدر الوافي من أوامر الدولة " (١)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ص (٣٧٣) ط ٤ دار العلم للملايين .

فهذا أيضاح مفصل للدكتور فروخ عن أسباب اطالة الخطبة في العصر الأموي فـلـو رأينا بداية هذه الدولة لوجدناها مليئة بالثورات والخلافات فكان ذلك دافعاً لازدهار الخطابة حيث يأخذ كل فريق من الفرق التي ظهرت في تحميس واثارة جماعته ضـد الجماعات الأخرى ، كما أن بداية دخول عنصر غير العرب كان يُلزم الخطيب بالاطالة للايضاح والتفصيل وأخيراً فنظراً لاتساع رقعة الدولة الأموية كان عليها أن ترسل مجموعة من الأوامر والتوجيهات إلى الوالى في بريد واحد وهو بدوره يلقبها على الناس في خطبة لابد أن تكون مناسبة لمقدار هذه التوجيهات والأوامر ، وهذه هي الأمور التي يراها الدكتور فروخ سبباً في اطالة الخطبة، كما أضيف أنها كانت أيضاً سبباً في ازدهارها فهو قد ذكر هذه الأمور على أنها سبباً في اطالة الخطبة في العصر الأموي على ما كانت عليه في عصر صدر الاسلام ولم يذكر أن هذه الأمور نفسها كانت سبباً في ازدهار الخطابة في عصر بني أميه . ويمكن لى أن أعزو أسباب ازدهار الخطابة الأموية إلى عوامل سياسية ، ودينية ، واجتماعية ، فالأحداث السياسية التي عايشتها الدولة الأموية كانت قميئة بأن تجعل الخطابة مزدهرة فكثرة الفتوحات الاسلامية كانت تحتاج إلى الخطابة في التحميس والحث على القتال . . . كما أن العصبية القبلية قد عادت في هذا العصر والحديث حول من أحق بالخلافة كان سبباً في اشغال الخطابة الأموية إلى جانب كثرة الأحزاب الداخلية والثورات المناوئة للدولة الأموية التي كانت تتخذ من الخطابة سلاحاً لاقتناع الطوائف الأخرى بآرائها وما تذهب إليه ، كما أن الأحزاب الدينية التي ظهرت وهي مرتبطة بالأحداث السياسية كان لها دور بارز في نهضة وازدهار الخطابة .

وأخيراً فإن المؤثرات الاجتماعية المتعددة من وجود بيئات حضرية وأخرى بدوية وامتزاج العرب بالأمم الأخرى وظهور العصبية والمنافرات والمفاخرات التي أحمدها الاسلام

ثم عادت للظهور في العصر الأموي . كل هذه الأمور كانت كفيلاً بأن تفجر قرائح الأدباء الخطابية فأزدهرت الخطابة وحظيت باهتمام بالغ لما لها من تأثير على العامة والرأي العام في الدولة ، ويحاول الدكتور عمر فروخ نقد الخطابة في العصر الأموي فيذكر أنها تقوم على عنصر التهديد والوعيد فيقول : " وبرز في الخطبة الأموية عنصر التهديد والوعيد ذلك لأن الولاة الأمويين كانوا يخطبون في أول الأمر على الأقل في بيئات معادية للدولة الأموية " (١) وهذه تعتبر خصيصة من خصائص الخطابة الأموية إلى جانب تأثرها بالقرآن الكريم " فقد كانوا يحبون أن يستشهد الخطيب في خطبته بشيء من القرآن الكريم والحديث أيضاً ، ولقد ظل الاستشهاد في الخطب بالأمثال والشعر على ماكان عليه الأمر في صدر الإسلام وفي الجاهلية " (٢) فالدكتور عمر فروخ يذكر الاستشهاد في الخطبة بالأمثال والشعر كخصيصة أخرى من خصائص الخطبة الأموية إذ أن الخطباء الأمويين لا زالوا ينهجون نهج خطباء عصر صدر الإسلام والجاهلية في ذلك ، لكن بشيء من التوسع للأسباب التي ذكرتها قبل قليل .

كما يتحدث الدكتور عمر فروخ عن الكتابة في هذا العصر فيقول : " لما اتسعت الفتوح وتفرق الولاة والعمال في الأمصار واحتاجت الدولة إلى أن تبلغ أولئك الولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمور تتعلق بالسياسة أو الإدارة فحدثت كتابة الرسائل " (٣)

إلا أن الكتابة معروفة منذ العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرسل كتباً إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين

(٢) ص ٣٧٤ المصدر السابق الصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه الصفحة نفسها .

لكن الكتابة في العصر الأموي بدأت تتسع وتأخذ مجالات متعددة إذ ازدادت الحاجة إليها لتتسع رقعة الدولة الإسلامية وحاجة الخليفة إلى إرسال أوامره إلى الولاة والعمال في الأمصار ويقول الدكتور عمر فروخ في ذلك : " وقد كان الخليفة يُعلي على هؤلاء الكتاب ما يشاء أو يطلب منهم أن " يكتبوا " عنه ما يريد ، ولقد كان الكاتب في أيام الخلفاء الراشدين شخصاً يختاره الخليفة ويجعله في بطانته ، أما في الدولة الأموية فقد أصبح للكتابة مناصب ثم جعل لها ديوان خاص - إدارة خاصة - منذ أيام معاوية بن أبي سفيان على وجه التقريب ومنذ أيام عبد الملك بن مروان على القطع" (١)

فديوان الرسائل أموي النشأة ويؤكد لنا الدكتور شوقي ضيف ذلك من خلال قوله :-
" وقد نهضت الرسائل السياسية في هذا العصر نهضة واسعة ، وهي نهضة تُرد إلى سببين : أما السبب الأول فهو أن كثيراً من كانوا يكتبونها كانوا يعدون في الذروة من الفصاحة والبيان لهذا العصر أمثال: زياد والحجاج وقطري بن الفجاءة والمختار الثقفي ، وأما السبب الثاني فقيام ديوان الرسائل وظهور طبقة من المحترفين في هذا الديوان " (٢)

ويقول الدكتور فروخ في خصائص الكتابة الأموية : " ثم تطورت الرسالة وأصبحت الكتابة قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة ذات قواعد وأصول : أصبح للرسالة مطالع وفيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم وتوجه إليهم ، ثم لها خواتيم تختلف أيضاً بحسب ذلك المقصود ومن التأنيق في التعابير والجمال ، ثم طالت الرسائل

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العم للملايين ص ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي د . شوقي ضيف ط ٦ دار المعارف بمصر

أيضاً على أن الترسل ظل في العصر الأموي - في الأكثرية - " فناً رسمياً " يتعلق
بأمور الدولة " (١)

ولني ألحظ في كلمات الدكتور فروخ السابقة ذكره لخصائص كتابة الرسائل في
العصر الأموي ، فهو يذكر أن لها تحميدات في مطالعها وخواتيم في آخرها
وتعتمد على السجع والموازنة والترداد المقصود والتأنق والاطالة ، وفي رأبي: إن الكتابة
في العصر الأموي أو النشر الأموي بصفة عامة لم يختلف كثيراً عن النشر في العصر
الجاهلي وعصر صدر الاسلام إلا أنه ازداد في التأنق والتجميل في الكتابة والاطالة
وذلك كما ذكرت عند الحديث عن الخطابة في العصر الأموي بسبب الأحداث المتعاقبة
في هذا العصر التي اقتضت الاطالة ، أما فيما عدا ذلك فالنشر الأموي كالنشر الجاهلي
أو نشر عصر صدر الاسلام ، يقول الدكتور شوقي ضيف في خصائص الرسائل في العصر
الأموي . . . غير أننا لانكاد نتجاوز منتصف القرن الأول للهجرة ، حتى تتكامل الرغبات
للعناية بتلك الرسائل عناية توفر لها ضرباً من التجويد والجمال الفني وكأنما لم تعد
الغاية أن تؤدي أغراضها فحسب ، بل أضيف إلى ذلك غاية أخرى : أن —رُوع
القارئ والسامعين بتحبيرها وتنميقها ، وكأنها قطعة موسيقية أو لوحات تصويرية
ولم يقفوا بذلك عند ظاهرها فقد أخذوا ينوعون في معانيها ويقرعون ويطنبون صوراً
مختلفة من الاطناب " (١)

فالنشر الأموي كان امتداد للنشر الجاهلي ونشر عصر صدر الاسلام إلا أنه ازداد التأنق
وأصبح الغرض من الكتابة ليس مجرد تأدية عمل أو توصيل أمر بل أصبحت يراود منها امتاع
القارئ والسامعين .

(١) الفن ومذاهبه في النشر العربي د . شوقي ضيف ط ٦ . دار المعارف بمصر ص ١٠٦

وقد ظهر فى هذا العصر بعض الرسائل التى كانت بمثابة نصائح عامة فقط وهذا النوع من الرسائل يسمى بالرسائل الاخوانية " ورسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب يمكن أن تكون تمهيداً إلى الرسائل الاخوانية " (١) وكانت هذه الرسالة موجهة من عبد الحميد الكاتب - رئيس ديوان الانشاء - إلى الكتاب الصغار أو الناشئين المستجدين يدلهم فيها على أصول صناعة الكتابة وآدابها فكان غرضها الأساسى تثقيفاً لذلك اعتبرت بدءاً للرسائل الاخوانية ، التى أخذت فيما بعد تتطور ويتسع مجالها حتى رأينا أن الرسائل الاخوانية أصبحت فناً نشراً مستقلاً بذاته حينما أخذ الأدباء يتراسلون برسائل ودية ليس لها غرض رسمى وذلك ما أثبتته الدكتور عمر فروخ بقوله . . ثم كانت هنالك رسائل فى العصر الأموى ، يمكن أن تكون اخوانية واضحة يتبادلها الولاة مع نفر من قادة الحركات المختلفة (كالحسن البصرى رأس علماء الكلام وكقطرى بن الفجاءة كبير الخوارج فى أيامه) أو يتبادلها نفر من آل البيت المالك فيما بينهم ، كما كان شملت رسائل تدور بين نفر من كبار القوم " (٢)

فالرسائل الاخوانية عُرِفَت فى العصر الأموى حيث كانت تتم المراسلات الودية بين الأدباء والأصدقاء ، فهى من الأسباب التى جعلت النشر فى هذا العصر ينهض ويزدهر . فهذه الكتابة التى تتم بين الأدباء تساعد كل كاتب أو أديب على التعرف على أساليب جديدة فى الكلام وأفكار متعددة مما ساعد على ازدهار النشر بصفة عامة .

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٧ .

٤ - العصر العباسي

الموضوعات الأدبية في العصر العباسي :-

أ - ظروف العصر :

في تناوله للعصر العباسي من سنة ١٣٢ ألحّ للحياة السياسية في هذه الفترة. دون اطالة فذكر أهم الأحداث السياسية التي كان لها أثر على الناحية الأدبية ، وهذا مسلك جيد إذ أن هذه الدراسة المقصود منها معرفة الخصائص الأدبية التي تميز بها العصر أما الدراسة التاريخية المفصلة فلا تكون إلا بقدر ما يعكس أثر تلك الأحوال في مسيرة الأدب وتأثيرها عليها ففي أي عصر من العصور أعاما وراء ذلك من تفصيلات دقيقة فإن كتب التاريخ هي المسئولة عن هذا البسط .

وقد أكد الدكتور فروخ أن العصر العباسي من حيث التاريخ السياسي ينتهي بسقوط بغداد على يد هولاكو التتري في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) ويقول : " هذا التحديد عرفى قليل الصلة بالحقيقة التاريخية : إن هذا العصر قد بطل أن يكون عباسياً منذ أيام الخليفة المتوكل الذي جاء إلى عرش بغداد في آخر سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧ م) والقواد الأتراك يملكون الدولة في جميع جوانبها ، ثم لم يكن للخليفة المنصوب على عرش بغداد بعد المتوكل من الأمر شيء ... إلى أن يقول : غير أن حظ الأدب كان غير حظ السياسة ، لأن الخصائص العباسية في الأدب قد ظلت سائدة في النتاج الوجداني من الشعر والنثر إلى سقوط بغداد على يد التتر ثم إلى الفتح العثماني للبلاد العربية سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ثم إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) (١)

(١) تاريخ الأدب العربي . د . عمر فروخ ، ج ١ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٣

فكيف لنا أن نجعل خصائص الأدب في العصر العباسي في ذروة مجده هي نفس الخصائص بعد سنة ٦٥٦ هـ "إن في ذلك تجاوزاً كبيراً إلا إذا كان الدكتور فروخ يقصد بذلك القول أن قلة من الشعراء والأدباء لازالو ينتهجون النهج العباسي الأصيل في نتاجهم الأدبي فتمسكوا بأسلوب وطريقة شعراء وأدباء ذلك العصر ، فبقيت الخصائص العباسية سائدة على نتاج هؤلاء القلة إلى الفتح العثماني وإلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري إذ من الواضح أن الأدب بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ أخذ يتجه إلى الانحدار زويداً رويداً سواء في الخصائص اللفظية (المعنوية) ، ففي تلك الفترة - بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ - وبعد الفتح العثماني - لانجد شاعراً كالمتنبي مثلاً أو كأي تمام . . أوحى أقل منهما درجة أو أدبياً ناشراً كبديع الزمان الهمذاني أو عبدالله بن المقفع.

ثم إننا نجد التعارض الواضح هنا بين ما يقوله عن استمرارية الخصائص والسمات في الأدب العباسي حتى بعد نهاية الخلافة العباسية وبين ما ذهب إليه من تقسيم فترة الخلافة إلى عصور تبعاً لاختلاف السمات الفنية والأدبية في كل فترة .

وقد تناول الدكتور عمر فروخ فترات العصر العباسي كما وضعها أولاً : وحدة الخلافة أو الفترة العباسية الأصلية ، فتحدث عن خصائص الأدب في تلك الفترة ، وعن اتساع الفنون الأدبية في الشعر والنثر ، ودخول الألفاظ الجديدة على نظم الشعراء والأدباء إلا أنه لم يقدم الاستشهادات المناسبة سواء عند ذكر الخصائص أو عند حديثه عن اتساع الفنون الأدبية وإنما عرض لها عرضاً تجريدياً دون بيان كاف أو توضيح ببعض الآيات أو المقطوعات التي توضح خصائص الأدب في هذا العصر أو تظهر مدى اتساع الفنون الأدبية في الشعر والنثر أو حتى النماذج التي يجد فيها القارئ إلى أي حد دخلت ألفاظ جديدة على الأدب

في هذه الفترة . *

* راجع الجزء الثاني من كتابه تاريخ الأدب العربي

ويذكر الدكتور عمر فروخ أن الأسلوب قد ضعف في هذه الفترة " أما الأسلوب فدخل عليه شيء من الضعف في معرفة خصائص الألفاظ وفي التركيب أيضا ولكن اكتسب رقة في التعبير ودخل عليه التكلف بالاكثار من الصناعة (الجنس والطباق خاصة " (١)

حقيقة إن الأسلوب تميز بالسهولة في العصر العباسي ولكن لم يدخل عليه شيء من الضعف " ولا نقصد بالسهولة ذلك الأسلوب اللين الهزيل الذي يميل إلى العامة أو يؤثرها وإنما تلك السهولة التي يدعى مثلها المدعون فإذا حاولوها في أساليبهم اخفقوا واستعصت عليهم في تمنع مطمع يسلمهم أخيراً إلى اليأس وينتهي بهم إلى الحيرة المشوبة بكثير من الاعجاب " (٢)

فالسهولة التي نراها في شعر هذه الفترة ليست السهولة التي بمعنى الضعف واللين وإنما هي السهولة الأسيرة للسهولة الفخمة ، السهولة التي يشعر من يسمعها بأنها سهلة ، ولكن لا يستطيع الاثنان بمثلها إلا الأديب المقدر والشاعر الموهوب .

أما عن الاكثار من الصناعة (الجنس والطباق خاصة) كما يقول الدكتور فروخ فإن ظروف العصر هي التي اقتضت ذلك ، "فالحياة في العصر العباسي اختلفت كثيراً عن الحياة في العصر الأموي والاسلامي والجاهلي فقد دخلتها الحضارة الفارسية بكل ما فيها من جمال ومتراذفات وأضداد ، فنرى القصور الجميلة ، والرياض الخضراء ، والنوافير المتدفقة ، والترف والنعيم مما عاش فيه معاصرو هذه الدولة كل هذه الأسباب كانت وراء الاكثار من الصناعة خاصة الجنس والطباق ، " والحياة العباسية كانت تدعو إلى هذا الوشي والتنميق من جميع نواحيها فمن انغماس في الرخاء والترف إلى تخلق بأخلاق فارسية يلائمها الافتتان والتصنع

(١) تاريخ الأدب العربي . د . عمر فروخ ، ج ٢ ، ط ٤ . دار العلم للملايين ص ٤٠

(٢) تاريخ الأدب في عصره الذهبي / ت: عبدالرحمن عثمان ، ط . بدون مطبعة المدني ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م ص ١٠٨ .

ليبعدها عن السداجه والفطرة " (١) . هذا وقد ظهرت ألفاظ جديدة في أدب هذا العصر هذه الألفاظ معظمها مولد أي فارسي الأصل لئذ ان ظروف العصر التي أدت إلى اختلاط بين العرب وغيرهم اقتضت أن تدخل بعض الألفاظ الغريبة على الأدب سواء كان شعراً أم نثراً " فالبيئة العباسية بما جد فيها من مظاهر الحضارة المادية ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعية اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب " (٢)

كذلك دخلت بعض الألفاظ العلمية والفلسفية نظراً لظهور حركات الترجمة عن الأدب والعلوم الأخرى كال يونانية والفارسية ، فاشتمل الشعر والنثر الأدبي على كثير من الألفاظ الفلسفية العلمية كالتجزؤ والتناهي والتوليد كقول الشاعر :-

يا عاقد القلب منى	***	هلا تذكرت حلا
تركت قلبي قليلاً	***	من القليل أقلاً
يكاد لا يتجزأ	***	أقل في اللفظ ممن لا

فنرى أن الألفاظ الجديدة سواء كانت فلسفية أم علمية أو غير ذلك قد ظهرت في الأدب العباسي وربما دعت الحاجة إليها أو لأن الاحتكاك بالفرس من جهة والوقوف على آداب وعلوم الأمم الأخرى من جهة أخرى قد ساعدا على ظهور مثل هذه الألفاظ " ودخل على لغة الشعر ألفاظ غريبة دعت الحاجة إليها ، كالألفاظ العلمية والفلسفية وغيرها مما يدل على أشياء حديثه العهد عند العرب، ودخل عليها أيضا ألفاظ استعيرت

(١) أدباء العرب ج ٢ ، في الأعصر العباسية ط ٤ ، لبطرس البستاني طبعة جديدة

منقحة - دار مارون عبود ص ٢١

(٢) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٢ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٤٠

من صلب اللغة لمعانٍ مستحدثةً خلقتها الحضارة الجديدة " (١). فليس من الغرابة
أن نجد الألفاظ العلمية والفلسفية ظاهرة من ظواهر الأدب العباسي .

* * * * *

(١) أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني طبعة جديّة منقحة دار مازن
عبود ص ٢١ .

ب - اتساع الفنون الأدبية :

يقول الدكتور عمر فروخ : " إذا نحن استثنينا الغزل بالذكر وحده فإننا لانجد في الشعر العباسي فناً لم يكن في الجاهلية أو لم يكن له صلة بفن جاهلي ، فالفخر والمدح والرثاء والغزل والأدب (الحكمة) والوصف والزهد والمجون فنون معروفة أصولها في الشعر الجاهلي " (١)

فإذا نظرنا إلى هذه الفنون نجدها قد ازدهرت في العصر العباسي ، فن المديح أصبح فناً راسخاً جداً إذ اشتمل على مدح النفس كثيراً والافتخار بها ووصفها بصفات كريمة كالمروءة والكرم والعفة والشجاعة وعلو الهمة . . . إلى جانب مدح الخلفاء والأمراء ووصفهم بهذه الصفات أيضاً ، وتصوير الأحداث السياسية ومدى تغلب الخلفاء على ظروف هذه الأحداث " ولم يصور الشعراء مثاليتنا الخلقية العامة في مدائحهم وكذلك مثاليتنا السياسية فحسب ، بل صوروا أيضاً الأحداث التي وقعت في عصور الخلفاء وخاصة الفتن والثورات الداخلية وحروب أعداء الدولة من الروم والترك ، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة ، فهي تسجل الأحداث التي عاصرها الشاعر والأعمال الكبرى التي ينهض بها الخلفاء ، مما يعطيها قيمة بعيدة إذ تصبح وثائق تاريخية" (٢) فقائد المديح في هذا العصر أصبحت عبارة عن سجل تاريخي ممكن أن نستقي منه المعلومات التاريخية وبشيء من التفصيل أيضاً فنرى أن الخليفة المعتصم فتح عمورية وقد وصف أبو تمام أحداث هذه المعركة ومدى قوة جيش الخليفة وكيف أنه محق جيش الروم وهزمه وذلك في ملحمة الرائعة التي بدأها بقولة :

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حده الحد بين الجد واللعب

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ، ج ٢ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٤٣

(٢) العصر العباسي الأول ، د . شوقي ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ص ١٦١ .

أما فن الهجاء فنجد أن معالم التطور فيه أعمق وأوسع منها في المديح فقد عمت فيه روح جديدة إذ أخذ الشعراء يتتبعون الهفوات والأخطاء ويظهرونها في قالب شعري كأنما أرادوا تطهير المجتمع من هذه الأخطاء والمساوئ ، إلى درجة أنهم لم يتوانوا في هجاء الخلفاء والوزراء " وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية ، والهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد " (١) .

وفن الرثاء أيضا كان له نصيب واضح من شعر شعراء هذا العصر فنجد رثاء النفس ، ورثاء الأصدقاء والأبناء والزوجات وقد تجلت فيه العاطفة القويمة الصادقة كما في قول العتبي في ابن اختطفه الموت :-

وكنيت به أكنى فأصبحت كلما *** كنيت به فاضت دموعي على نحري
إلى جانب رثاء القواد والأمراء والخلفاء ، ومن ضروب المراثي الجديدة التي لم تكن معروفة قبل هذا العصر رثاء المدن التي نزلت بها كوارث النهب والحرق ورثاء بعض الحيوانات والطيور ..

هذه الأغراض معروفة أصولها من العصر الجاهلي لكنها اتسعت جداً في العصر العباسي فالرثاء مثلا موجود من الأدب الجاهلي لكن اتسع في هذا العصر وأصبح الشاعر لا يكتفى برثاء النفس أو الأصدقاء والأبناء والزوجات بل تعدى إلى رثاء المدن والأشياء التي يمتلكها ويحبها والحيوانات والطيور .

وقد اعتنى الشاعر العباسي بشعر الغزل كثيراً فظهر الغزل الماجن الفاحش وظهر نوع جديد من التغزل وهو التغزل بالغلمان وهذا هو الفن الجديد في هذا العصر

(١) العصر العباسي الأول د . شوقي ضيف ، ط ٢ دار المعارف بمصر ص ١٦٧

ولانجد غرابسة في ظهور مثل هذا النوع من المجون والفحش ، فقد دعت كثرة الفجور الذى استشرى في أوصال المجتمع العباسى إلى كثير من الأوضاع الشاذة التى انساق إليها الشعراء انسياقا ممن انحرفت أخلاقهم والتوت أذواقهم كأبى نواس وحماة عجرد ووليه ابن الحباب وغيرهم من الشعراء الإباحيين الذين كانوا يلتقون على موائد الشراب ، وليس هذا إلا نوع من العبث أو نوع من الهوس كما يذكر الأستاذ العقاد (١) وهو شئ تافه رفضه الذوق العربى واعتبره نزوة طارئة ، ووصمة عار فى جبين الأمة العربية أحدثتها علقه فاسدة فكان نبتة شاذة لم يتجه إليها من الشعراء إلا العابثون الماجنون . ولذلك قوبل هذا الاتجاه بالرفض والاستنكار من جميع الأوساط الخاصة والعامة ، فقد كان هذا سلوك من انحرف خلقهم والتوى ذوقهم ، ولذلك وجدناه نبتة شاذة فى المجتمع ينأى عنه الكثير من أصحاب الأذواق الكريمة وينبذه ذوو الطباع المستقيمة . .

كما تناول كثير من شعراء هذا العصر فن الأدب (الحكمة) والزهد فنظموا القصائد الطوال التى يوضحون من خلالها مدى زهدهم فى هذه الدنيا الفانية وطمعهم فى الآخرة الباقية ، ومجددوا الخصال الكريمة والصفات الحسنة ، وكأن شعرهم بمثابة الرد على شعر المجون الذى بلغ زروته فى هذا العصر إذ أن بعض الشعراء قد تجاوزوا الحد فى التصريح بالغزل الفاحش والغزل بالذكر وتمجيد مجالس الخمر واستحسانها فكان شعر الزهد فى مقابل ذلك المجون .

أما الوصف فقد اتسع هذا الفن اتساعاً كبيراً ، ونجد أن الدكتور فروخ قد أفرد عنواناً خاصاً للوصف فى العصر العباسى " اتسع الوصف فى العصر العباسى اتساعاً

(١) أبو نواس - الحسن بن هانئ ، لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربى بيروت

كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة : الهياكل والجنان ، والمطاعم والملابس ، والخمر والزهر " فاختلاف البيئة العباسية عما قبلها وظهر آثار الترف والنعمة في الحياة الاجتماعية والعمرانية إذ تحولت الحياة العربية من تلك البساطة والسذاجة إلى الترف والتكلف تأثراً بالبيئة الفارسية فكانت الحدايق الغناء والقصور الجميلة والرياض الحسان " وقد احتفل الشعر العباسي بكل ما قدمته الحياة الجديدة احتفالا شديدا وتناولــــه بالوصف الدقيق حتى ليبدو لنا أن شعر هذه الفترة لم يكن فناً أدبياً ناطقاً فحسب وإنما كان الفن المصور الناطق ، لأنه رسم بالألفاظ صوراً حيه تكاد تغدو أمامنا وتروح (١) فنرى وصفاً حياً جميلاً للحدايق المتناثرة في البيئة العباسية وما اشتملت عليه من زهور

فواحة ذات ألوان مختلفة ، فنرى ابن المعتز يقول في وصف النرجس :- (٢)

أما ترى النرجس المياس يحلظنا * * إلحاظ فرح بالعتب مسرور
كأن أحداقها في حسن صورتها * * مداهن التبر في أوراق كافور
كأن طلل الندى فيه لمصرة * * دمع ترقق من أجفان مهجور

كما وصفوا النوافير التي زينت الحدايق والقصور ، ومجالس الطرب التي انتشرت في عصر العباسي ساعدت على ظهور وصف آلات الطرب ، ولأن الشعر موسيقى ونغم ، كان الشعراء يهتمون بهذه المجالس والآلات فأخذوا يصفونها وصفاً حسياً كاملاً .

ونظراً لتجدد موضوعات الشعر القديمة فقد أخذ الشعراء يعرضونها بصورة أكثر عمقا وأكثر توضيحاً فظهرت قصائد كاملة في تصوير الكرم مثلاً أو الحلم أو الصبر مما جعل القصيدة الواحدة تدور حول موضوع واحد فقط فبرزت وحدة الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً ، والدكتور فروخ يقول في ذلك : " كذلك اتسع التحليل النفسي ، إذ أخذ الشعراء

(١) تاريخ الأدب في عصره الذهبي . عبدالرحمن عثمان . ط بدون ، مطبعة المدنى

١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م ، ص ٨٦

(٢) ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان - الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت - لبنان ١٩٦٠ م ص ٢٢٤

خاصة ينظرون إلى ما وراء أعمال الإنسان الظاهرة فتكلموا عن الصبر والمكر واستقروا
شعور السكران والغضبان والثاكل والمهزوم والغنى والمتكبر والكريم والبخيل . . . وقد
اقتضى ذلك كله أن يحاول الشاعر أن يستوفي كثيراً من عناصر الوصف والتحليل في مكان
واحد من قصيدته وفي أبيات متتالية فنيشأ شيء من وحدة الموضوع أو برزت وحدة
الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً" (١)

فلم يغفل الدكتور عمر فروخ في حديثه عن اتساع الفنون الأدبية في العصر
العباسي بروز فن الوصف بشكل كبير وظهور وحدة الموضوع في القصيدة العباسية عند عرضه
لبقية الفنون إلا أنه لم يدعم آراءه بالاستشهادات الشعرية المناسبة سواء حول اتساع
فن الوصف أو بروز وحدة الموضوع وقد علل لسبب اتساع فن الوصف في هذا العصر
بلمحة بسيطة إذ قال : " اتسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر
البيئة الجديدة " (٢) ولكنه لم يوضح ما مظاهر البيئة الجديدة ؟! بينما كنا في حاجة
إلى توضيح أشمل لهذه المظاهر إذ إن فن الوصف كان من أهم الفنون التي اتسع
مجالها في ذلك العصر .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربي د. عمر فروخ . ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ص ٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

ج - ذروة الشعر المحدث :

يرى الدكتور عمر فروخ أن ذروة الشعر المحدث كانت في الفترة من (أواخر القرن الهجرى الثانى ، وأوائل القرن الثالث) ويؤكد بأن الشعر المحدث يعتبر أقل مرتبة من حيث الجودة فى الألفاظ والمعانى من الشعر القديم " فقدت الكلمات جزالتها والتركيب متانتة والأغراض بداوتها ، ولكن الأدب اعتاض من ذلك فصاحة الألفاظ (فيما يتعلق بالحياة الجديدة) وسهولة التركيب (فيما يتصل بالتعبير عن الحاجات الحضرية) والعناية فى الأغراض بوجوه الحياة الجديدة^(١) إلى أن يقول : "ولو لم يكن فى الشعراء المحدثين نفر ظلوا متمسكين بعمود الشعر العربى (القديم) قليلاً أو كثيراً ، أو بين الفينة والفينة على الأقل لغاب الشعر المحدث كله من الذاكرة"^(٢).

وهذه نظرة ثابتة صائبة من المؤلف فيما لاشك فيه أنه لولا تمسك بعض الشعراء بعمود الشعر القديم واهتمامهم باحتذاء حذو القدماء فى نظمهم للشعر لضاع الشعر المحدث ، وإن لم يضع لأصبح يمثل تراثاً ركيكاً ضعيفاً لا فائدة منه فى صقل المواهب أو تطور الأدب .

* * * * *

(١) تاريخ الأدب العربى ، د. عمر فروخ . ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ص ١٢٧

(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ .

د - النثر في العصر العباسي :

إن أول ما يصادفنا في حديث الدكتور فروخ للنثر العباسي قوله : " أما النثر فكان أكثر تطوراً واتساعاً في العصر العباسي من الشعر " (١) ويذكر أن الكتابة الديوانية قد اتسعت " واتسعت الكتابة الديوانية (تبادل الرسائل بين الخلفاء والولاة . . . الخ) كما كثرت الرسائل الاخوانية - فقل بذلك شأن الخطابة " (٢)

كما يذكر أن فناً جديداً نشأ وهو " التوقيعات " نشأت التوقيعات ، وهي جمل قصار مقتبسة أو منشأة كان الخلفاء خاصة يوقعون بها " (٣) ثم يذكر أنها كانت موجودة منذ عصر الخلفاء الراشدين لكنها اتسعت في العصر العباسي مما جعلها خاصة من خصائص هذا العصر .

هذا ما قاله الدكتور عمر فروخ في نثر المائة سنة الأولى من عصر الدولة العباسية ولم أجد رأياً واضحاً له في هذا النثر فلم يتحدث عنه لا من حيث الأسلوب أو الأفكار اللهم إلا قوله إن الرسائل الديوانية والاخوانية اتسعت وقل شأن الخطابة إلى جانب نشأة التوقيعات ، وهو يذكر أيضاً أن النثر تطور واتسع في العصر العباسي أكثر من الشعر ، فإذا عرفنا أن الشعر في العصر العباسي كان مزدهراً وناهضاً ووصل فيه الشعراء إلى درجة عالية من الاتقان والاجادة فما بالنثر بالنثر إذن . الذي تطور واتسع أكثر من الشعر ، فلا بد أن خصائصه تطورت أيضاً خاصة اذا عرفنا أن الترجمة كان لها دور كبير في نهضة النثر وكذلك اتصال العرب بغيرهم من الأعاجم وتعرفهم على ثقافات جديدة فقد ترجم الفرس كثيراً من تراثهم إلى العربية ، ومن أشهر من قاموا بذلك

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٢ ، ط ٤ : دار العلم للملايين ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٨ .

الصنيع عبدالله بن المقفع وآل نوبخت ، ويخيل إلى الانسان أنه لم يبق أثر في اللغة
البهلوية إلا تُرجم إلى العربية سواء تعلق بتاريخ الساسانيين أو بآدابهم " (١) . ولا تقل
الثقافة الهندية عن الثقافة الفارسية إذ ترجم العباسيون عنها كثيرا من الحكم والقصص، ومن
الفلك والرياضة والطب " (٢) .

إذا عرفنا ذلك كله تأكدنا من أن النثر في العصر العباسي كان متعدد الفروع فمنه
العلمي والتاريخي ، والاجتماعي ، والفلسفي ، والأدبي الخالص وهذا النثر - الأدبي -
الخالص - هو محور حديثنا فقد كان هذا النثر امتداد للنثر في عصر بني أمية
وقد أخذت فنون النثر في التطور والازدهار من حيث المعاني والأساليب إلا أن الأساليب
بدأت ترق أحيانا وكثرت الصناعة اللفظية خاصة السجع والازدواج ونرى الدكتور فروخ عند
حديثه عن الأدب في عصر تجزؤ الخلافة (من أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن
الخامس للهجرة) يقول : " أول ما يلفت النظر من خصائص الأدب في الشعر والنثر الاسراف
في الصناعة اللفظية خاصة من ألتمز السجع في الجمل وأقسام الجمل ومن الموازنه بين الجمل
ومن كثرة التضمن للاشعار والأمثال وللآيات والأحاديث في النثر . ومن الاغراق في تطلب
التشابه والاستعارات والتفنن في الصور الشعرية والميل بها إلى الجوانب الطريفة من
الحياة والتفكير " (٣) ثم يورد مثلاً لذلك وهو رسالة لبدیع الزمان ، كما يذكر أن شكل
الرسائل في هذا العصر بدأ يختلف عما كان عليه في عصر صدر الاسلام وعصر بني أمية :
" ويخرج من الالتزام مطالع الرسائل ، كانت الرسائل منذ صدر الاسلام كالخطب تبدأ

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي د . شوقي ضيف . ط ٦ . دار المعارف بمصر

ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٢ ط ٤ دارالعلم للملایین ص (٤٠٧) .

باسم الله وحمده وبالصلاة على رسوله ويؤتى فيها عادة بفصل الخطاب " أما بعد " ليبدأ بسط الغرض من الرسالة بعد الافتتاح بالتحميد ، أما في القرن الرابع فخالف كتاب الرسائل هذه السنة وتحرروا من المطلع المفروض فكان كاتب الرسائل يبدأ كما يبدو له في حينه " (١) أما فن الاخوانيات فيقول فيه : " اتسع أيضا فن الاخوانيات وتعددت أغراضه وتنوعت " (٢) كما يقول في هذه الرسائل الاخوانية أنها كانت تصاغ صياغة أنيقة مثقلة أحيانا بأوجه البلاغة من موازنه وسجع واستعارات وتوريات ، مع ميل ظاهر إلى التضمن والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار والأقوال مما يدل على مقدرة لغوية وبراعة أدبية واحاطة بعدد من وجوه المعرفة ، من هذه الناحية تبدو لنا الرسائل الاخوانيات وكأنها مقدمه مهدة للمقامات " (٣) مما ساعد على ازدهار النثر ونهضته في هذا العصر فقد اتسعت مجالات الكتابة النثرية في عصر الدولة العباسية إذ أننا نجد وصف الطبيعة نثراً " اتسع الوصف في هذا العصر في الطبيعة في الشعر والنثر ، فكثر وصف الرياض بما فيها من ماء وأشجار وأزهار وأثمار

فهو يذكر لنا تطور النثر وازدهاره في الفترة من (أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس) ويورد بعض آرائه العابرة في هذا النثر دون تفصيل أو شرح مبسط أو الادلاء ببعض النماذج النثرية كأمثله وأدله على قوله إلا بعض الاستشهادات القليلة جداً - كإيراده قطعة نثرية لابن العميد في الغزل - والتي لا تعطى صورة واضحة للنثر الفنى في ذلك العصر ، ويمكن لى أن أقول : إن النثر في عصر الدولة العباسية وصل إلى قمة ازدهاره من حيث الألفاظ والمعاني ، وإن كانت الصناعة اللفظية أخذت تغطي عليه

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ . ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ص ٤٠٨ .

(٢) المصدر السابق . (ص ٤٠٨)

(٣) المصدر السابق . (ص ٤١٢)

أحيانا - إلى أن ظهر فن المقامات ، ويذكر لنا الدكتور فروخ أن الرسائل الاخوانية — بما احتوته من صناعة لفظيه أو معنوية كانت مقدمة للمقامات ، حيث أن " هذا الفن لم يعرف بمعناه الاصطلاحي المعروف إلا على يد بديع الزمان الهمذاني فهو أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء إذ عبر عن مقاماته المعروفة ، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات ، فكلمة مقامه عنده قريبه المعنى من كلمة حديث " (١) ويذكر الدكتور عمر فروخ أن بعض الأدباء يدعى أن فن المقامه مأخوذ من أحاديث ابن دريد مثل الدكتور زكي مبارك ، لكن الدكتور فروخ يرى أن هناك شبه بين المقامات وأحاديث ابن دريد من حيث القصص والسجع ، وفرق كبير من حيث الغاية والأسلوب " ولا ريب فـي أن بين أحاديث ابن دريد وبين المقامات شبيهاً قوياً من حيث القصص والسجع . . ولكن الفرق بين تلك الأحاديث وبين المقامات من حيث الغاية والأسلوب كبير جداً " (٢) .

ولم يقحم الدكتور فروخ نفسه كثيراً في الجدل حول هذه المسألة واكتفى بقول سديد " وعلى كل فإن بديع الزمان إن لم يكن مخترع فن المقامات فإن مقاماته أقدم ما وصل إلينا من هذا الفن الأدبي الرائع " (٣)

وفيما أرى أنه بقوله هذا استطاع أن يرضى من قال بأن المقامات مأخوذة من أحاديث ابن دريد كما يرضى من قال بأن بديع الزمان هو مخترع هذا الفن ، وقد تكون هذه الأحاديث أحاديث ابن دريد والرسائل الاخوانية - كما ذكر أستاذنا عمر فروخ - كانت ارهاصا لهذا الفن الأدبي الرائع .

(١) المقامة لشوقي ضيف . ط ٦ ، دار المعارف بمصر ص ٨

(٢) تاريخ الأدب العربي العربي وعمر فروخ ج ٢ ، ط ٤ . دار العلم للملايين ص ٤١٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١٣ .

كما ذكر لنا أجزاء المقامة وعرف كل جزء على حده في ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، وما يهمني في هذه الدراسة هو رأى الدكتور فروخ في فن المقامة فهو لم يصف جيداً في ذلك حيث ذكر أنها تقوم على الصناعة اللفظية " فن المقامات فن تصنيع وتأنق لفظي فهناك اغراق في السجع واغراق في البديع من جناس وطباق واغراق في المقابلة والموازنه وفي سائر أوجه البلاغه " (١) .

وموضوع المقامة يختلف: منه الأدبي والفكاهي والحماسي والفقهى ، وهي عبارة عن قصص- عند الدكتور فروخ - " كل مقامه وحدة قصصية قائمة بنفسها . " أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن المقامة حديث أدبي بليغ " ليست المقامة إذن قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط أما هي في حقيقتها فحيلة يُطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة " (٢)

وفي رأى أن المقامة إلى جانب أنها قصة كما قال الدكتور عمر فروخ؛ هي حديث أدبي قصصى ، وقول الدكتور شوقي ضيف " فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط أما هي في حقيقتها فحيلة " يمكن أن أقول فيه : كيف تعرف الحيلة ؟ لابد أنها تعرف من خلال قصة تُروى وهذه الرواية ليكون العمل أدبياً لابد أن تكون حديثاً بليغاً ، فالمقامة في رأى - قصه أدبية بليغة تظهر مقدرة انسان ما على الاحتيال أو الحيلة على انسان آخر .

فيكون بذلك تعرفي الأستاذين الفاضلين - الدكتور عمر فروخ ، والدكتور شوقي ضيف مكمل كل واحد منهما للآخر فالمقامه حيلة تصاغ في قصة بأسلوب أدبي بليغ .

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ٢ . ط ٤ ، دار العلم للملايين ص ٤١٥

(٢) المقامة لشوقي ضيف ص ٩ .

٥ - الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى

بشيء من التحفظ أتحدث عن هذه الفترة من تاريخ الأدب العربى والتي تناولها الدكتور فروخ وذكر أنها تمتد من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى من ٤٠٠ - ٩٢٣ هـ (١٠٠٩ - ١٥١٢ م) فيقول عن هذه الفترة : " هذه الفترة غنية جداً بأنواع الأدب ووجوهه ومنتجات الحياة الثقافية ولأن كان الأسلوب العربى قد عانى فى أثنائها مقادير متفاوتة من الركاسة ، وفى أعقاب هذه الفترة بلغ التكلف فى البلاغة عامة وفى الصناعة اللفظية خاصة - وفى الكناية والتورية على الأخص - مبلغاً عظيماً " (١)

إن هذه الفترة الطويلة - التى بلغت خمسة قرون - والتى أرخ لها الدكتور فروخ أدبياً لابد أن تكون غنية بأنواع الأدب ووجوهه ، ولكن مامدى جودة هذا الأدب ؟ ما مدى اشتماله على المعانى المبتكرة والأساليب الجزلة ؟ يبدأ الدكتور فروخ حديثه عن هذه الفترة بقوله : " هذه الفترة ليست قليلة الشهرة فحسب لكنها مظلومة أيضاً إذ يُسمّى القسم الأخير منها عصر الانحطاط تسمية فيها قليل من الصواب والحق وكثير من الخطأ والباطل (٢)

فهو يرى أن هذا لعصر لم يكن عصر انحطاط فى الأدب ولكنه لم يأخذ حقه من الدراسة وابرار جودة نتاجه الأدبى مع أنه يذكر فى نفس الصفحة أن الأسلوب قد عانى مقادير متفاوتة من الركاسة .. ولا يذكر أسباباً ترفع من هذا العصر الذى قسمه إلى فترات تبدأ من سنة ٤٠٠ هـ وتنتهى بسنة ٩٢٣ هـ - عن مرتبة الانحطاط مع أن أسباب الاجادة والبراعة

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ، ج ٣ ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٥

(٢) المصدر السابق . ص ٥

والابتكار كانت متوفرة ، فالحروب والفتوحات التي تمت في تلك الفترة والتغيرات الاجتماعية والسياسية الكثيرة كانت قمينه بأن تفجر القرائح الابداعية في نفوس الشعراء والأدباء إلا أننا نجدهم لا يجارون هذه الأحداث من خلال نتاجهم الأدبي شعراً أو نثراً فكان شعرهم غثاً في أكثره ونثرهم سطحياً فاتراً ، وذلك يرجع في رأيي إلى أسباب عدة منها :-

- عدم اهتمام الخلفاء والأمراء والوزراء بتشجيع الشعراء والكتاب . وعدم مجازاتهم بالعطايا مما حد من ازدهار المديح في هذه الفترة علاوة على القهر والظلم والكبت الذي لاقاه الشعراء والمبدعون خاصة في عصر المماليك مما عقد ألسنتهم وأدخل الخوف في نفوسهم فلجئوا إلى الكتابة عن الحياة العامة العادية أفرغوا فيها طاقاتهم الابداعية شعراً ونثراً .

- كما أن الخلفاء والأمراء والوزراء في هذه الفترة لم يكن لديهم التدقيق الأدبي فمعظمهم ليسوا عرباً وعلاقتهم باللغة العربية علاقة سطحية ولم يحاولوا الوقوف على أسرارها ومعرفه مواضع جمالها وبلاغتها ليتنافس الشعراء والأدباء في ارضاء أذواقهم الراقية .

- والاجتياح التتري للأراضي العربية كان عاملاً مهماً جداً في ضياع اللغة العربية الفصحى ، فقد كان اجتياحاً غوغائياً هداماً مدماً لم يرقم على أساس انشاء دولة وإنما كان غرضه التدمير والتخريب في الأراضي العربية الاسلامية فحاول القضاء على اللغة العربية باحراق دور العلم والكتب واشاعة الخوف والفرع في نفوس الناس مما عقد الألسنة وكبت المشاعر وكمم الأقلام .

ومن أسباب تدهور الأدب في هذا العصر أيضاً اللجوء إلى الكتابة بالعامية والبعد عن الفصحى في كثير من الأحيان ، وادخال ألفاظ غير عربية على النص الأدبي

فقد ظهر الشعر الملمع (١) الذى ساعد على ضعف وركاكة الأدب العربى ، ومع أن الدكتور فروخ يتحدث عن ظهور الشعر الملمع ولكن لا يذكر أنه كان سبباً فى تدهور الأدب وانحطاطه وانحداره وكأنه يرى أن ذلك لا يمكن أن يؤثر على مستوى الأدب - شعراً أو نثراً - فى أساليبه أو معانيه .

ويذكر عوامل انحدار الشعر عن مكانته السياسية ويجملها فيما يلى :-

أ - إن سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية غطيا على الزهو السياسى الذى كان الاسلام يتمتع به فى مدى ستة قرون ونصف قرن .

ب- إن الاجتياح التترى ومجيء المماليك قد أخليا العالم الاسلامى فى المشرق من كل أثر للحكم العربى .

ج - إن قيام الخانات (الامارات) التتارية فى مشرق العالم الاسلامى ثم قيام المماليك فى وسط العالم الاسلامى قد جاء بامارات عسكرية وغير عربية لا تفهم الشعر العربى ثم لاهتم به إذا هى فهمته ، وإذا لم يجد شعراء المديح أيدياً تدفع المال على المديح بسخاء فإن ألسنتهم لا تتحرك بشئ من الشعر ، فضلاً على أن يكون ذلك الشعر جيداً " (٣)

(١) التلميع : هو ادخال الفاظ وتعابير على القصيدة بغير لغة القصيدة كأن تكون فارسية.

وفيه بيت أو بيتين أو أكثر عربى اللغة أو تكون القصيدة أو المقطوعة عربية وجاءت مشطرة بعض شطورها فارسى فإنها حينئذ تكون ملمعة . - راجع - تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٢

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٠

أما عن الأدب قبل هذه الفترة - أى قبل سقوط بغداد فى يد التتر سنة ٦٥٦ هـ -
فيقول الدكتور فروخ : " بلغ الشعر خاصة منتهى قوته قبل أن يطل القرن الخامس للهجرة^(١) ".
فمنذ قيام الدويلات وسيطرة البويهيين على مجريات الحكم فى بغداد ومن ثم سيطرة
السلجوقية والأدب العربى الذى بلغ ذروة مجده فى العصر العباسى يبدأ فى الانحدار
رويداً رويداً وما ذلك إلا بسبب امتزاج اللسان العربى بالسنة العجم وبعبءه عن الأساليب
العربية الأصيلة والمعانى المبتكرة ، فأخذ الأدب ينحدر إلى أن وصل درجة الانحطاط
فأصبح ذلك العصر يسمى " عصر الانحطاط فى الأدب " ومع أنى حاولت دفع هذه التسمية
عن هذا العصر فإنى لم أستطع ذلك فكل الكتب التى أرخت للأدب ذكرت أنه فى تلك
الفترة - من بدء ظهور الدويلات إلى انتهاء الحكم العثمانى - كان الأدب يأخذ طريقه
إلى الانحطاط " فأنت ترى أن العالم الاسلامى أتى عليه ستون وخمسمائة عام لم يكن
للرب فيها لواء معقود ولا ظل مدود ، بل أصبحت ديارهم وآثارهم نهباً مقسماً بين
المنغول والترك والفرس والجركس ثم الأسبان بعد قليل وضع هؤلاء العجم وهم وحشيون
أميون أيديهم على تراث العرب ، فخربوا الدور وهتكوا الخدور وفجعوا اللغة وآدابها
وعلموها بتحريق المكاتب ، وتعطيل المدارس وتقويض المراكز وتقتيل العلماء ، ناهيك بما
فعله التتار ببخارى وبغداد والصليبيون بالشام والفرنج بالاندلس ! فلو أن الزمان عفى على
اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك بدءاً من القول ولا حدثاً فى
التاريخ ولكنها بقيت على مرغمة الحوادث لساناً للدين والعلم ، ولغة للحكومة والأمم
فى بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة ولولا نعمة الترك وعصية الفرس
لكانت لغة المسلمين كافة " (٢) فلكل هذه التغيرات الاجتماعية والاحداث السياسية

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٠

(٢) تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ص ٤٠٠

الكثيرة السريعة ساعدت على انحدار الأدب العربى وانحطاطه ، ولأن كنا نجد أن بعض الحكام قد شجعوا الشعراء والأدباء وأجازوهم سواء فى العهد الفاطمى أو الأيوبى أو المملوكى ، ولكن هؤلاء الحكام القلة الذين شجعوا الأدب لا يمكن أن يكونوا وحدهم سبباً فى رقى الأدب كما أن تشجيعهم لم يكن على غرار تشجيع حكام الدولة العباسية الأصلية ، وقد تطرق شعراء هذا العصر لأغراض الشعر القديمه من مدح وفخر ورثاء وهجاء .. - وحاولوا تقليد بعض الشعراء المجيدين أمثال المتنبى ، إلا أن شعرهم أتى غثاً مهلهلاً خالياً من العاطفية الجياشه والخيال الخصب والمعانى والأساليب الجزلة .

هذا إلى جانب أنهم أخذوا ينقدون المجتمع من خلال الأدب التمثيلى وخيال الظل (١) الذى انتشر كثيراً فى تلك الفترة بسبب اتساع الحروب الصليبية وحاجة الجيوش إلى شحذ الهمم للجهاد ضد الصليبيين والتتر ، يقول الدكتور فروخ فى سبب ظهور هذا الفن : " اتسع فن القص فى عصر المماليك بعوامل منها : اتساع الحروب الصليبية وغزوة التتر فإن الشعوب فى مثل هذه الحال تحتاج إلى شحذ الهمم للجهاد فى سبيل البقاء إلى جانب أن الحروب نفسها مناسبات صالحة لنشوء قصص البطولة ولرواية أخبار المغامرات وتبدى هذا القص فى هذا العصر فى المقامات وفى الحكايات ، وفى التمثيل البدائى المتبدى فى خيال الظل " (٢) ومن قصص البطولة التى ظهرت قصة عنتره التى امتزج فيها الخيال بالحقيقة ، وقصص ألف ليلة وليلة . كما أفرغ الأدباء والشعراء طاقاتهم

(١) هو أدب تمثيلى يقوم به شخصان يقومان بحركات مضحكة من وراء ستاره مضاه وتكون

القاعة التى يجلس فيها النظارة مظلمة فيظهر أمامهم خيال الشخصين وما يقومون به أشباحاً تتحرك على الستاره - راجع تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣

دار العلم للملايين ص ٦١٨

(٢) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٨

الابداعية في فن جديد إلى حد ما وهو المفاخرة " واتسعت في هذا العصر المفاخرات وهي مناظرات أو موازنات قائمة على الحوار بين أمرين يحاول كل أمر أن يفضل نفسه على نظيره أو مفاخره ، ومن أشهر هذه المفاخرات: مفاخرة السيف والقلم ، مفاخرة الورد والنرجس " (١)

فالمفاخرات تتسع للخيال وللبراعة في التعبير الأنيق لذلك حاول بعض الشعراء والأدباء إفراغ طاقاتهم الابداعية في هذا الفن فنجد على سبيل المثال مناظرة بين الليل والنهار وأخرى بين الأرض والسماء لمحمد أفندى الجزائرى ، ومناظرة بين الجمل والحصان للمقدسى .

ولكن هذه الفنون لم ترق إلى درجة الابداع والابتكار ، وإنما كانت تميل إلى الركافة والضعف سواء من حيث الخصائص المعنوية أو الأسلوبية ، ومجمل القول حول هذا الموضوع: إن الدكتور فروخ حاول كثيراً كما حاولنا معه - أن يدفع عن هذا العصر هذه التسمية - الانحطاط ، ولكن الحقيقة تبقى كما هي فنراه هو نفسه عند حديثه عن خصائص الأدب في عصر المماليك يقول : " وأما من الناحية اللفظية فإن الأسلوب قد ضعف كثيراً وركّب التركيب في بعض الأحيان ودخل فيه ألفاظ وتعابير قريبة من العامية " (٢)

فنرى أن السمة الغالبة للأدب في هذه الفترة سواء كان شعراً أو نثراً هي الضعف والركافة وعدم القدرة على الابتكار والابداع ، كما اتسعت السرقات الشعرية عند معظم شعراء هذه الفترة ، وقد ذكر الدكتور فروخ كثرة السرقات الشعرية في عصر المماليك خاصة :-

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٤ ، ٦١٥

(٢) المصدر السابق ص ٦١٤ ، ٦١٥ .

«وكثر في النثر والشعر المراسلات الاخوانية والمعارضات والمناقضات والألفاظ والمحاورات والاطناب في ألقاب المديح والاطالة في الرسائل والقصائد مع بروز عنصر الوصف بـروزاً شديداً ، وكثرت أيضاً السرقات الشعرية خاصة والاستهتار بها» (١) والوصف الذي برز هو وصف الطبيعة أحياناً ووصف الأشياء العادية والأدوات التي يستخدمها الانسان كثيراً فكان هذا الوصف سطحياً بعيداً عن عمق المعنى أو قوة الأسلوب .

وكثر وضع الشروح على الكتب والقصائد لعدم مقدرة الأدباء على الابتكار كما كانت التورية من أبرز ما مال إليه شعراء هذه الفترة ، وكثر أيضاً الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم سواء في الشعر أو النثر .

فهذا كله يدل على أن العصر كان عصر انحطاط وضعف وتخلف في الأدب ، يقول الدكتور زغلول سلام في ذلك : " انعكست على شعر العصر ملامح الحياة ، وأصداء أحداثها السياسية والاجتماعية وتياراته الفكرية والعقدية ، وربما كان أول أثر يواجهه القارئ لشعر العصر : الاحساس بالضعف الموضوعي ، وهلهلة البناء والصياغة وقلة الابتكار والاسراف في الاهتمام بالشكل والمظهر ، والايغال شيئاً فشيئاً في العامة" (٢)

ومع أن السمة الغالبة للأدب في هذا العصر الضعف والركاكة والانحطاط فإنني أرى أن هناك قلة من الشعراء والأدباء كانوا مجيدين ، ولكنهم لم ينالوا حظهم من الدراسة والبحث أمثال : الطغرائي صاحب "لامية العجم" الذي كان شاعراً مجيداً بليغاً

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٤ .

(٢) الأدب في العصر المملوكي د . محمد زغلول سلام ط بدون دار المعارف بمصر

سار على نهج القدماء فى شعره ، فتميز شعره بمتانة الأسلوب وحسن السبك ووضوح المعانى والأفكار وتنوعها .

كذلك الشريف المرتضى الذى تميز شعره بالجزالة والمتانة والفخامة أيضا فى أواخر هذا العصر نجد : ابن النبيه ، وابن نباته المصرى ، وابن سناء الملك وغيرهم ممن كان لهم أثر جيد فى أدب هذه الفترة ، ولكننا لانحكم على العصر بالومضات الخاطفة التى تظهر فى ثنايا مسيرته ولكن الحكم يأتي دائما على أساس السمات العامة والظواهر البارزة التى توجه فترة ما من الفترات وتكون بمثابة صفات مشتركة توجه الأدب وتلتقي فيها روافده .

* * * * *

٦ - كثرة التأليف في عصر الانحطاط

ذكر الدكتور فروخ أن التأليف كثر وازدهر في هذا العصر فقال : " كثرة التأليف في هذا العصر في اللغة والنحو وفي الجغرافيا والرحلات والتاريخ .. " (١)

فنظراً لتوفر المادة العلمية التي يستطيع المؤلفون الانطلاق منها كثر التأليف منذ القرن الأول من هذا العصر فنجد أن التأليف ووضع الكتب التامة في مختلف العلوم كان يتجه إلى الرقي والازدهار على عكس الأدب الذي كان يميل إلى الانحطاط ، وما كان ذلك إلا لعاملين ذكرهما الدكتور فروخ : (٢)

- ١ - بعامل الحاجة إلى كتب تسد مكان الكتب التي تلفت .
 - ٢ - بعامل هو أن العلم كان لا يزال - برغم كثرة الكتب التي ألفت في الأعصر السابقة - يقوم على الرواية فأراد حفاظ العلم بعد الاستعانة بما كانت ذاكرتهم لا تزال تعي وبعد الاستعانة بالكتب التي نجت من الدمار ، أن يضعوا كتباً في الموضوعات المختلفة .
- فالدمار واحراق المكتبات العامة والقاء الكتب في الأنهر وغير ذلك مما ألحقه التتر بالاراضي العربية في بغداد وغيرها كان من نتاجه تلف الكثير من الكتب والمؤلفات الثمينة فضاع الكثير من علوم المسلمين لذلك كانت هناك حاجة ماسة إلى تأليف كتب أخرى تسد مكان تلك الكتب التي أُلُفَّت .

كما أن المادة العلمية في هذا العصر كانت واسعة وتقوم على الرواية كما ذكر الدكتور فروخ ، وبما أن العلم عن طريق الرواية قد يضع بؤفاة صاحب الرواية كان من

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ، ج ٣ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ص ١٥٠

(٢) المصدر السابق ص ٦١٣ .

واجب المؤلفين وضع الكتب المختلفة . ومن أسباب كثرة التأليف في هذه الفترة هو أن أصول هذه العلوم - الحديث ، الفقه ، الجغرافيا ، التاريخ ، اللغة ، النحو — والتراجم ، الرحلات ، العلوم الرياضية والطبيعية التي ألف فيها المؤلفون كانت قد وُضعت سابقاً فأصبح لدى المؤلفين القواعد الأساسية التي ينطلقون منها في التوسع والتبحر حول هذه العلوم ، والاجتهاد والقياس في تطويرها ، فأخرجوا إلينا المجاميع الضخمة التي كل مجموع منها عدة مجلدات ، تدور حول علم واحد أو علوم مختلفة مثل : " نهاية الأدب في فنون العرب " لشهاب الدين النويري ، ت ٧٣٢ هـ وكتاب : " مسالك الابصار في ممالك الامصار " لابن فضل العمرى ت سنة ٧٤٨ هـ وكتاب " الوافي بالوفيات " لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ت سنة ٧٦٤ هـ وكتابي " عجائب المخلوقات " و " آثار البلاد " لزكريا بن محمد القزويني . ت سنة ٦٨٢ هـ .

وكتاب " طبقات الشافعية الكبرى " لتاج الدين السبكي ت سنة ٧٧١ هـ فهذه الكتب وغيرها الكثير والكثير كانت سبباً في إثراء المكتبة العربية الاسلامية بالكتب القيمة الثمينة العلمية التي ظلت زمناً طويلاً مرجعاً أساسياً في مجال البحث والدراسة والتأليف مما نحمده لتلك الفترة ويسجله التاريخ لها ومع هذا كله تبقى الحقيقة التي ألمحت إليها سابقاً وهي : أن الأدب الابداعي من شعر ونثر في فترة عصر الانحطاط كان متدهوراً ركيكاً غثاً ، أما التأليف العلمي فقد ازدهر فخرجت لنا المؤلفات والمجاميع الضخمة التي لاتزال إلى وقتنا الحاضر مفخرة للتراث العربي الاسلامي .

٧ - الأدب العربي في الأندلس والمغرب

أخذت الفتوحات الإسلامية تتسع وتمتد إلى أن وصلت المغرب ، فقد استطاع عقبة بن نافع أن يصل إلى المغرب الأدنى سنة ٤٦ هـ ويفتحه ، ثم بينى قيرواناً (معسكراً) للجند فيه ، وقد تابع عقبة الفتح في المغرب إلى أن وصل إلى ساحل البحر (المغرب الأقصى) فأخذ الإسلام ينتشر في المغرب ويقوى نفوذ العرب إلى أن دانت المغرب كلها للحكم العربي .

أما الأندلس: فقد تم فتحها سنة ٩٢ هـ عندما أرسل موسى بن نصير حملة بقيادة طارق بن زياد ، الذى استبسل في اجتياز المضيق الجبلي الذى كان يربط المغرب بالأندلس وبعد أن اجتاز المضيق قام بحرق السفن التى حملته وجنده ثم أخذ يستحث الجند ويحث فيهم روح الجهاد والقتال بهذه الخطبة الشهيرة :

" أيها الناس أين المفر ؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم ، وليس لكم — والله — إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من أيدي عدوكم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهب ربحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطية - أرخص متاع فيها النفوس - أبرأ منها نفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً . استمتعتم بالألذ الأرفه طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه بأوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات

في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجه بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبدالعزيز أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم . بمجالدة الأبطال الفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون فتحها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين . واعلموا أني أول مجيب لما دعوتكم إليه ، وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاعة القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى . فاحملوا معي فإنه إن هلك بعدة ، فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلك قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون " (١)

ويذكر الدكتور عمر فروخ أن في هذه الخطبة موقفين : موقف راجح : هو أن خطبة طارق والأبيات المنسوبة إليه منحواله كلها ، وهنالك موقف مرجوح (ضعيف) هو أن النشر والشعر لطارق بن زياد نفسه " (٢)

ثم يأخذ في هامش الصفحة نفسها يوضح الأسباب التي جعلته ينفي أن تكون هذه الخطبة لطارق فيقول : " طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الاسلام وفي ولاء موسى بن نصير ، ولما حاز طارق برجاله إلى الاندلس للفتح لم يكن قد مر على

(١) لم أجد نفح الطيب للمقرئ فنقلت الخطبة من كتاب الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل ط ١٩٧٩ م دار المعارف بمصر ص ٦٧ - ٦٨

(٢) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٤٠

اسلامه وتعلمه اللغة العربية إلا سنوات لا يزيدن على خمس فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله . ثم إن في هذه الخطبة صناعة هي أقرب الى ما عرف في العصر العباسي ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفح الطيب للمقري . وكما ذكر الدكتور فروخ سابقاً فإن دارسي الأدب العربي في الأندلس انقسموا إلى فريقين تجاه هذه الخطبة :-

الفريق الأول : يثبتها لطارق بن زياد أمثال : الدكتور باقر سماكة الذي يقول : " وطارق هو صاحب الخطبة الشهيرة التي خطبها بعد عبوره مضيق الجبل الذي سُمي فيما بعد باسمه وهذه الخطبة من أهم الخطب التي سجلها تاريخ الفتوحات الاسلامية" (١) والدكتور عبدالعزيز عتيق الذي يقول أيضا : " ورأى طارق مظاهر الخوف والتردد تبدو على وجوه بعض أصحابه حين علموا بزحف لذريق إليهم في جيش يفوقهم عدداً وعدة ولكي يزيل من النفوس كل مشاعر الخوف والتردد هب من فوره والقي على جنده خطبته الخالدة تلك التي حثهم فيها على الجهاد والصبر وناهم فيها الأمانى الطيبة " وبشرهم بما سيفتحون من بلاد ، ويصيبون من غنائم وينعمون به في دنياهم وآخرتهم " (٢)

والفريق الآخر ينفي أن تكون هذه الخطبة لطارق بن زياد أمثال الدكتور عمر فروخ وحكمة علي الأوسي ، والدكتور أحمد هيكل الذي أضاف على الأسباب التي ذكرها الدكتور فروخ في نفي الخطبة عن أن تكون لطارق سبباً آخرأ وهو أن جند طارق بن زياد كانوا من البربر وهو يقول لهم : اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً إذ يقول حول

(١) التجديد في الأدب الأندلسي د . باقر سماكة ، ط بدون ، مطبعة الايمان بغدا د

ص (٦)

(٢) الأدب العربي في الأندلس لابراهيم أبو خشب ، دار الفكر العربي ص ٣٥

ذلك-الدكتور هيكل- : وشيء آخر جاء في نص الخطبة يبعد أن يقوله طارق وهو قوله لجنده - وكانوا كما نعرف من البربر - وقد اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، فطارق كان يعرف أن جنوده من البربر وجنوده كانوا يعرفون أنهم ليسوا عرباناً ومن هذا يبعد أن يكون قد خطبهم بهذا الكلام الذي لايقوله إلا غير عالم بحقيقة جيش طارق " (١)

ولنناقش الأسباب التي اشترك فيها الدكتور فروخ والدكتور هيكل في نفي هذه الخطبة عن أن تكون لطارق بن زياد حقيقة ، إن طارق بن زياد حديث العهد بالاسلام والعربية عندما فتح الأندلس هذا أمر مسلم به لأن كل المصادر التاريخية تشير إلى ذلك وتثبته ، ولكن ذلك لاينفي من أن تكون الخطبة لطارق فعلاً لأنه كما نعلم دخل في ولاء موسى بن نصير - وهذا ما ذكره الدكتور عمر فروخ - وموسى بن نصير كان عربياً قحاً وشاعراً أيضاً فاتصال طارق بن زياد الوثيق به جعل طارق يحب اللغة العربية والاسلام لأنه أحب موسى بن نصير وإلا لما دخل في ولاءه فيكون هذا الحب وهذا الولاء سبباً رئيساً في تعلقه باللغة العربية وحباً لتعلمها وهذا أمر طبيعي فهو تعلم من موسى نصير إلى جانب تعلم اللغة فنون الفروسية والحرب وتأثر بشجاعته وإقدامه .

لذلك لا يصح أن نحكم بنفي الخطبة عن كونها لطارق بن زياد استناداً للفترة الزمنية التي تعلم فيها اللغة العربية فالمقدرة على التعلم أمر نسبي فهناك أناس يتعلمون في سنة مايتعلمه غيرهم في ثلاث أو أربع سنوات فلا يمكن لنا أن نشكك

(١) الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة د . أحمد هيكل ط ٧

دار المعارف بمصر ص ٧٠

فى نسبة الخطبة لطارق لأنه حديث العهد بالاسلام . إلى جانب أن الخطبة
ليس فيها من الابتكار والابداع والبلاغة والبيان ما يصعب أن يقوله رجل حديث العهد
بالعربية محباً لها ولأهلها كما أنها منتزعة من الموقف نفسه ، والظروف المحيطة
بالجند والقائد ، فهى تعد نموذجاً رائعاً لخطب قواد الفتوحات ، تلك التى كانوا
يلقونها على جنودهم قبل الزحف والقتال ، حتى يقبلوا على الجهاد والاستشهاد
وفى سبيل الله ، بإيمان ثابت وعزائم قوية ، راضية مطمئنة " (١)

فلم يكن طارق بن زياد يقصد بهذه الخطبة الامتاع أو الترويح عن النفس أو اظهار
مدى فصاحته وبلاغته ، وإنما يهدف إلى بث روح الحماسه والقتال فى نفوس جنده ، وقد
استطاع من خلالها أن يصل إلى ما يريد فأصبح لدى الجنود رغبة جامحة فى النزال
ومحاربة لذريق " فلما فرغ طارق من استشارة حماس اصحابه وتحريضهم على الصبر
فى قتال لذريق وما وعدهم من الخير الجزيل ، انبسطت نفوسهم وقالوا له : قد
قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمنا عليه ، فاحضر إلينا فإنا معك وبين يديك " (٢)

أما قول الدكتور أحمد هيكى بأن الجند كانوا من البربر وطارق يقول لهم : " لقد
اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً " ويقصد أن فى ذلك تناقضاً إذ كيف يقول
لهم عرباناً وهم من البربر ، فنحن نتساءل على أى أساس يؤكد الدكتور هيكى بأن
جميع جند طارق كانوا من البربر ، فما يرفضه العقل أن يترك موسى بن نصير المغرب
ويأخذ معه جميع جنده العرب الذين قدم بهم من المشرق ولكن الذى حدث أنه

(١) الأدب العربى فى الأندلس لعبد العزيز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية - بيروت

١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ص ٣٥

(٢) المصدر السابق ص (٣٧) .

عندما أراد العودة إلى دمشق ترك معظم الجند العرب في المغرب وجعل طارق ابن زياد قائداً عليهم وعلى الجند البربر أيضاً ومما يؤكد وجود الجند العرب في جيش طارق قول الدكتور حكمة الأوسى : " ومهما يكن من أمر فإن الظروف التي كانت سائدة في داخل أسبانيا وفي شمال أفريقيا كانت تسمح لهذا الفتح وتحت عليه ، فقد كان طارق يقيم على المضيق ومعه عدد يتعاضم كل يوم من الجند العربى والبربرى المتحفـز (١) للقتال " كما أنه ليس من المعقول أن يكون طارق قد ترك الجند العرب جانباً وأخذ معه لفتح الأندلس الجند البربر فقط فهذا ما يرفضه العقل رفضاً أكيداً ، فلولا أن أطمأن موسى بن نصير لطارق وأخلاقه وسلوكه مع الجند سواء كانوا عرباً أو بربراً لما جعله قائداً وأميراً عليهم .

وإذا تبين لنا أن في جيش طارق بن زياد جنداً من العرب فإن ذلك يؤكد بأن طارق كان عالماً باللغة العربية مجيداً لها ولألا لما أمره موسى بن نصير على الجند العرب الذين لا بد وأنهم يحتاجون لقائد يتحدث العربية يوضح لهم طريقة دخول المعركة والخطط المطلوب تنفيذها ويقنعهم بأهمية الالتزام بها

أما القول بأن خصائص الخطبة أميل إلى خصائص الخطبة في العصر العباسي منها إلى خصائص العصر الأموي ، فكما علمنا أن طارقاً تعلم اللغة العربية في فترة لا تسمح له بالوقوف على نتاج أدباء العصر الأموي ليتأثر بأساليبهم وخصائصهم فقد قال الخطبة دون تأثر بخصائص معينه لأنه كما ذكرنا سابقاً يهدف إلى بث روح الحماس والقتال والصبر في نفوس الجند . أما أن يسكت المؤرخون والأدباء عن ذكر هذه الخطبة في مؤلفاتهم إلى عهد المقرئ فهذا ليس سبباً كافياً لنفي الخطبة من أن تكون لطارق بن زياد فربما كان المؤرخون قد انشغلوا بالاحداث التاريخية الجلية المتعاقبه التي أحدثها العرب في الأندلس مما استنفد كل طاقاتهم سواء في البحث أو الكتابة حول هـذـه (١) فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة . حكمه الأوسى ص ٢٦

الأحداث فانشغلوا بها عن ذكر هذه الخطبة التي قالها طارق بن زياد .

ولذا فإنني لا أستبعد نسبة هذه الخطبة إلى طارق بن زياد وأن تكون هذه هي أول نتاج أدبي يأتي من الأندلس . أما عن نتاج هذه الفترة من فتح الأندلس سنة ٩٢هـ إلى سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة ١٣٢ فقد كان من نتاج المشاركة الذين طرءوا على المغرب والأندلس، يقول الدكتور فروخ في ذلك : " أما النثر اليسير الذي وصل إلينا من النثر والشعر في عصر الولاة (٩٣هـ - ١٣٨هـ) فقد قاله مشاركة من الطارئين على المغرب والأندلس " (١)

وهذا هو العهد الأول للأدب العربي في الأندلس والذي استمر إلى سقوط آخر مدن الأندلس (غرناطة) في يد الأسبان سنة ٨٩٨هـ ، وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمان تفاوت الأدب من شعر ونثر بين القوة والأصالة والتجديد إلا أن السمة الغالبة للأدب الأندلسي تأثره بالأدب المشرقي فقد كان نتاج أدباء الأندلس تقليداً لأدباء المشرق خاصة في القرنين الثاني والثالث إلا أننا نرى في القرن الثالث بوادر التجديد بدأت تظهر، فقد ظهر الشعراء الأندلسيين سواء كانوا من أصل مشرقى كأمرأ بنى أمية أو كانوا من المغرب .

وبذلك خرجت لنا البذرة الأولى لخصائص الأدب الأندلسي الذي لا يختلف كثيراً عن خصائص الأدب المشرقي من حيث الفنون والأغراض التي ظلت مشرقية اللهم إلا التوسع في بعض الفنون كفن الوصف فأكثر أدباء الأندلس من وصف الطبيعة خاصة وصف المدن والممالك التي بناها العرب في الأندلس .

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٤٦

وفن الرثاء فبكوا كثيراً المدن الأندلسية التي أخذت تسقط الواحدة تلو الأخرى في يد الأسبان ، إذن قد كانت دواع متعددة لاتساع هذين الفنين ، فطبيعة الأندلس والحياة فيها وما اشتملت عليه من ترف ونعيم كانت قميئة بأن تجعل هذا الفن يتسع ويزدهر، كذلك فن الرثاء، فسقوط المدن الأندلسية في يد الأسبان على مرأى حكام وأمرأ الأندلس الذين لم يستطيعوا المقاومة نتيجة ضعفهم وإهمالهم أثار ذلك في نفوس الشعراء مشاعر الحزن والألم على هذه المدن فما كان أمامهم إلا أن يكونها ويرثونها .

وبذلك يمكن لنا القول بأن شعراء الأندلس قد تناولوا فنون الشعر المشرقي دون تجديد إلا أنهم توسعوا في بعض الفنون كالوصف والرثاء . ومن الوصف قول ابن خفاجة يصف نهراً :-

لله نهرٌ سالٌ في بطحاء	***	اشهى وروداً من لمى الحسناء
متعطفٌ مثل السوار كأنه	***	والزهرُ يكفهُ مجرُ سماءٍ
قد رقَّ حتى ظنَّ قرصاً مفرغاً	***	من فضةٍ في بردةٍ خضراءٍ
وغدت تحفٌ به الغصونُ كأنها	***	هدبٌ يحفُ بمقلةٍ زرقاءٍ

ومن الرثاء رائية الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون في رثاء قتلى ابن الأفطس والتي يقول في مطلعها :-

الدهرُ يفجع بعد العين بالاثـر
فما البكاء على الأشباح والصـور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظـة
عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظفر

فلا يغررك من دنياك نومتها
فما صناعة عينيها سوى الشهر
إلى أن يقول :- والدهر حرب وإن أبدى مسالمة
والسود والبيض مثل البيض والسم

كما بقيت الفنون المشرقية : المدح والفخر والحماسة والثناء والهجاء والوصف والغزل والنسيب والعتاب والأدب (الحكمة) غير أن الأغراض (الموضوعات الجزئية) فى عدد من هذه الفنون قد عرفت أشياء جديدة ، وخصوصاً فى الوصف الذى اتسع فى الأندلس خاصة اتساعاً عظيماً وعلى الأخص وصف المعارك البحرية ثم وصف الرياض من عالم الطبيعة ووصف المنشآت من عالم العمران (كوصف المدن وراثها مثلاً) ولقد رقت فى هذه الفنون كلها عاطفة الشاعر واتسع خياله ، ولكن الشعر عامة ظل من حيث المعانى المبتكرة والمدارك البعيدة الغور - أدنى طبقة من الشعر المشرقى .^(١)

ومما لاشك فيه أن وصف الطبيعة فى الأدب الأندلسي كان مميزاً ولا غرابة فى ذلك فطبيعة الأندلس جديرة بأن توقظ الاحساس والخيال فى نفوس الأدباء والشعراء فتفجر قرائحهم وتنساب أقلامهم عندما ينهلون من هذه الطبيعة الخلابة ويصون ذلك فى قالب من الوصف الوجدانى والمادى أمثال ابن خفاجة ، وابن زيدون ، وما يكاد ينقضى القرن الرابع الهجرى ويطل القرن الخامس حتى نجد أن الدولة العظيمة التى أقام صرحها عبدالرحمن الداخل بدأت تنهار وتتحطم ويقوم مكانها نظام جديد ، وهو أن تحكم كل مدينة كبيرة نفسها فنشأ عصر ملوك الطوائف من سنة ٤٢٢هـ إلى سنة ٤٨٣هـ وقد تنافس هؤلاء الملوك فى تشجيع الفكر والأدب، يقول الدكتور فروخ

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٤ ، ط ١ دار العلم للملايين ص ١٩٥

فى ذلك : " ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة والوزارة من أسباب الترف ، كما كانوا يجمعون فى بلاطاتهم الآداب والشعراء فيغدقون عليهم الأموال " (١) فقد كان النتاج الأدبى بارعاً جيداً سواء فى الشعر أو النثر " وهكذا نرى الأندلس بفضلهم تنهض فى القرن الخامس وأوائل السادس نهضة واسعة فى أدبها من شعر ونثر حتى ليُعد عصرهم من أزهى عصور الأندلس الأدبية " (٢) مع العلم بأن الفنون الأندلسية هى نفسها الفنون العباسية إلا أن الأندلسيين عالجوا هذه الفنون معالجة جديدة فأكثرُوا من الوصف وسعة الخيال " وقد اشتد التنافس بين هذه المدن واستطاعت الأندلس عن طريق هذا التنافس أن تظفر بأكبر حظ من النشاط العلمى والأدبى إذ كان كل أمير أو ملك كما كانوا يسمونه يريد أن يبذ من حوله فى القوة والسلطان والثروة المادية والعقلية والفنية " (٣) ثم تلا عصر ملوك الطوائف عصر المرابطين الذين لم يكونوا ذوى دراية وافية باللغة العربية وكانوا يميلون إلى السيف أكثر من ميلهم إلى القلم " (٤) فبار الشعر فى بلاطاتهم وانحط الأدب فى عهدهم إلا أن الدكتور فروخ يرى أن شعر التكسب هو الذى كسد فى هذا العهد لأنه كان عهد كفاح وجهاد وليس عهد ترف وإقبال على الملذات ويقصد بذلك عهد يوسف بن ناشفين " يقول : " إن الدول فى أيام قيامها قلما تحفل بالشعر وبسائر الفنون ، إذ نراها مهتمة بالفكر والعلم - رأينا ذلك فى عهد الخفاء الراشدين

(١) تاريخ الأدب العربى . د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٣٨٦

(٢) الأدب العربى فى الأندلس لعبدالعزیز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية - بيروت ص ١٠٠

(٣) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د . شوقي ضيف ط ٨ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٣١

(٤) التجديد فى الأدب الأندلسى لباقر سمالة مطبعة الايمان - بغداد ص ٣١

وفي مطلع الدولة الأموية وفي مطلع الدولة العباسية أيضا - ثم إذا نحن استعرضنا العلم والثقافة والشعر نفسه أيضاً في عصر المرابطين لم نجد لها أدنى مما كانت من قبل ، وكان بعضها أحسن حالاً إلا شعر التكسب " فالدكتور عمر فروخ يرى أن شعر التكسب هو الذي كسد في عصر المرابطين لعدم اهتمام الخلفاء بالشعر والإجازة عليه .

وقد تلا هذا العصر عصر الموحدين الذين اهتموا بالشعر والأدب فأجازوا الأدباء والشعراء ولذلك كان الأدب مزدهراً في عهدهم ، ويذكر ذلك الدكتور عمر فروخ بقوله : " في عهد الموحدين ازدهر الشعر وكثر الشعراء لاحتفال الموحدين - خلافاً للمرابطين - بشعر المديح والاجازة عليه " (١) فقد كان اهتمام الموحدين بالشعر سبباً رئيساً في ازدهاره " لم يكن خلفاء الموحدين من المشجعين على الأدب ، والمتدوقين له والمقربين لرجالهم فحسب ، بل كانوا كذلك مشاركين فيه منتجين له ، ناقلين للشعر في بعض الأحيان ، لهذا كله لم يكن إلا طبيعياً ازدهار الأدب في هذه الفترة وكثرة الشعراء والكتاب حتي ان هؤلاء وأولئك قد نسوا في ظل الموحدين أو كادوا ، تلك العواصف القوية اللافحة التي كان يسلطها عليهم الفقهاء المتعنتون في العصر المرابطي " (٢)

فهذا تأكيد على تدهور الأدب في عصر المرابطين ، وازدهاره في عصر الموحدين .

(١) تاريخ الأدب العربي ، د. عمر فروخ ، ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ٦٨

(٢) المصدر السابق ص (٣٧٨)

(٣) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، حمكة على الاوسي ، ط بدون ، مكتبة الخانجي

وأخيراً يتحدث الدكتور عمر فروخ عن آخر الدول التي قامت في الأندلس والمغرب وهي دولة بني الأحمر فينفرد الجزء السادس من موسوعته : تاريخ الأدب العربي للحديث عن الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة * .

فقد كان الأدب في هذه الفترة شعراً ونثراً تهيم عليه لهجة الاستغاثية والبكاء واستنهاض الهمم : يقول الدكتور عمر فروخ : " وكثر رثاء المدن والدول في الأندلس ومن أشهر ما قيل في ذلك قصيدة ابن عبدون " الدهر يُفجع بعد العين بالآثر " وجرت بين ملوك المغرب وملوك الأندلس مكاتبات ، فكانت رسائلهم في ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي استنهاض بعض أولئك الملوك همم بعضهم الآخر " (١) فنظراً لسقوط المدن الأندلسية في يد الأسبان الواحدة تلو الأخرى كثر رثاء المدن والبلدان ، والذي أفرد له الدكتور عمر فروخ عنواناً خاصاً وجعل الحديث عن الأدب في هذه الفترة بهذا العنوان : رثاء البلدان (٢)

كما يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق عن الأدب في هذه الفترة : " وكان تأثر الأدب الأندلسي بأحداث هذا العصر السياسية أكثر من تأثرها فيه ، فالأدب في دولة بني الأحمر ، والشعر فيه بخاصة ، يغلب عليه طابع الاستغاثية واستنهاض همم ملوك المغرب وتونس للمؤازرة في الدفاع عن مجد العرب المهدد بالضياع في الأندلس فيستجاب لصرخ هذا الشعر حيناً ، وتضم الأذان عنه أحياناً " (٣) فالغرض الذي كان يغلب

(١) تاريخ الادب العربي ، د . عمر فروخ ج ٦ ص ٩٦

(٢) المصدر السابق ص ٦٣

(٣) الأدب العربي في الأندلس د . عبدالعزيز عتيق (مصدر سابق) ص ١٢٩ .

على شعراء الأندلس هو الرثاء واستنهاض الهمم ، ومن رثاء الأندلس قصيدة ، أبي البقاء
الرندي المشهورة :- (١)

لـك شـيءٌ إذا ماتم نقصان * * فلا يُغـر بطيب العيش إنسانُ

هي الأمـورُ كما شاهدتهـا دُول * * من سرّه زمنٌ ساءتـه أزمانُ

وهذه الدار لا تبقى على أحد * * ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

إلى أن يقول :-

أينَ الملوكُ ذوو التيجانِ من يمينٍ * * وأين منهم أكاليلُ وتيجانُ

وأين ماشادَه شدادُ فـي إرمٍ ؟ * * وأين ما ساسَه في الفرسِ ساسانُ

وأين محازره قارونُ من ذهبٍ ؟ * * وأين عادُ وشدادُ وقحطانُ

أتى على الكلِّ أمرٌ لامرَدٍ لـه * * حتى قضوا فكأن القومَ ماكانوا

وصار ماكان من مُلكٍ وممن ملك * * كما حكى عن خيالِ الطيفِ وسانُ

وهكذا عرض الدكتور عمر فروخ للأدب العربي في المغرب والاندلس خلال ثمانية قرون حكم فيها العرب المسلمون هذه البلاد ونشروا فيها الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية واعطى صورة واضحة للأدب العربي شعراً ونثراً خلال هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية والاسلامية .

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٦ ص ٢٨٧-٢٨٨

٨-الموشحات*

تعتبر الموشحات فناً أندلسياً خالصاً إذ لم تكن معروفة لدى المشاركة من قبل " فقد تميز الأدب الأندلسي فيما تميز بظهور فنون شعرية عديدة مثل الدوبيت ، والقوما والكان كان ، والموال ، ولكن أكبر تلك الفنون وأهمها الموشحات والأزجال ويعتبران شقيقين تجمعهما صفات كثيرة منها أنهما فنان غنائيان ، ومن تلك الصفات الجامعة بينهما تشابه الموضرعات والأوزان والقوافي والمقاطع " (١) وقد ساعد على ظهوره البيئة التي تميزت بها الأندلس والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة من ترف ونعيم ولهو واهتمام بالغناء والموسيقى ، يقول في ذلك الأستاذ باقر سماكة :- انغمس المجتمع الأندلسي خلال فترات طويله في بحبوحة من اللهو والترف وقد اقتضى هذا النمط من العيش اللاهي المتترف ايجاد لون من الشعر ليكون مادة للغناء في ليالي الأانس ومجالس الطرب حول الموائد المثقلة بالشراب والطعام فاستحدث هذا الفن للغناء " (٢)

ولم يتحدث الدكتور فروخ عن سبب انتشار الموشح في الأندلس أو دواعي ظهور هذا الفن وإنما ذكر أنه يعتبر فناً أندلسياً إذ قال : " يجمع مؤرخو الأدب على أن الموشح في شكله المخصوص وخصائصه المعروفة فن أندلسي " (٣) مع أنه أطلال وفصل النظريات التي قيلت في نشوئه وبين أجزاءه وأسماء هذه الأجزاء، وأعطى الأمثلة الوافية عليها ، وذكر أوائل الوشاحين والخصائص الأدبية في الموشح وكان ذلك في ست وثلاثين صفحة من الجزء الرابع ، ولكن أغفل ذكر أسباب انتشار الموشح في الأندلس.

(١) التجديد في الأدب الأندلسي باقر سماكة ، مطبعة الايمان - بغداد - ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ٤ ، ط ١ دار العلم للملايين ص ٤٢١ .

أما عن النظريات التي قيلت في نشوء الموشح فيذكر الدكتور فروخ أربع نظريات :

أ - النظرية الأجنبية : ومضمونها أن هذا الفن إنمأنشأ لأن العرب اختلطوا بالغرب وأهل الأدب ازدروا الفصح، فهذا الازدواج في اللغة كان سبباً في نشوء الموشح ويرفض الدكتور فروخ هذه النظرية بشدة فيقول : "ومع أن نفر من هؤلاء المتعلقين بهذه النظرية كثيراً وقليلاً هم ممن أعرفهم وأجلهم فإنني لأملك استغرابي من استمرارهم في موقفهم بعد أن صدر في النظرية العربية للشعر الأوروبي دراسات علمية متصلة باللغات الانجليزية والألمانية والأسبانية والفرنسية، لأريد أن أعتقد أنهم قرءوا هذه الدراسات ولكن أليس غريباً مستغرباً أن يقول الإ فرنسيون والإ يطاليون والألمان والأسبان ، إنهم قد أخذوا شعرهم من أزجالنا وموشحاتنا ثم يأتي نفر منا فيزعمون أن موشحاتنا وأزجالنا مأخوذة منهم ؟ .

ب - النظرية الفنية : فقد ظهر الموشح نتيجة كثرة الشعر لدى الأندلسيين وتهذيب فنونه وبلوغ الغاية في تنسيقه .

ج - نظرية تطور الأنواع الأدبية : وهو أن يكون امتداداً أو تطويراً لفن التسميط الذي عرف منذ الجاهلية .

د - النظرية الموسيقية : فنظراً لحاجة المغنيين إلى الكلام يسايرون به الألحان نشأ الموشح (١)

فهذه أربع نظريات ذكرها الدكتور عمر فروخ في أسباب ظهور فن التوشيح في الأندلس وإنني أرى أن الأسباب الثلاثة الأخيرة يمكن أن تكون جميعها سبباً في ظهور الموشح في الأندلس ، ففن التوشيح ما هو إلا تطوير لفن التسميط الذي ظهر منذ الجاهلية

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ ، دار العلم للملايين ص ٤٢٤

كما أنه كان بسبب تطور الحياة الاجتماعية في الاندلس واهتمام الأدباء فيها بالشعر والتجديد فيه إلى جانب حياة الترف والنعيم واللهو والانصراف للغناء كثيراً، أصبح هناك حاجة ماسة لنوع من الكلام يوافق الحان المغنين يخدمها فظهر الموشح : " والتوشيح الصحيح فن صعب فإن على الوشاح أن يكون موسيقياً قبل أن يكون شاعراً والعزف على الآله الموسيقية هو الميزان الصحيح لبراعة الوشاح " (١)

فهو امتداد لفن التسميط الذي عرف منذ الجاهلية وتطوير له ، وقد ظهر أيضاً لدى شعراء العصر العباسي الخروج عن الأوزان الخليلية كأبي العتاهية وأبي نواس . . وبذلك يمكن لنا القول بأن الموشح ما هو إلا تطوير للشعر العربي المشرقي ونفي بشدة مع الدكتور فروخ أن يكون الموشح قد تأثر بالأدب الأسباني الأوروبي وإن استند أصحاب نظرية تأثر الموشح بالأدب الأوروبي على وجود ألفاظ أعجمية في الخرجات ، ونرجع ذلك إلى اختلاط العرب بالأعجميات اللاتي كن يستخدمن لغتهن في التحدث والتغزل " ولنه كان العربي يمثل العنصر الارستقراطي المسيطر في الاندلس فكان من الطبيعي أن تحاول الغانيات الأسبانيات التقرب منه بالود واطهار الحب لترجو منزلة أفضل من صاحباته أو حواريه . . ويبدو أن تغزل المرأة بالرجل كان ظاهرة شائعة بين الأسبانيات المستعربات ، أي اللاتي كن يعشن بين العرب الاندلسيين ، فأتى الوشاحيون وعبروا في موشحاتهم عن هذه الظاهرة بأن نقلوا كلام الفتاة المتغزل بها وبالفاظها الأعجمية لأن ذلك أقرب إلى الحقيقة وأشد تأثيراً في نفوس السامعين — أو على الأصح لم ينقلوا كلام الفتاة وإنما تصوروا أن فتاة من الأعاجم في مثل هذا الموقف الذي يصفونه يمكن أن تقول هذا القول الذي يقولونه على لسانها ويستعيرون لأدائه ألفاظها ولغتها الأعجمية ليكون النظم أدخل في باب الظرف وأفعل في النفس " (٢)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ . ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٢٤٤
(٢) فصول في الأدب الاندلسي / د . حكمة علي الأوسى ، ط ٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ص ١٢٤-١٢٥

ولما سكت على ذلك المحافظون على اللغة العربية الفصحى ، أمثال ابن عبد ربه وغيره ممن أهتم باللغة الفصحى وسيادتها في الأندلس ، وبذلك يكون الموشح تطويراً للشعر المشرقي الذي لوحظ فيه الخروج عن الوزن والتخلص من القافية أحياناً ، ولأن الحياة الاجتماعية في الأندلس اختلفت كثيراً حيث ساد الترف والنعيم ، وانتشر اللهو ومجالس الطرب بالإضافة إلى حاجة المغنيين في الأندلس إلى مقطوعات شعرية جاهزة للغناء ، لهذه الأسباب جميعها ظهر الموشح في الأندلس .

أما عن أوائل الوشاحين أو مخترع الموشح فقد اُخْتَلِفَ في ذلك ، فقليل إن أول الوشاحين الشاعر العباسي "عبدالله بن المعتز" ونسبوا إليه الموشح الذي مطلعها :-

أيها الساقى إليك المشتكى * * * قد دعوناك وإن لم تسمع

ويقول الدكتور أحمد هيكل في ذلك :- " ولعل من تمام الحديث عن مخترع الموشحات أن نشير إلى أن بعض الباحثين قد فهم أن مخترع الموشحات هو الشاعر العباسي عبدالله بن المعتز والسبب في هذا الفهم أن موشحة قد وردت في الديوان المطبوع لهذا الشاعر العباسي ، وقد كان ابن المعتز معاصراً لمقدم بن معافي ، وليس بين أيدينا شيء من موشحات هذا الأندلسي على حين يحتوي ديوان ابن المعتز على موشحة فكل هذا قد أوهم أن ابن المعتز هو صاحب أول موشحة ، وأن المشرق هو مصدر هذا النوع الشعري ، والحق أن ابن المعتز لم يقل بتلك الموشحة الواردة في ديوانه وإنما هي لشاعر أندلسي وشاح ، هو ابن زهر الحفيد " (١) وقد ذكرت بعض كتب تاريخ الأدب أن مقدم بن معافي القبري هو أول من نظم الموشح " والمرجح أن مخترع هذا النوع الشعري هو مقدم بن معافي القبري " (٢) كما ذكرت بعض الكتب أيضاً ابن عبدربه

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ط ٧ دار المعارف بمصر

(٢) أحمد هيكل ص ١٤٥
المصدر السابق ص ١٤٥ .

على أنه أول الوشاحين ، ولكن الدكتور فروخ ينفي أن يكون ابن عبدربه نظم موشحات
لسببين رئيسيين :-

- ١ - لم يصل إلينا موشحات تنسب له .
- ٢ - كان ابن عبدربه صاحب العقد مولعاً بإيراد أشياء من شعره في كتابه " العقد"
عند كل مناسبة ولم نر أنه أورد شيئاً من التوشيح من نظمه ، ولو أنه نظم من هذا الفن
الجديد الجميل شيئاً لأورد منه عدداً من مقاطع شعره الموشح كما أورد من شعره
المقصد ، إلا إذا كان ابن عبدربه يعتقد أن ذلك الشعر الجديد كان ضرباً من
العبث لا يليق إيرادَه في كتاب بني على الجد " (١)

هذا قول راجح فلو أن ابن عبدربه نظم شيئاً من الموشحات لوصل إلينا ولو بعض
تلك الموشحات فابن عبدربه من الأدباء الذين اهتم بهم دارسو الأدب ومؤرخوه
منذ عصره ، ولو أنه نظم شيئاً من الموشحات لذكروا لنا ولو بعضاً منها وقيل أيضاً
في مخترع الموشحات أنه محمد بن محمود القبرى القيرى ، ومع أن الكثير من الأدباء والباحثين
أجمع على أن "مقدم بن معافى القبرى" هو مخترع فن التوشيح كما يذكر الدكتور هيكل (٢)

فإننا نرى أنه لا يوجد فن يقوم فجأة ويأتى متكامل على يد شخص بمفرده بل لابد أن
يسهم أكثر من شخص فى تكوينه وتنسيقه وتهذيبه خاصة الموشح فهو فن متعدد
العناصر متشعب الفروع ولا بد أن يكون ساعد على اخراجه بالصورة التى نراه عليها عندما
وصل إلينا أكثر من وشاح والاختلاف فى حقيقة مخترع الموشح لا ينفي حقيقة نشأته ووجوده

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٤ ط ١ ، دار العلم للملايين ص ٤٣٩

(٢) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د . احمد هيكل ط ٢ / ١٩٢١

إذ ليس لزماً في فن متعدد العناصر متشعب الفروع كالמושحات أن يكون له مخترع واحد فمن الجائز أن تكون الفكرة قد سنحت لخطر شاعر فأبرزها في صورة ما ثم التقطها منه بعض معاصريه واسهموا معه في نشأتها أو في المرحلة الأولى من نشأتها كما هو الشأن في نشأة كثير من الفنون والعلوم " (١)

وذلك ما يقوله الدكتور الركابي في كتابه الأدب الأندلسي: " وإننا لنجد طبيعياً ألا يكون ظهوره قد بدأ فجأة بل لابد ، في بادئ الأمر ، من محاولات مختلفة تظهر على السنة عدد من الشعراء ، شأنه في ذلك شأن كثير من الفنون الجديدة التي تتعثر في فاتحة عهدها ثم لا تلبث أن تجد معالمها الواضحة وأسسها الجلييلة على يد من مارسها واهتم بها ووجد فيها هواة ومبتغاه " (٢)

وهذا ما نرتضيه إذ لابد أن يكون فن التوشيح قد مر بمراحل ساعدت على تطويره وتحسينه وكان ذلك من قبل عدد من الشعراء ، كما يذكر أيضاً الكثير من الباحثين أن الموشحات صارت فناً قائماً بذاته على يد أبي عبادة بن ماء السماء وهو أول من وصلت إلينا موشحاته " أما أول من وصلت إلينا موشحاته فهو أبو بكر عبادة بن ماء السماء " (٣) ويذكر الدكتور عبدالعزيز عتيق فضل أبي بكر عبادة بن ماء السماء في تطوير الموشح إذ يقول : " صارت الموشحات فناً قائماً بذاته على يد أبي بكر عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢ هـ " (٤)

(١) الأدب العربي في الأندلس عبد العزيز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية - بيروت ص ٣٤٣

(٢) في الأدب الأندلسي د / جودت الركابي ، ط بدون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ص ٢٨٩

(٣) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ط ١ دار العم للملايين ج ٤ ص ٤٣٩

(٤) الأدب العربي في الأندلس د . عبدالعزيز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية - بيروت ص ٣٤٣

ويضيف الدكتور فروخ : "إليه يرجع الفضل في توسيع فن الموشح والرقى به ، ثم جاء أبو عبادة القزاز ففاق أهل عصره في فن التوشيح " (١)

أما عن الخصائص الأدبية في الموشح فيذكرهنا الدكتور فروخ عدة خصائص منها عذوبة الألفاظ واستعمال بعض الألفاظ قليلة الشهرة في المشرق نحو أكحل بمعني الأسمر ، وهنالك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ نحو أنا فيه أهيم (في موشحة الأعمى التطيلي) مكان " به " غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الإعراب ، وقد احتفظ نفر منهم بأسلوب شرقي متين . وتكثر في الموشحات الصور الشعرية في التشبيه والاستعارات البارعة إلى حد الرمز اللطيف نحو:-

وسلت على الأفق يد الغرب والشرق سيوفاً من البرق
وقد أضحك الزهر بكاء الغيوم .

أما الصناعة اللفظية فقليلة جداً في الموشح " (٢) ثم يقول بعد صفحات قليلة " وإذا كان الموشح قد خبر شيئاً من الفتور لدى نفر من النقاد ومؤرخي الأدب فلأسباب التالية :-

- انطواؤه عامة على كثير من الهزل من حيث الأغراض وعلى شيء من التساهل من حيث الأسلوب .

- الضعف في التركيب اللغوي والنحوي .

- اللجوء في الخرجة أحياناً إلى جمل وتراكيب عامية أو عجمية (أفرنجية)

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٤٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٨ .

- قلّة البراعة في كثير من الموشحات بحيث أصبح مجموع الموشحات نازلاً في المرتبة

والاجادة عن مجموع القصائد . (١)

فالذي تأخذه على الدكتور فروخ أنه ذكر في خصائص الموشح الأدبيّه بعده عن العامية وعدم تركه الاعراب : " غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الاعراب " كيف ذلك ؟! فإن من خصائص الموشح كما يذكر الكثير من الأدباء اشتغال الخرجه خاصة على كلمات عامية أو أعجمية " والخرجه ثلاثة أنواع : خرجة معربة الألفاظ فصيحة وخرجه ملحونة الألفاظ عامية وخرجة أعجمية الألفاظ " (٢)

كما أن ابن سناء الملك الذي هذب هذا الفن يذكر وجوب اشتغال الخرجه على ألفاظ عامية أو أعجمية إلا في حالات ضيقة جداً بأن يكون الموشح موشح مدح وذكر الممدوح في الخرجه أو تكون ألفاظ الخرجة غزله جداً . . . " والشرط فيها أن تكون حاجية من قبل السخف ، قزماتيّه من قبل اللحن ، حارة محرقة حادة منضجة من ألفاظ العامة ولغات الداحه ، فإن كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ماتقدمها من الأبيات والأقوال خرج الموشح من أن يكون موشحاً ، اللهم إلا إن كان موشح مدح وذكر الممدوح في الخرجة ، فإنه يحسن في هذه الحالة أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي :-

إنما يحيي سليل الكرام *** واحد الدنيا ومعنى الأنعام

وقد تكون الخرجة معربة ، وإن لم يكن فيها اسم الممدوح ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة جداً ، هزارة سحارة خلابة ، بينها وبين الصباية قرابة ، وهذا معجز معوز

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ،

ص ٤٤٥ - ٤٤٦

(٢) الأدب العربي في الأندلس د . عبدالعزيز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية بيروت ص ٣٤٩

وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة كقول ابن بقي :-

ليل طويل وماعمين *** ياقلب بعض الناس أما تلين ؟

فمن قدر أن يقول هكذا فليعرب ، ولإلا فليغرب " (١)

ومن اشتمال الخرجة على عامية الاندلس قول أحد الاندلسيين في ختام موشحته :-

ألب ديه اشت ديه *** دى ذا العنصر حقا

يشترى لو المد بح *** ويشق الرمح شقا

ومعنى هذا الختام :- هذا اليوم يوم فجرى ، لأنه يوم عيد العضره ، وسوف ألبس ثوبي

المزين ، وأشق الرمح شقاً " (٢)

فهناك تناقض بين ادعاء الدكتور فروخ عدم استعمال الوشاحين الفاظ عامية وعدم تركهم للإعراب وبين مانجده في الأدلة السابقة من اشتمال الخرجة على ألفاظ أعجمية أو عامية إلا إذا كان يقصد بذلك بقية أجزاء الموشح ماعدا الخرجة لأنه كان من المألوف في قواعد التوشيح اشتمالها - الخرجة - على الألفاظ العامية والأعجمية. أما الضعف في التركيب وفي الألفاظ فقد كان ظاهراً في الموشحات كما ذكر الدكتور فروخ وبذلك كان للموشح دور في انحدار الشعر إذ اخذ يميل إلى الضعف والركاكة من حيث المعنى والأسلوب وكثر استعمال الألفاظ العامية أو الأعجمية في نظمه حتى كان سبباً في ظهور الزجل " الشعر الشعبي " يقول الركابي ، وهكذا فإننا لانجد في معاني الموشحات جدة وعمقاً ، وإنما هي لطيفة حلوة على ابتدائها يستسيغها الذوق لنعمومة خيالها وبريق صورها وهذه المعاني التافهة يسترها طلاء خارجي مستمد من

(١) دار الطراز ، لابن سناء الملك ، تحقيق جودت الركابي دمشق ١٩٤٩م

(٢) الادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل ط ٧ دار المعارف

ضروب البيان والبديع " (١) وعن لغة الموشحات يقول الركابي أيضا : " فلغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة وهى فى لينها وحريتها واثلافا مع روح العامة قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأسأت من هذه الناحية إلى اللغة العربية فأصبح الشاعر والوشاح لا يجد حرجاً فى التساهل اللغوى طالما يبغي ارضاء الأذواق العامة كما تُرضي الأغاني الشعبية هذه الأذواق ، وكانت الموشحات قفزة من القفزات التى أدت إلى الشعر الشعبى العامى المسمى بالزجل " (٢)

أما قوله : أما الصناعة اللفظية فقليلة جداً فى الموشح^(٣) فإننا نرى أنه لم يحالفه الصواب فى هذه المقولة إذ نجد أن الموشح أثقل بالصناعة اللفظية وأغرق الوشاحون فيها فأكثرُوا من السجع والطباق والجناس والرمز . . . وما ذلك إلا ليستروا المعنى الغث الذى تنطوى عليه هذه الموشحات " وهذه المعانى التافهة يسترها طلاء خارجى مستمد من ضروب البيان والبديع إلا أن الشاعر كثيراً ما يغرق فى استعمال هذا الطلاء فتبدو موشحته كغادة بالغت فى الزينة واستعمال المساحيق فخرست الكثير من جمالها ولكنها على الرغم من ذلك قد استطاعت أن تحافظ على رشاقتها ومشيتها المرقصة فألهتتنا بهذا الفنج الذى تبديه عن البحث عن معانيها والغوص على أسرارها " (٤) فعدم احتواء الموشحات على معان جيدة كان سبباً فى اغراق الوشاحين فى الصناعة اللفظية لستر هذا العيب ، فعندما ركن الوشاحون إلى المعانى الضعيفة المهلهلة أرادوا شغل المتلقى عن البحث فى المعانى والأفكار والوقوف على أسرارها فلجئوا إلى هذه الصناعة

(١) فى الأدب الاندلسى د . جودت الركابى ط بدون دار المعارف ١٩٦٠م ص ٣٠٥

(٢) المصدر السابق (٣٠٦)

(٣) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج١ ط ١ ، دار العلم للملايين ص ٤٣٨

(٤) فى الأدب الاندلسى ، د . جودت الركابى ص ٣٠٥

التي كانت سبباً من الأسباب التي نعزو اليها ضعف الموشح وعدم تطويره للشعر العربي
اذ كنا ننتظر من الموشح هذا الفن الجديد الاندلسي الخالص أن يرقى بالشعر ويخلق به
في سماء الابداع والتألق إلا أننا نجد أنه لم يؤد دوره في تطوير الشعر العربي كما كان
منتظراً منه - كفن المقامات الذي تكامل على يد " بديع الزمان الهمذاني " وساعدت هذه
المقامات على تطوير الأدب العربي خاصة النثر الذي ازدهر في العصر العباسي
نتيجة ظهور هذا الفن خاصة في عصور الانحطاط التي كان فيها الموشح غثاً مهلهلاً
لايشتمل على معنى جيد يرمى إليه وإنما أصبح مجرد ألفاظ مرصوفة تسير جنباً إلى جنب
يربط بينها إما الجناس أو الطباق أو السجع . . . الذي راج سوقه لدى الوشاحين
علاوة على الزام الوشاح أن يضمن خرجته ألفاظ عامية أو أعجمية مما ساعد على ركافة
الأسلوب وضعف المعنى وتدهور هذا الفن بصفة عامة فهو بحق لم يخدم الشعر
العربي ، مع أنه كان في وسعه أن يخدمه ويساعد على تطويره إذا سار على قواعد
ونظم معينة اعتبر فيها أهمية صحة المعنى وجودة الأسلوب والالتزام بطريقة
النظم السليمة بالعودة إلى الأوزان العربية الأصيلة وتفهمها ، ومن ثم يتم التجديد
فيها بما يتناسب وطبيعة الموشح مع ملاحظة التجديد والتطوير إلى الأفضل والأحسن،
ولكن الموشح بمرورته هذه انحدر بالأدب العربي في فترة كان يجب عليه فيها
أن يرقى به، حتى أصبح بعضه يعتبر وصمة عار في جبين هذا الأدب خاصة عندما تولد عنه
الزجل الذي هو الشعر الشعبي العامي .

٩- معالم الأدب العربي في العصر الحديث

لم يتناول الدكتور فروخ قضايا أدبية جديدة بالذكر في هذين الجزأين ما عدا وصفه لهذا العصر بالركود والجمود وهو بذلك لم يصف جديداً فالعصر العثماني كان عصر انحطاط في الأدب ، يقول في ذلك الدكتور عمر الدسوقي : " ومن البديهي أن اللغة العربية لم تجد في هذا العصر المظلم من يشد أزرها ، ويشيب الشعراء والكتاب المحتفين بها ، لأن اللغة التركية طغت وصارت اللغة الرسمية في الدواوين وفشت على ألسنة الناس ، ولأن الحكام لا يفهمون العربية ولا يقدرونها قدرها ولا يميزون بين الجيد والغت من الكلام حتى يلجأ إليهم الشعراء مادحين " (١)

لذلك نجد أن الأدب في هذه الفترة لم يتطور أبداً بل على العكس أخذ يتقهقر ويرك في كثير من الأحيان نظراً لعدم الاهتمام بالشعراء والأدباء ولعدم سيادة اللغة العربية في هذا العصر ، فالحكام كما تعلم أترك يتحدثون اللغة التركية فلم يهتموا أبداً باللغة العربية مما قهقر الأدب العربي في هذه الفترة.

ويذكر الدكتور فروخ في حديثه عن الخصائص الأدبية لهذا العصر " أما في العصر الذي نعالجه فلن النتائج الأدبي نفسه كان قد تقهقر كثيراً أو قليلاً ، فأصبحت الصناعة اللفظية فيه مقصودة لنفسها من غير أن يكون في التعبير الأدبي براعة تذكر ، لقد أصبح النتاج الأدبي نفسه تكلفاً مطلقاً في سبيل الوقوع على تركيب من الجناس أو على لفظ يصلح للتورية ، وكثيراً ما كان ذلك التركيب نفسه عادياً أو بارداً أو نافراً أو تافهاً " (٢) . مما لانراه يضيف جديداً على ما قال به غيره من

أمثال الأستاذ عمر الدسوقي .

(١) في الأدب الحديث عمر الدسوقي ط ٦ دار الفكر العربي ١٩٦٤م ص ١٣

(٢) معالم الأدب العربي الحديث ، وعمر فروخ ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ٧٨

فهذه محصلة طبيعية لعصر سادت فيه لغة غير عربية ، وأناس لا يقدرون العربية أو يفهمونها : " ولم يعد في استطاعة كثير من الكتاب أن يسلموا من اللحن الفاحش ، أو يأتوا بالمفهوم المقبول ، بل عز عليهم اللفظ الجزل والأسلوب القسوى فلجئوا إلى الزخرف والمحسنات يخفون بها عوار كلامهم ، وقد اكثروا من هذه الحلى اللفظية حتى استغلق الكلام ، وأتو بالغث السجع الذى إن حسن فيه شيء كان سرقة واغتصابا من آثار من سبقوهم من الكتاب " (١)

فالعصر العثمانى ما هو إلا امتداد لعصر المماليك الذى انحط فيه الأدب فكان ركيكاً غثاً ضعيفاً لأن الظروف التى كانت تهيم على الحياة الأدبية فى كلا العصرين متقاربة متشابهة لذلك استمر الأدب يميل إلى الركاسة والضعف إلى نهاية العصر العثمانى أيضاً . هذا ما ذكره فى الجزء الأول . أما الجزء الثانى فلم يتطرق فيه للأدب إلا فى القليل النادر ، فذكر لنا المعانى العامة التى كان يشتمل عليها أدب هذه الفترة نقلاً عن كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان حيث قال : ومن عواقب المظالم انحطاط الآداب العامة بفساد الأخلاق ، فشاعت قلة الحياء وظهرت آثار ذلك فى آداب اللغة ، فزاد الكتاب جرأة على التعابير البذيئة - حتى فى كتب التاريخ ، كما فعل الاسحاقى فى كتابه " أخبار الأول " وظهرت كتب خاصة فى الخلاعة والفحشاء وعشرة النساء وغيرها ، وكثر السفسف فى المجون فى الكتب وفى الشعر ، وصار للاحماض (الكلام الخفيف الذى فيه اشارات جنسية) باب خاص ظهر ذلك فى العصر الماضى واتسع فى هذا العصر ، وكسدت بضاعة الأدب على الاجمال " (٢)

(١) فى الأدب الحديث عمر الدسوقي ط ٦ دار الفكر العربى ١٩٦٤م ص ١٤

(٢) معالم الأدب فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين ص ١٦، ١٧

ولم يعقب بكلمة واحدة على ما نقله عن جرجى زيدان ولم يصف شيئاً يذكر
عن الأدب فى هذه الفترة - القرن الحادى عشر الهجرى - وإنما أخذ يترجم
لبعض الشخصيات الأدبية تحت عنوان " فى اللغة والأدب " فىكون الجزء الثانى
بذلك خالياً من مجهود الدكتور فروخ فى إبراز معالم الأدب العربى فى القرن
الحادى عشر - ماعدا الترجمات . (١)

* * * * *

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب ص ٢٥٠، ٢٠١

الفصل الثالث

مقارنة بين دراسته فى تاريخ الادب
وبعض الدراسات المناظرة
والرأى فيها

- ١ - توطئه
- ب - الاطار العام لهذه الدراسات
- ج - الغرض من التأليف
- د - خطة التأليف
- هـ - تقسيم العصور الادبية
- و - التراجع
- ز - التاريخ للادب العربى فى المغرب والاندلس

الفصل الثالث

مقارنة بين دراسته لتاريخ الأدب العربي وبعض الدراسات المناظرة والرأى فيها

أ - توطئة — ه :

لقد حظى الأدب العربي باهتمام الكثير من الأدباء والباحثين عرباً ومستشرقين فالفوا فيه الكتب وأرخو له ودرسوه مع اختلاف وتفاوت فى حجم هذه الدراسات وقد كان الدكتور عمر فروخ أحد هؤلاء الذين أهتموا بالأدب العربي وتاريخه، وبما أنى قدمت فصليــــن سابقين فى تاريخ الأدب العربي ودراسة الدكتور عمر فروخ له أود أن أختتم حديثي هذا بفصل أقارن فيه بين دراسة الدكتور عمر فروخ للأدب العربي وتاريخه وبعض الدراسات المناظرة ، وقد اخترت من الدراسات التى أرخت للأدب العربي ثلاث دراسات تعتبر شامله إذ أنها تتحدث عن تاريخ الأدب العربي من جاهليته إلى العصر الحديث مع تفاوت فى الحجم فقط وهى :-

١ - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان . +

٢ - تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقى ضيف . *

+ - جرجى زيدان هو باحث ومؤرخ وأديب من أدباء العصر الحديث كان يتمتع بموهبة أدبيه جمالية وخيال خصب إلى جانب جلده وصبره على تقصى وقائع التاريخ ، . . راجع كتابه آداب اللغة العربية .

* - الدكتور شوقى ضيف هو أحد الأدباء المرموقين ، ويشغل حالياً أمين عام مجمع اللغة العربية ، ألف العديد من الكتب حول الأدب وتاريخه منها : سلسلة تاريخ الأدب العربى ، والفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى والتطور والتجديد فى الشعر الأوروبى ، فصول فى الشعر ونقده . . راجع المجمعيون فى خمسين عاماً للدكتور : محمد مهدى علام .

٣ - تاريخ الأدب العربي :أحمد حسن الزيات . **

مع العلم بأن الدراسات الأخرى الكثيرة لا تخرج عن هذه الدراسات في مضمونها وتناولها أما تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان فهو مختلف عن الدراسات الأخرى لأنه كما قال الدكتور عمر فروخ " جريدة احصاء لكل من كتب ولجميع ماكتب باللغة العربية " (١) وكما قال الدكتور شوقي ضيف : " ولعل أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الأول (العام) بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي " ونسج على منواله جرجي زيدان في كتابه المسمى تاريخ آداب اللغة العربية ونراهما يعرضان لتاريخ الحياة الأدبية والعقلية عند العرب في نشأتها وتطورها مع الترجمة للفلاسفة والعلماء من كل صنف والشعراء والكتاب من كل نوع ، ومن غير شك يتقدم بروكلمان جرجي زيدان في هذا الصدد بسبب المادة الغنيمة التي يحتويها كتابه ، فقد أحصى احصاء دقيقاً أدباء العرب وعلمائهم وفلاسفتهم مع ذكر آثارهم المطبوعة والمخطوطة وماكتب عنهم قديماً وحديثاً مبيناً مناهجهم ومكانتهم في الفن أو العلم الذي حذقوه مع نبذة عن كل فن وعلم ومدى ما حدث له من تطورورقي" (٢)

فدراسة بروكلمان نظراً لغزارة مادتها العلمية وكثرة الشخصيات التي ترجم لها لا تعتبر ضمن الدراسات التي أقصدها بالمقارنة ، فأنا أقصد تلك الكتب التي أرخت للأدب في كل عصر من العصور الأدبية ، فأعطت صورة للعصر سواء كانت هذه الصورة مفصلة مسهبة كما فعل الدكتور شوقي ضيف أو كانت مختصرة مركزة كما فعل أحمد حسن الزيات ، المهم

**أحمد حسن الزيات هو أحد الأدباء المعاصرين المرموقين الذين يعتر بهم العالم العربي

وكان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة من مؤلفاته : دفاع عن البلاغة ، وفي رساله في أصول الأدب ، تاريخ الأدب العربي / راجع المجمعيون في خمسين عاماً للدكتور محمد

مهدي علام .

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ١٨

(٢) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ط ٧ دار المعارف بمصر ، ص ١١

اعطاء الصورة الواضحة للعصر ومن ثم الترجمة للشخصيات الأدبية التي كان لها إنتاج أدبي سواء كان شعراً أو نثراً ، أما دراسة بركلمان للأدب العربي فتخرج عن هذا النطاق فهو يحصى كل ما كتب ومن كتب باللغة العربية سواء كان ذلك أدباً أو غيره لذلك لا يمكن لي أن أدخله ضمن المقارنة التي يختص بها هذا الفصل . وسأكتفي بالمؤلفات الثلاثة الآتية الذكر لتقارب منهجهم مع منهج الدكتور عمر فروخ ولأنها من الدراسات الكثيرة الشاملة المختصة بالتأريخ للأدب العربي .

* * * * *

ب- الاطار العام لهذه الدراسات :

ان أول مايتحتم عليّ توضيحه في مقارنتي هذه هو الشكل أو الاطار العام لهذه الدراسات ، فموسوعة الدكتور عمر فروخ مكونه من ستة أجزاء مردفة جزأين آخرين تحت عنوان معالم الأدب في العصر الحديث " ، أما جرجي زيدان فدراسته مكونه من أربعة أجزاء كل جزأين في مجلد واحد^(١) يؤرخ فيها للأدب العربي منالعصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، ودراسة د . شوقي ضيف سلسلة مكونة من سبعة أجزاء كل جزء في كتاب على حدة بدءا بالعصر الجاهلي إلى الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ، وقد كانت الأجزاء الثلاثة الأخيرة بعنوان : عصر الدول والامارات ، الجزء الأول منها خص فيه بالدراسة الأدبية (الجزيرة العربية وايران والعراق) والجزء الثاني (مصر والشام) ، والجزء الثالث (المغرب والاندلس)^(٢) وأخيراً كتاب أحمد حسن الزيات الذي يختلف عن الدراسات السابقة باختصاره فهو يؤرخ للأدب العربي في مجلد واحد من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

* * * * *

(١) تاريخ آداب اللغة العربية / تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان سنة ١٩٨٣ م .

(٢) سلسلة تاريخ الأدب العربي " عصر الدول والامارات " تأليفالدكتور : شوقي ضيف دار المعارف بمصر .

ج - الغرض من التأليف :

يذكر لنا الدكتور عمر فروخ الغرض من تأليف موسوعته في تاريخ الأدب العربي حيث يقول : " هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي يقرب الموضوع للدارسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين " (١)

فالأدب العربي كما يعرف الجميع أدب ثرى رفيع يعتمد على الجانب الوجداني فى أكثره فأراد الدكتور عمر فروخ أن يبسط هذا الأدب عن طريق التأريخ له ، كما إنه يذكر لنا حافزين اثنين شجعا على إخراج هذا الكتاب " لقد حفزنى إلى وضع هذا الكتاب حافزان أساسيان أولهما وأهمهما أن يكون فيه منهج عربى خالص لا يأخذ من المنهج الفرنجى إلا مانقص من المنهج العربى . . . وثانى الحافزين أننى تعمدت الإيجاز فى استنطاق المصادر : يضم هذا الجزء الأول أكثر من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدمات للأعصرولفنون ، فلو أننى أطلقت لقلمى العنان فى تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الأولى بعد الألف قبل أن أغادر الشعراء الأوائل فى الجاهلية " (٢)

فكأنما أراد الدكتور عمر فروخ أن يعطى مسحاً شاملاً لشعراء وأدباء كل عصر من العصور الأدبية دون تفصيل أو إسهاب مع إيضاح للحياة الاجتماعية والسياسية السائدة فى كل عصر أدبى مع الاحالة إلى المصادر والمراجع اللازمة لمن يريد الاستزادة حول أى شخصيه أدبيه، فكأنما موسوعته فهرساً يوضح الشخصيات الأدبية والتي كان لها نتاج أدبى، وهذا ما لمستته عندما رأيت اعداد الترجمات التى خصها الدكتور عمر فروخ فى

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ١٧

(٢) المصدر السابق ص ١٧، ١٨ .

موسوعته هذه ، فكما ذكرت فى الفصل الأول أن عدد الترجمات تبلغ (١٤٦٦) ستأوستين وأربعمائه وألف ترجمة ، والجزء الأول وحده يشتمل على مائة وثلاث وتسعين ترجمة فهذا ما يؤكد بأن الدكتور عمر فروخ كان موجزاً فى ترجماته .

أما الغرض من التأليف فى تاريخ الأدب العربى عند جرجى زيدان فيقول فى ذلك :
نعنى بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب ، وما تقلبت عليه فى العصور المختلفة أو هو تاريخ شار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم وهاك أهم أغراضنا فيه :-

- ١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعى والعقلى .
- ٢ - تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور .
- ٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوءه ، إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار .
- ٤ - تراجم رجال العلم والأدب مع الإشارة إلى المآخذ التى يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع فى تلك التراجم .
- ٥ - وصف الكتب التى ظهرت فى العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها .
- ٦ - لانهتم من هذه الكتب إلا بما لا يزال باقياً منها ، ويمكن الحصول عليه ، فإذا كان مطبوعاً ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يُطبع أشرنا إلى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها .

وبالجملة فإن غرضنا الرئيسى أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلاً عن الفائدة النظرية ، بحيث سَهِّل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها

وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة إلى سؤاله من نوعه ، فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الأمة العربية وعقولها وتراجم علمائها وأدبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها " (١)

ومن خلال قراءتي لغرض المؤلفين - عمر فروخ وجرجي زيدان - من تأليف كتابيهما وجدت أن لكل منهما غرضه السامي وإن اختلفا في الطريقة ولكن الفائدة واحدة ، فالدكتور عمر فروخ أراد أن يستغني الدارس والباحث العربي عن المنهج الفرنجي إلى جانب عرض أكبر قدر ممكن من الشخصيات الأدبية على مر العصور وجرجي زيدان أراد أن يبين منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية في النواحي العقلية والاجتماعية ويساعد الدارسين والباحثين أيضاً لمعرفة كنوز العقلية العربية .

أما الدكتور شوقي ضيف وأحمد حسن الزيات لم يذكر غرضاً من دراستهما لتاريخ الأدب العربي وإن كان الغرض موجوداً وهو إلقاء الضوء وبسط ذخائر اللغة العربية وإفادة النشء والدارسين والباحثين في معرفة تراثهم الإسلامي والعربي ، وما أقصده بقولي لم يذكر غرضاً أي لم يحدد الغرض الذي وضع من أجله هذه الدراسة في مقدمة بحثيهما كما فعل الدكتور عمر فروخ وجرجي زيدان .

* * * * *

(١) تاريخ آداب اللغة العربية / جرجي زيدان منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت -

د - خطة التأليف :

أما خطة كل منهما في التأليف فكما عرفنا أن الدكتور عمر فروخ كان يقدم لكل عصر من العصور الأدبية فيعطى صورته للحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية ومن ثم يردف ذلك بأدباء وشعراء العصر منسقاََ الترجمات بحسب سني الوفاة فيذكر ترجمة لحياة الأديب ومن ثم يذكر خصائصه الأدبية فشيئاََ من نتاجه وأخيراً يحيل إلى المراجع والمصادر التي يمكن العودة إليها للاستزادة .

أما جرجي زيدان فإنه يذكر تاريخ كل علم من علوم العرب منذ نشوئه إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار ويعطى تراجماً لرجال العلم والأدب على حد سواء ومن ثم يذكر المراجع التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد الاستزادة والتوسع، وفي هذه الناحية يوافق الدكتور عمر فروخ أي في الاحالة إلى المراجع ، ويزيد جرجي زيدان على الدكتور عمر فروخ في وصفه للكتب التي ظهرت في العربية بحسب موضوعاتها فهو يصف تلك الكتب وكيف ظهرت وكيف تسلسلت بعضها من بعض ومع ذلك — مميزات وأوجه الاستفادة منها " (١)

أما الدكتور شوقي ضيف فقد كانت خطته أن يقدم عرضاً تاريخياً لأهم الأحداث والأحوال السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي واكبت الفترة التي يؤرخ لها أدبياً ثم بعد ذلك يترجم لأعلام الأدباء والشعراء بحيث لا يزيد عدد الذين يترجم لهم عن عشرة أو اثنا عشرة شخصية . (٢)

كذلك كان أحمد حسن الزيات في تأليفه ، فقد كان يلمح للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لكل عصر ثم يردف ذلك بالترجمات وكل ذلك بشيء من الاختصار . (٣)

(١) راجع مقدمة تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان ١٩٨٣م

(٢) راجع سلسلة تاريخ الأدب العربي ، وعصر دول الامارات للدكتور شوقي ضيف .

(٣) راجع تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات .

هـ - تقسيم العصور الأدبية :

اتفق المؤلفون الذين تتم مقارنتي لأعمالهم في تاريخ الأدب العربي تقريباً على تحديد كل من العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الأموي ، أما العصر العباسي فقد كان موضع اختلاف مثلهم في ذلك مثل معظم الدراسات التي أرخت للأدب العربي ، فقد اتفقوا على أن العصر الأموي ينتهي بنهاية الخلافة الأموية سنة ١٣٢ وقيام الدولة العباسية يعني بدءاً للعصر العباسي فالعصر العباسي لديهم جميعاً يبدأ سنة ١٣٢ لكن الفترات التي مر بها العصر العباسي هي التي كانت موضع الاختلاف ولكل منهم وجهة نظره التي يثبتها بالحجة والبرهان .

فالدكتور عمر فروخ يجعل العصر العباسي يمتد من سنة ١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ أي من سقوط الدولة الأموية إلى قيام الدولة العثمانية فهذه الحقبة الطويلة من الزمن يؤرخ لها تحت عنوان الأدب في العصر العباسي باعتبار أن الخليفة العباسي لا زال يحتل منصباً وإن كان ذلك المنصب رمزياً، فهو يقول : " أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر (٩٢٣هـ - ١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق " (١) ومن ثم يوضح لنا كيف قسم هذه الفترة التاريخية الطويلة من الناحية السياسية والأدبية فقال : " هذه الحقبة الطويلة من سنة ١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ للهجرة تنقسم من الناحية السياسية والأدبية أيضاً فترات متفاوتة في الطول

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج ٢ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٤

وفى الأهمية ، فإذا نحن اعتبرنا تلك الفترات وماكان فيها من الدول التى اتسع نفوذها
فى أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الإسلامية وجدناها التالية :- (١)

الفترة العباسية الأصلية (نفوذ فارسى ثم تركى)	١٣٢ - ٢٣٤ هـ
عصر الدويلات ودولة بنى بويه (فارسىه شيعيه)	٢٣٢ - ٤٤٠ هـ
دوة السلاجقه (تركية سنيه)	٤٢٩ - ٥٧٩ هـ
الاتاكلة آل زنكى (من السلاجقه)	٥١٦ - ٦٣٩ هـ
الدولة الأيوبيه	٥٥٥ - ٧٣٢ هـ
دولتى المماليك : المماليك البحرية	٦٤٨ - ٧٨٤ هـ
المماليك البرجيه	٧٨٤ - ٩٢٣ هـ

أما جرجى زيدان فإنه يجعل العصر العباسى يمتد من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ويجعل العصر العباسى هذا يمر بأربعة أدوار " ومدة العصر العباسى أو الدولة العباسية فى بغداد خمسة قرون وبعض القرن من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وقد تقلبت آداب اللغة العربية فى أثناءها بتقلب الدول وتغلب الأمم على ما اقتضت—هـ الانقلابات السياسية أو الاجتماعية ، وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الأولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو سياسه أو باختلاف الدول التى أفضت الأمور إليها ، أما الأخيران فيشتركان فى أحوالهما فقسما العصر العباسى إلى أربعة أدوار أو عصور ، وهى :-

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ٢ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٤

١ - الدور أو العصر الأول :

من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الأول .

٢ - العصر العباسي الثاني :

من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

٣ - العصر العباسي الثالث :

من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ إلى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ .

٤ - العصر الرابع :

من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتر سنة ٦٥٦ هـ . أما الفترة التي تلي سقوط بغداد في يد التتر يؤرخ لها بعنوان " العصر المغولي " يبدأ هذا العصر بسقوط بغداد في قبضة المغول على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وينتهي بدخول العثمانيين مصر على يد السلطان سليم الفاتح سنة ٩٢٣ هـ " (١)

فالفترة التي كانت من سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ إلى قيام الدولة العثمانية يؤرخ لها جرجي زيدان بعنوان العصر المغولي باعتبار أن المغول كانوا أكثر سيادة وإن كانت سلطته ليست لهم وحدهم بل نجدها للعرب والتürk أيضاً، ولكن بما أن المساحة الأكبر من البلاد الإسلامية في يد المغول سمي جرجي زيدان هذا لعصر بالعصر المغولي .

كما نجد أن الدكتور شوقي ضيف يجعل العصر العباسي يمتد من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ويجعله يمر بفترتين أو عصريين

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (مصدر سابق) ص ١١٦

العصر العباسي الأول ، ويمتد من سنة ١٣٢ إلى نهاية خلافة الواثق ابن المعتصم سنة ٢٣٢ والعصر الثاني يبدأ بخلافة المتوكل وسيطرة العنصر التركي وينتهي بدخول البويهيين الفرس بغداد وزوال تسلط الترك على مقاليد الحكم سنة ٣٣٤ هـ .

ومن هذه الفترة يؤرخ للأدب العربي تحت عنوان : عصر الدول والامارات ويقسمه إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : خصمه للجزيرة العربية والعراق وايران .

الجزء الثاني : لمصر والشام .

الجزء الثالث : للمغرب والأندلس .

أما أحمد حسن الزيات فيجعل العصر العباسي عصرًا واحدًا حيث يقول : " العصر العباسي ، ومبدؤه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ " (٢) ويسمى الفترة التي تلى سقوط بغداد في أيدي التتار العصر التركي فيقول : " العصر التركي يبتدئ بسقوط بغداد وينتهي عند النهضة الحديثه سنة ١٢٢٠ هـ " (٣)

ومن التقسيمات السابقة للعصور الأدبية وجدت أن هناك نقاط اختلاف كثيرة بين هؤلاء الدارسين في تحديد نهاية أو سقوط الدولة العباسية وتقسيم فترات العصر العباسي ولكل وجهة نظر في ذلك، فالدكتور عمر فروخ يجعل العصر العباسي ممتداً إلى سنة ٩٢٣ أي إلى قيام الدولة العثمانية، وحجته في ذلك بقاء الاسم أو المنصب الرمزي للخليفة ومن ثم يقسم العصر العباسي إلى فترات متعددة معتمداً في ذلك على تغير الظروف والأحوال السياسية . فالفترة الأولى كانت فيها الدولة العباسية تحت النفوذ

(١) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٥

(٣) المصدر السابق ص ٥

الفارسي والتركى ، أما الفترة الثانية فكان النفوذ فيها للفرس الشيعيين والفترة التى تليها بدأها بقيام دولة السلاجقه ثم الاتابكه . ثم فترة الدوله الأيوبية وأخيراً دولتى المماليك البحرية والبرجيه ، فكل هذه الدويلات التى قامت كانت تابعة للدولة العباسية فى رأى الدكتور عمر فروخ .

أما جرجى زيدان فقد كان تقسيمه مختلفاً تماماً وله وجهة نظره فى ذلك إذ جعل العصر العباسى يمر بأربعة أدوار ، فالدور الأول جعله من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ إلى بدء خلافة المتوكل الذى أزال النفوذ الفارسى وأبدله بالنفوذ التركى والدور الثانى من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ إلى استقرار الدوله البويهية فى بغداد سنة ٣٣٤ أى ينتهى هذا الدور ببسط البويهين نفوذهم على الخلافة العباسية ، أما الدور الثالث فيبدأ من استقرار البويهين إلى دخول السلاجقه بغداد سنة ٤٤٧ وينتهى هذا الدور بانتهاء نفوذ البويهين وبسط نفوذ السلاجقه على الخلافة إلى سقوطها فى أيدى التتر سنة ٦٥٦ .

ومما سبق نرى أن انتهاء كل فترة من العصر العباسى عند جرجى زيدان ما تكون إلا ببسط نفوذ الأتراك أو الفرس وقهر النفوذ الآخر ، أما بعد سقوط بغداد فى يد التتر فيسمى ذلك العصر باسم العصر المغولى باعتبار أن المغول كانوا يسيطرون على معظم رقعة الدولة الاسلامية .

أما الدكتور شوقى ضيف فيجعل العصر العباسى يمر بفترتين أو عصرين فقط هما العصر العباسى الأول من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٣٢ وينتهى العصر الأول بنهاية خلافة الواثق وزوال النفوذ الفارسى ، ويبدأ العصر الثانى ببداية خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ وبداية بسط النفوذ التركى على الدولة وينتهى أيضاً بزوال هذا النفوذ سنة ٣٣٤ .

فنى أن الدكتور شوقى ضيف أعتمد كغيره من الدارسين - على الأحوال السياسية للدولة فى تقسيم عصورها . فنراه بعد هذا التاريخ ٣٣٤هـ يؤرخ للأدب تحت عنوان عصر الدول والامارات فى مصر والشام ، والعراق والجزيرة العربية وايران، واخيراً وجدت أن تقسيم أحمد حسن الزيات تقسيماً مختصراً جامعاً فهو يجعل العصر العباسى يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ وينتهى بسقوط بغداد فى يد التتر (المغول) سنة ٦٥٦ فهذا التقسيم تقسيم عام اعتمد فيه المؤلف على قيام الدولة كبداية لها ومن ثم سقوط العاصمة كنهاية لها فلم يجعله يمر بأدوار مختلفه أو أعصر متعددة ، وعلى كل فإن التقسيم الذى أرتضيه وأراه أكثر دقة هو ما ذكرته فى الفصل الأول من الباب الثانى فى بحثى هذا . (١)

* * * * *

(١) - راجع ص ٩٩ الى ١٠٣ من هذا البحث

و - التراجـم :

يترجم الباحثون الذين خصصتهم بالمقارنة في دراستي هذه للكثير من أدباء وعلماء الأعصر الأدبية العربية وإن كان هناك تفاوت في عدد هذه الترجمات وفي حجمها أيضاً فنرى أن الدكتور عمر فروخ يكثر في عدد الترجمات وكأنه يريد أن يحصل على عدد الشخصيات الأدبية ويضمها في دراسته لتاريخ الأدب العربي فكانت ترجماته في الغالب مختصرة لا تتجاوز الصفحة أو نصف الصفحة كترجمته في الجزء الأول (الأدب القديم) لقبصة بن نعيم ، وأوس بن حارثه ، وقس بن ساعدة الأيادي وصخر بن عمرو الشريد ، وصاحب بن زرارة وغيرهم كثير ، فهذه ترجمات مختصرة جداً وكأنني بالمؤلف يريد أن يكون فهرساً لأدباء وعلماء الأعصر الأدبية ويعطى لمحبه عن كل منهم ومن يريد الاستزادة حول أي شخصية فما عليه إلا أن يعود إلى المصادر والمراجع التي ذيل بها المؤلف كل شخصية .

والمنهج نفسه نراه لدى جرجي زيدان حيث كان يترجم لكل شخصية أدبية أو علمية (في التاريخ أو الجغرافيا أو الفلك أو الرياضيات أو الطب) فدراسته لم تقتصر على الأدباء فقط وهذا ما ذكرته عند حديثي عن أغراض الدارسين من دراستهم لتاريخ الأدب العربي فهو يعرض لجميع آداب اللغة العربية على مر العصور بدءاً بالعصر الجاهلي وختاماً بالعصر الحديث أو بداية العصر الحديث لذلك نرى هذه الترجمات مختصرة ومن ثم مذيبة بالمصادر والمراجع التي يمكن أن يعود إليها من يريد الاستزادة .

أما الدكتور شوقي ضيف فترجمته للأدباء مختلفة تماماً عن الدكتور عمرفوخ وجرجي زيدان ، فهو يترجم لأعلام الشعراء والأدباء فقط في كل عصر يؤرخ له فنجد في تاريخه للعصر الجاهلي يترجم لامرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى

والأعشى ، لكن هذه الترجمات لم تكن مختصرة كما فعل الدكتور عمر فروخ وجرجى زيدان وإنما كانت وافية واضحة طويلة نوعاً ما ، وإذا نظرنا لهذه التراجم وجدناها لأعلام الشعراء فى العصر الجاهلى ، وكذلك عندما أرخ للعصر الاسلامى ترجم لحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن أبى ربيعة ، والحطيئة ، والنابغة الجعدي وكذلك بالنسبة لعصر بني أمية والعصر العباسى ، وعصر الدول والامارات فهو يكتفى بالترجمة المسهبة لأعلام الآدب شعراً ونثراً فى العصور التى أرخ لها فكأنه ينتقى أعلام الآدباء الذين كان لهم الدور الأكبر فى سير الحركة الأدبية فى عصورهم والذين يمثلون صورة واضحة للحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية فى عصورهم ، ولم يردف الدكتور شوقى ضيف ترجماته بالمصادر والمراجع التى يمكن العودة إليها لمن يريد الاستزادة فمنهجه فى الترجمة مختلف عن منهج الدكتور فروخ وجرجى زيدان .

أما أحمد حسن الزيات فدراسته لتاريخ الآدب العربى كلها مختصرة فكيف بالترجمات؟! إن الترجمة للآدباء والعلماء فى دراسته مختصرة أيضاً فهو يترجم لأعلام الآدباء والعلماء فى كل عصر من العصور الأدبية دون تفنيد أو اسهاب فنراه يترجم عند تأريخه للعصر الجاهلى لامرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبى سلمى ، والأعشى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعمر بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن أبى ربيعة ، وحاتم الطائي ، وأمية بن الصلت ، كما يترجم للشعراء المخضمين مثل كعب بن زهير ، والخنساء ، وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، فهذه تراجم للأعلام فقط وتراجم مختصرة اختصاراً شديداً لكن هذا الاختصار لا يحط من شأنها أو يقلل من قيمتها فهى دراسة علميه مفيدة فى تعريف الطالب والباحث معالم الآدب العربى فى عصوره المختلفه فهى تصنع الاطار العام لهذا الآدب والخطوط العريضة لمعالمه وأحواله على ممر

العصور دون اختصار مخل أو حشو ممل ، لكنها لاتفيد من يريد الوقوف على الاحاطه بأدب وأدباء عصر من العصور الأدبية ، على عكس دراسة الدكتور شوقي ضيف الذى بذل جل جهده فيها لايضاح صورة العصر دينياً واجتماعياً وسياسياً فالجزء الأكبر من الدراسة لدى الدكتور شوقي ضيف يدور حول الأحوال السياسية المواكبة للعصر الذى يؤرخ له أدبياً والثورات المناوئة للدولة والأحزاب التى ظهرت سواء فى العصر الأموى أو العباسى ، والحياة الاجتماعية التى كانت سائدة فى كل عصر من العصور والفرق والأحزاب الدينية التى ظهرت وأسباب ظهورها وانتشارها ، والحياة العلمية والثقافية ومدى ازدهارها^(١) فهو يسهب فى حديثه عن الصورة العامة للعصر ، وإن كان الدكتور عمر فروخ وجرجى زيدان يطبلا بعض الشئ فى ايضاح الصورة العامة للعصر الذى يؤرخان له لكن لأن دراستهما أوسع وأشمل لم يقدموا الحوادث الدقيقة لكل عصر كما فعل الدكتور شوقي ضيف .

* * * * *

(١) راجع سلسلة تاريخ الأدب العربى لشوقي ضيف العصر الاسلامى والعصر العباسى .

ز - التاريخ للأدب العربي في المغرب والاندلس:

أنفرد الدكتور عمر فروخ بالدراسة الواسعة للأدب العربي في المغرب إذ نجده يمنح هذا الأدب أجزاء ثلاثة من دراسته لتأريخ الأدب العربي بينما يسكت جرجي زيدان عن هذا الأدب ولم يؤرخ له في دراسته لتاريخ آداب اللغة العربية إطلاقاً ، أما الدكتور شوقي ضيف ، فقد تحدث عن الأدب في المغرب والاندلس في كتابه : عصر الدول والامارات في (المغرب والاندلس) وقد أحاط بجوانب هذا الأدب على طريقته المعتادة من إسهاب في سرد الحوادث التاريخية والظروف الاجتماعية ومن ثم الترجمة لبعض الشعراء والأدباء وقد كان هذا كله في جزء واحد .

وأما أحمد حسن الزيات فإنه يؤرخ للأدب في الاندلس، فلم يغفله في دراسته المختصرة للأدب العربي فنراه يلمح للحياة السياسية والاجتماعية والحضارية في الاندلس وتأثر الشعر بهذه الحضارة ومدى انتشار اللغة العربية في أسبانيا وأثر الشعر العربي في الشعر الفرنجي (١) ثم يعطى نماذجاً من الشعر الاندلسي واخيراً يترجم لاعلام أدباء الاندلس، فترجم لابن عبدربه ، وابن هانئ الاندلسي ، وابن زيدون ، وابن حمديس الصقلي ، وابن خفاجه الاندلسي ، ولسان الدين بن الخطيب ، وإن كانت هذا الترجمات مختصرة كما تعودنا منه في هذه الدراسة .

وبذلك يكون الدكتور عمر فروخ هو الدارس الوحيد من الدارسين الذين خصصتهم — بالمقارنه مع دراسته — الذي استطاع أن يعطى صورة واضحة للقارئ عن الأدب في المغرب

(١) راجع تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ط ٢٥ من ص ٣٠٢ - ٣٤٥

والأندلس ، إذ إن جرجي زيدان لم يذكر هذا الأدب في دراسته ، أما أحمد حسن الزيات فإنه تطرق للأدب في الأندلس لكن باختصاره المعهود في تاريخ الأدب العربي أما الأدب في بلاد المغرب فلم يتحدث عنه ، والدكتور عمر فروخ يتناول هذا الأدب تناولاً واسعاً مستفيضاً من خلال الأجزاء الثلاثة التي خصه بها " هذا هو الجزء الرابع من سلسلة " تاريخ الأدب العربي " إنه يبدأ من تاريخ الأدب العربي في المغرب (الشمال الغربي من قارة أفريقية) والأندلس (الجنوبي الغربي من قارة أوروبا) ثم هو يتناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة = أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصر دول ملوك الطوائف في الأندلس ثم يستمر إلى منتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثاني عشر للميلاد) ذلك لأن نفرّاً من الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف طالت حياتهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً ، ثم يلي هذا الجزء ، الجزء الخامس ، ويتناول تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين في القرن السادس وبعض القرن السابع للهجرة إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢م) ، الجزء السادس ويتناول تاريخ الأدب في عصر بني نصر وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (الجزائر) نحو ٩٢٣ للهجرة (١٥٢٥م)^(١) فالجزء الرابع ، والخامس ، والسادس من سلسلة تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ يمنحها للأدب في المغرب والأندلس ، فهي دراسة واسعة شاملة يبدأها من القرن الأول الهجري وينهيها بالفتح العثماني ، فيعتبر بذلك من الدارسين القلائل الذي أسهب هذا الاسهاب في إيضاح وبسط الأدب العربي في المغرب والأندلس وإنني صراحة لا أعلم أن دارساً آخر غيره أرخ للأدب العربي في المغرب والأندلس في ثلاثة أجزاء كبيرة تقارب صفحات كل جزء منها الألف صفحة ، أما خطته

(١) تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين ص ٥

ومنهجه فى هذه الدراسة هى نفسها التى أرخ على أساسها للأدب العربى فى المشرق .

وفى ختام مقارنتى هذه لايفوتنى أن أذكر أفضل هذه الدراسات للأدب العربى من حيث السعة والشمولية والفائدة ، فى رأى - إن دراسة الدكتور عمر فروخ هى أشمل وأوسع هذه الدراسات إذ أنها أرخت للأدب العربى تاريخاً شاملاً منذ الجاهلية حتى عصرنا الحديث فى ثمانية أجزاء ضخمة فأعطت صورة واضحة لكل عصر من العصور وترجمت لمعظم الأدباء على مر العصور فبلغ عدد هذه التراجم ستاً وستين وأربعمئة وألف ترجمة ما بين شاعر وأديب وعالم وفقه ، ولا يقلل من قيمة هذه التراجم الاختصار الذى تميزت به إذ أن كل ترجمة كانت تُردف بقائمة بأسماء المصادر والمراجع التى يمكن للدارس أو الباحث أن يعود إليها متى أراد . إلى جانب أن هذه الدراسة تعتبر فريدة فى تناولها للأدب العربى فى المغرب والأندلس والتأريخ له فى أجزاء ثلاثه ، لذلك يمكن لى أن أعتبر هذه السلسلة - سلسلة تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ - موسوعة علمية أدبية تغنى الدارس والباحث العربى عن كثير من الدراسات المناظرة .

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث
دراساته الادبية والنقدية

الفصل الاول
دراسته الادبية والنقدية
لبعض الشخصيات الادبية

- ١ - تمهيد
- ب - الشخصيات الادبية فى تاريخ الادب العربى
- ج - بعض الشخصيات التى افردتها بالدراسة :-
 - ١ - عمر بن ابي ربيعة
 - ٢ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله
 - ٣ - أبو فراس فارس بنى حمدان وشاعرهم
 - ٤ - شاعران معاصران : ابراهيم طوقان
وابو القاسم الشابى

- اولا : ظروفهما
- ثانيا : الخصائص الفنية لعمالهما
- ١ - خصائص أعمال ابراهيم طوقان الفنية
 - ب - ، ، ، ، الشابى الفنية
 - ج - كتاب الشابى : الخيال الشعرى عند العرب

الفصل الأول

دراساته الأدبية والنقدية لبعض الشخصيات الأدبية

أ- تمهيد :

بما أن كتاب أو موسوعة تاريخ الأدب العربي يضم عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء المترجم لهم . إذ بلغ عددهم (١٤٦٦) ألف وأربعمائة وست وستين شخصية * ما بين شاعر وأديب، إلى جانب أن الدكتور عمر فروخ قد أفرد شخصيات عديدة بدراسات مستقلة لكل شخصية ، فإنني فضلت أن أقسم دراسة هذا الفصل إلى قسمين :-

القسم الأول : أتناول فيه بالعرض والتحليل الأدباء والشعراء الذين ترجم لهم في تاريخ الأدب العربي ، ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث .

والقسم الثاني : يتجه إلى النظر في دراسته للأدباء والشعراء الذين أفردهم بمؤلفات مستقلة كدراسة لبعض الشعراء أمثال : عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس وأبي تمام ، وأبي فراس الحمداني وغيرهم .

* راجع الفصل الأول من الباب الثاني ص ٨٩

ب - الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي :

يترجم الدكتور عمر فروخ في كتاب تاريخ الأدب العربي وكتاب معالم الأدب العربي في العصر الحديث (١٤٦٦) شخصية مابين أديب وشاعر ، ففي الجزء الأول الذى يؤرخ فيه لأدباء وشعراء الأدب القديم (من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) يترجم لمائة وثلاث وسبعين شخصية وفي الجزء الثانى الذى يؤرخ فيه للعصر العباسية إلى آخر القرن الرابع الهجرى يترجم لمائة وسبع وتسعين شخصية .

أما الجزء الثالث فقد كان وافراً بالتراجم الأدبية نظراً لطول الفترة الزمنية التى يدرسها فى هذا الجزء (من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى) فنراه يترجم لثلاثمائة وتسع وعشرين شخصية ، وهذا كله بالنسبة لأدباء المشرق ، أما أدباء المغرب والأندلس فإنه يترجم لهم فى الأجزاء الثلاثة الباقية فى الجزء الرابع الذى يؤرخ فيه للأدب فى المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى آخر ملوك الطوائف يترجم لمائة وست وتسعين شخصية .

وفى الجزء الخامس والذى يؤرخ فيه للأدب فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين فإنه يترجم لمائة وأربع وخمسين شخصية .

وفى الجزء السادس والذى يؤرخ فيه للأدب فى المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة يترجم لمائة وإحدى وأربعين شخصية .

أما كتابه معالم الأدب العربى فى العصر الحديث والذى يعتبر تتمة أو استمرار لموسوعة تاريخ الأدب العربى ، فإنه يترجم فى الجزء الأول منه لمائة وخمس من الشخصيات من أدباء وشعراء القرن العاشر الهجرى .

وفى الجزء الثانى يترجم لمائة وإحدى وأربعين شخصية من أدباء وشعراء القرن الحادى عشر الهجرى .

إن الدكتور عمر فروخ يترجم لهذه الشخصيات الكثيرة مع تفاوت في حجم هذه الترجمات بين الطول والقصر والشمول أو النظرة العامة ، فنجد على سبيل المثال فى الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى بعض الترجمات أطول من غيرها ، وفى العصر الجاهلى نجد على سبيل المثال ترجمة امرئ القيس ، ولبيد بن أبى ربيعة ، وعترة بن شداد العبسى ، وعمرو بن كلثوم ، وزهير بن أبى سلمى ، والأعشى ميمون بن قيس وفى العصر الاسلامى : كعب بن زهير ، وحמיד بن ثور الهلالي ، والخنساء ، وحسان بن ثابت ، والأخنف قيس ، وفى عصر بني أمية نجد : زياد بن أبيه ، وهذبة بن خشرم وأبى حزاب التميمى ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، والفرزدق ، وجريز ، والكميت بن زيد الأسدي ، وعبدالحميد الكاتب ، أما العصر العباسى فمن الترجمات التى أسهب فيها الدكتور عمر فروخ أكثر من غيرها ترجمة بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى تمام ، والجاحظ وابن الرومى ، والبحتري ، وأبى الطيب المتنبى وغيرهم ، أما من ترجمات الأندلس والمغرب فنجد : ابن عبدربه ، وابن هانئ الأندلسى ، وأبى عامر بن شهيد ، وابن حزم الكبير ، وابن عمار ، وابن عبدون ، والامام الشاطبي ، وأبى القاسم العلوي الأشيلي وغيرهم ممن تميزت ترجماتهم بشيء من الاسهاب عن غيرهم من الشخصيات التى لاتعدو ترجمات بعضهم الصفحة أو نصف الصفحة مثل قبيصة بن نعيم فى ج ١ ص ١٣١ ، وأبى عمرو الشيبانى فى ج ٢ ص ١٧٥ ، ومحمد بن آدم الهروى فى ج ٣ ص ٧٠ ، وكامل بن الفتح فى ج ٣ ص ٤٠٨ ، وأحمد بن الفرфор الدمشقي فى ج ٣ ص ٩١٤ ، وعبدالله ابن المكفوف النحوي فى ج ٤ ص ١٥٩ ، وحفصة الحمارية فى ج ٤ ص ٢٣٣ ، وخلف بن أحمد السعدى فى ج ٤ ص ٣٦٠ ، وأبى بكر الخشنى فى ج ٥ ص ٢٨٩ وغيرهم . وربما يعود ذلك إلى الشهرة التى نالها الشعراء والأدباء الذين طالت ترجمتهم وتوفر

المعلومات والمراجع الكافية حول حياتهم ونتاجهم الفكرى وخصائصهم الفنية ، وبخلاف الشخصيات التى تكون أدنى شهرة من أولئك مما يعنى بالضرورة قلة المعلومات والمراجع حول حياتهم ونتاجهم الفكرى وخصائصهم الفنية، وحتى نتعرف على الكيفية التى عالج بها الدكتور عمر فروخ هذه التراجم وآرائه النقدية فيها نقرأ مايقوله فى طريقة عرضه وتنسيقه للشخصيات المترجم لها : " أما التراجم فهى منسوقة فى كل عصر نسقاً تاريخياً بحسب سني الوفيات وإن كانت سنة الوفاة ليست فى بعض الأحيان أساساً صحيحاً للنسق التاريخى حينما تتفاوت الأعمار وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام :-

حيادة الأديب - خصائصه - المختار من آثاره - المصادر والمراجع لدراسته .

أما حياة صاحب الترجمة فقد حرصت فيها على أن تكون جامعة ، لأن لأحداث حياة الانسان أثراً ظاهراً فى سلوكه ونتاجه على أني أدرك أنه لم يتأت لي أن تكون جميع التراجم فى نسقها التاريخى على مستوى واحد من البسط أو التحقيق .

وأما القسم الثانى من الترجمة ففيه خصائص الأديب الفنية والأدبية وفنونه واستعراض آثاره ، سواء أكانت مطبوعة أو غير مطبوعة ، بقدر الامكان طبعاً ، ولقد كان حرصى هنا على أن ألزم رأى النقاد القدماء ، لأنهم أقرب إلى زمن الأدباء عادة ولأنهم - وهذا هو الأمر المفروض - يجب أن يكونوا قد عرفوا من آثار هؤلاء أكثر مما نعرف نحن اليوم وتأتى المختارات من آثار الأديب فى القسم الثالث ، ولقد اتخذت فى الاختيار ثلاثة أسس : جودة المختار وتمثيلة لآثار الأديب المتنوعة ثم شهرة ذلك المختار . ومع أن المؤلف أن نولي الكثيرين فى الانتاج عناية كبيرة فإننى أفردت ترجمات مستقلة لأدباء وشعراء مقلين جداً لأن فى آثارهم القليلة الباقية لمحات ليست عند الكثيرين ، وهكذا سيجد القارئ فى هذا الكتاب تراجم لشعراء لم تتعرض لهم الكتب الموضوعه حديثاً" (١)

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ص ٢٨-٢٩

فهذه هي طريقته - كما يذكرها - في دراسة الأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي ومعالـم الأدب العربي في العصر الحديث ، فهو في ترتيبهم يعتمد على سني الوفيات لهم ، فمن توفي أولاً يكون مقدماً في الترجمة حتى وإن كان مقلداً في إنتاجه ، أو لم يكن هذا النتاج على درجة عالية من الجودة .

وقد كانت الترجمة كما يذكر مقسومة أربعة أقسام :- حياة الأديب ، خصائصه - المختار من آثاره - المصادر والمراجع لدراسته، فهو يجمع ما يمكن له جمعه من مادة حول حياة هذا الأديب أو ذلك باعتبار أن أحداث حياة الأديب لها تأثير بصورة أو بأخرى على نتاجه لكنه يعترف ويدرك تماماً أنه لم يستطع أن يجعل جميع التراجم من الناحية التاريخية لحياتهم على مستوى واحد من البسط أو التحقيق .

أما عند ذكره لخصائص الأديب الفنية فهو يعتمد على رأى النقاد القدماء باعتبار أنهم عايشوا الأدباء والشعراء فهم أقرب إليهم من النقاد المحدثين وعرفوا آثارهم أكثر مما يعرفها غيرهم ، إلا أنني أرى أنه ما دامت الآثار موجودة فإن خصائص الأديب الفنية يمكن أن يلمسها ويستخرجها كل من له اتجاه أدبي نقدي في أى عصر من العصور ولا يحتم علينا أن نجعل المعاصرين للشخصية هم الذين يستنتجون هذه الخصائص ، بخلاف حياة الأديب فإنه لابد من الاعتماد على المصادر القديمة لمعرفة ما كان عليه من صحتها فالمصادر القديمة في معرفة حياة الأديب أكثر دقة وصدقاً من المصادر الحديثة، أما خصائص الأديب فإن كل من له اتجاه أدبي نقدي يستطيع أن يقف عليها ويستخرجها قديماً كان أو حديثاً . . .

أما المختارات من آثار الأديب فكان اختياره لها يعتمد على ثلاثة أسس : جودة المختار، وتمثيله لآثار الأديب المتنوعة، ثم شهره ذلك المختار ، فاتخاذ الجودة

مقياساً لوضع المختار من آثار الأديب أمر جيد ويدل على اهتمام الدكتور فروخ بالنواحي الفنية والأدبية ، أما من ناحية شهرة المختار فإننا بالفعل نجده يذكر المشهور من الشعر والنثر للأدباء والشعراء الذين يترجم لهم ، فهو مثلاً عند ترجمته للشاعر العباسي أبي تمام يذكر من آثاره قصيدته في مدح المعتصم عندما فتح عموريه .

السيف أصدق إبناء من الكتب *** في حده الحد بين الجد واللعب
فهذه القصيدة مشهورة جداً ولا يكاد يذكر أحد أبا تمام إلا وتذكر معه هذه القصيدة . وكنت أتمنى أن يعرض الدكتور فروخ لنصوص جديدة غير ما درج عليه من سبقوه فيضيف جديداً ، ويعطي صورة أخرى من صور الابداع الفني عند الأديب لكثرة للأسف الشديد لم يفعل في كثير من مختاراته .

وبالنظر في هذه التراجم والدراسة المخصصة لها وجدت أنها تراجم سطحية لا تتعمق ولا تتغلغل في طيات الشخصية وإخراج المكان الجديدة أو الرؤيا المتميزة لها، بل كانت عبارة عن كلمات قليلة حول حياة الأديب أو الشاعر ونسبه وعلمه . . . ومن ثم ذكر الخصائص البارزة العامة لأسلوبه فنموذج أو أكثر من نتاجه، وأخيراً المراجع والمصادر التي يمكن العودة إليها للاستزادة لمن أراد معلومات أخرى عن تلك الشخصية أو ذلك الأديب، ولن طالت الترجمة فإنها لا تتعدى خمس أو ست صفحات بأي حال من الأحوال ، ونادراً جداً ما تصل إلى عشرة أو اثني عشرة صفحة مما يجعلنا نقرر بأن هذه الدراسة وضعت في اعتبارها الأول هدفاً رئيساً هو جمع أكبر عدد من الأدباء والشعراء في كل عصر من الأعصر الأدبية .

ولذلك يمكن القول بأن الدافع - لدى الدكتور فروخ - إلى وضع هذه التراجم كان يتغى حصر عدد الشعراء والأدباء الذين كان لهم نتاج وجداني جيد وليس الوقوف على الخصائص الأدبية الفنية المفصلة لكل شخصية على حدة ، ولا ضير في ذلك مادام الكتاب لتأريخ الأدب العربي ، بل إننا نحمد له هذا المجهود العظيم في جمع هذا العدد الكبير من الشعراء والأدباء الذين يمثلون أدباء وشعراء العصور الأدبية المختلفة وإن لم يكونوا هم معظم من كانت لهم آثار أدبية واضحة في عصور الأدب المختلفة ، ويوضح الدكتور عمر فروخ أنه لا يمكن له أن يجمع في دراسته هذه جميع من كان لهم نتاج شعري أو نثري على مر الأعصر الأدبية فيقول في ذلك : " وما دمت أنا لن أستطيع أن أضم في هذا الكتاب جميع من نثر ونظم وملأ دأماً لابد في التخيير من الاستغناء عن نفر كثيرين من كل عصر ، فلقد وجدت أن استغني عن كل مالم يعيش في الأدب الوجداني ، على الرغم من أن اتجاهها سياسياً معيناً أرادته لأمر لاصلة للأدب به " (١) إذن مادام لابد عليه أن يستبعد كثيراً من الشخصيات الأدبية نظراً لكثرة هذه الشخصيات فإنه يستبعد منها ما كان بعيداً عن الأدب الوجداني حتى وإن كان نتاج تلك الشخصيات جيداً . هذا أمر حسن ومقبول ، لكنه لم يورد لنا بعض الأمثلة أو بعض الأسماء للأدباء والشعراء الذين لهم نتاج أدبي لكنه ليس وجدانياً مع أنه كان من الأخرى أن يدعم كلامه لو بذكر شخصيات قليلة ليجعل الصورة واضحة أمام القارئ في خطته المذكورة .

(١) تاريخ الأدب العربي ، د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان

أما في معالم الأدب العربي في العصر الحديث فإنه كما ذكرت آنفاً يترجم لكثير من الشخصيات وذلك حسب خطته التي يسير عليها في تاريخ الأدب العربي من إعطاء صورة كاملة عن الحالة السياسية، والاجتماعية، والدينية، والفكرية، والثقافية للعصر ثم يردف ذلك بالترجمات فهو كذلك في معالم الأدب العربي في العصر الحديث إلا أنه رأى أن هناك شخصيات لها الحق في الترجمة باعتبارها تساهم في بيان صورة العصر الثقافية، لكن لأنه لا تتوفر لديه معلومات كافية عن كل شخصية بحيث يكون لها ترجمة مستقلة أوردتها في الجزء الأول من معالم الأدب العربي في العصر الحديث تحت عنوان : " نماذج أدبية من المشرق والمغرب " وفي الجزء الثاني تحت عنوان : " في اللغة والأدب عامة " ويقول في سبب ذكر هذه الشخصيات في غير موضعها أي الموضع الخاص بالتراجم حسب خطته العامة : " يحسن أن نأتي هنا بالإضافة إلى وجوه الثقافة التي مرت بنا ، نماذج أدبية لأدباء لم تتوفر لدي عناصر كافية كي يكون لكل واحد منهم ترجمة مستقلة وأرجو أن تكون هذه النماذج دليلاً على اتجاه العصر ثم عناصر لسد ثغرات في الصورة الأصلية التي وردت من قبل " (١) فلعدم وجود معلومات وافية عن هذه الشخصيات ولما لها من أهمية في إبراز ملامح العصر الذي عايشته ، يقول في الجزء الثاني من الكتاب وتحت عنوان : " اللغة والأدب عامة " هذا الفصل يضم إشارات إلى نفر من اللغويين والأدباء والشعراء لم أجد أن بالامكان افرادهم بتراجم مستقلة ثم هم يمثلون جانباً من العصر ويتمون رسم صورته الثقافية إلى حد ما " (٢) فهؤلاء الأدباء والشعراء جديرون بأن يُذكرُوا ويُترجم لهم نظراً لأن نتائجهم له تأثير على الحركة الأدبية في عصرهم

(١) معالم الأدب العربي في العصر الحديث د . عمر فروخ ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ١١٩ .

(٢) معالم الأدب العربي في العصر الحديث د . عمر فروخ ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين ص ١١٩ .

ويمثل اتجاه ذلك العصر ويساهم فى رسم صورته الثقافية ، كما يرى الدكتور عمر فروخ لكن لأن المادة المطلوبة حول حياتهم أو خصائصهم الأدبية لم تتوفر لديه كاملة فضل أن يذكرهم تحت هذين العنوانين : نماذج أدبية من المشرق والمغرب ، و " فى اللغة والادب عامة " ..

ومن هؤلاء فى الجزء الأول : " ابراهيم بن هلال (ت ٩٠٣هـ) ص ١١٩ ، وكمال الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن أبى شريف المقدسى الشهير بابن عوجان (ت ٩٠٦هـ) ص ١٢٠ ، وأحمد الصنهاجى المعروف بلقب الدقون (ت ٩٢١هـ) ص ١٢١ ، وعبدالرحمن الصغير بن محمد الأخرى (ت ٩٥٣هـ) ص ١٢٢ .

وفى الجزء الثانى : " علي غانم المقدسى (ت ١٠٠٤هـ) ص ١١٩ ، وزين الدين بن محمد بن على البكري الصديقي المصري (ت ١٠١٣هـ) ص ١٢٠ ، وعلي بن صلاح بن محمد العبالي (ت ١٠١٩هـ) ص ١٢١ ، ومصطفى بن ابراهيم (ت ١٠٢٤هـ) ص ١٢١ ، وأبى المواهب أحمد بن علي بن عبدالقدوس بن محمد الشناوى (ت ١٠٢٨هـ) ص ١٢٣ وغيرهم .

وهذا اتجاه محمود وعمل يستحق عليه الدكتور عمر فروخ الشكر والتقدير فلعدم رغبته فى مخالفة القاعدة التى يسير عليها فى الترجمة (من اعطاء نبذة وافية بقدر الامكان عن حياة الشخصية ، ومن ثم خصائصها الأدبية والفنية ، وثالثاً يذكر شيئاً من آثار تلك الشخصية ، وأخيراً يحيل إلى المصادر والمراجع التى يمكن العودة إليها عند الرغبة فى الاستزادة حول تلك الشخصيات) ، ولحرصه على ألا يهمل هؤلاء الأدباء وأن لا يضرب صفحاً عنهم فضل أن يذكرهم فى موضع آخر خاص بهم ، فأورد فصلاً مستقلاً فى كلا الجزأين تناول فيه بعض الشخصيات الأدبية فى تلك الفترة المؤرخ لها أدبياً ، فكانت التراجم أقل حجماً وأكثر سطحية من التراجم المذكورة فى الموضع الخاص بها ، إذ نجده

يترجم في الصفحة الواحدة لشخصيتين أو ثلاث شخصيات ففي صفحة ١٢١ ج ١ يقول :
"ولأحمد الصنهاجى المعروف بلقب الدَّقُون (ت ٩٢١هـ) بيتان يجيز بهما لتلميذه ابن
أبى جمعة أن يروى عنه كل ما تلقاه منه :-

أَجَازَ لَكَ الدَّقُونُ ، يَانْجَلَ سَيِّدَى * * أَبَى جُمُعَةٍ وَالْآلَ كُلَّ الَّذِى رَوَى

فَحَدَّثَ بِمَا اسْتُدْعِيَتْ فِيهِ إِجَازَةً * * وَسَلَّمْ عَلَى مَنْ خَالَفَ النَّفْسَ وَالْهَوَى

وهناك أربعة أبيات منسوبة إلى أبى عبدالله الكفيف (ت. ٩٣٠هـ) وفيها تلاعب بلفظة
"مالك" هذه الأبيات هى :-

لَقَدْ مَزَقْتُ قَلْبِي سِهَامَ جُفُونِهِمَا * * كَمَا مَزَقَ اللَّخْمَى مَذْهَبَ مَالِكِ

وَمَاسَ عَلَى الْأَوْصَالِ بِالْقَدِّ قَدْهَا * * فَأَمَسَتْ كَأَبْيَاتٍ يَتَقَطِّعُ مَالِكُ

وَمَلَّكَتْهَا رَقِي لِرِقَّةٍ عَطْفُهَا * * وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَاهُ مُلْكًا لِمَالِكِ

وَنَادَيْتُهَا: يَا بُغَيْتِي ، بِذُلِّ مُهْجَتِي * * وَمَالِي قَلِيلٌ فِى بَدِيعِ جَمَالِكِ

وهكذا كانت بقية التراجم الموجودة فى هذين الفصلين فى كلا الجزأين لاتتعدى ذكر اسم
صاحب الترجمة وذكر أربعة أو خمسة أبيات من نتاجه . فكأنما أراد الدكتور فروخ من
خلال ذكر الأبيات القليلة لأصحاب التراجم أن يوضح من معناها الحالة الاجتماعية والسياسية
والعلمية التى كانت سائدة فى عصر أصحاب هذه الأبيات .

هذا إلى جانب التراجم التى يذكرها بعد العرض التاريخى والدينى والاجتماعى
للفترة التى يدرس معالمها الأدبية .

ومما يجدر ذكره أن الدكتور عمر فروخ لم يدرس الشخصيات الأدبية فقط ، وإنما درس شخصيات أخرى غير أدبية ، وهو بذلك يخالف ما قرره أكثر من مرة مثل قوله :- " هذا كتاب فى تاريخ الأدب العربى يقرب الموضوع للدراسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجدانى من الأدب العربى للمطالعين " (١) فهو يقرر بأنه يدرس ويترجم للشخصيات التى كان نتاجها الأدبى وجدانياً ، لكننا نراه يترجم لشخصيات لها نتاج شعرى أو نثرى لكن ليس وجدانياً أمثال : - الخليل بن أحمد فيقول عنه " كان الخليل بن أحمد الفراهيدى إماماً فى علم اللغة والنحو ومن الرواة والنسابين (العارفين بأنساب العرب) والعلماء ، وهو أول من استخرج علم العروض (أوزان الشعر وأحكامه) وأول من وضع معجماً للغة العربية . وله من الكتب الثابتة بلا خلاف كتاب الشكل والنقط (فى القرآن الكريم) ، وكتاب الشواهد ، وكتاب العروض ، وله فيما ذكروا كتاب الايقاع وكتاب النظم ، وكتاب الجمل ، وكتاب العين ، وكتاب فائت العين ، أما كتاب العوامل فيقال إنه منحول " (٢) كذلك الأخفش الأكبر وهو من الترجمات المختصرة جداً وكل ما قاله عنه : " هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد المعروف بالأخفش الأكبر أو الأخفش الكبير مولى من أهل هجر ، سكن البصرة وكانت وفاته نحو سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) . الأخفش الأكبر من أئمة اللغة والنحو ، وله ألفاظ أنفرد بها ، وهو أول من شرح الشعر بيتاً بيتاً " (٣) وسيبويه ، والفراء ، والأصمعى ، ونفطويه ، وقدامة بن جعفر ، وأبى بكر الصولسى . . . وغيرهم ، فجميع هؤلاء لم يكن نتاجهم فى الجانب الوجدانى ، بل كانوا إما نحاة أو لغويين أو فقهاء أو نقاداً . .

(١) تاريخ الأدب العربى د. عمر فروخ ط٤ . دار العلم للملايين - بيروت ج ١ ص ١٧

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١١٨ .

ومجمل القول : " إن دراسة الدكتور عمر فروخ للأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي، ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث لم تكن دراسة أدبية بالمعنى الدقيق (أى الدراسة التى تعتمد على إبراز وإظهار النواحي الفنية والجمالية فى شعر الشاعر أو نثر الناثر ، ووضع فى موضعه المناسب بعد نقد نتاجه الأدبي ودرجته بين أدباء وشعراء عصره) وإنما هى دراسة خاطفة عابرة لإبراز أهم معالم الشخصية فقط ، وإلا لما استطاع أن يجمع فى هذه الدراسة هذا العدد الكبير من الشخصيات المترجم لها .

فدراسته للأدباء والشعراء لا تعتمد على الانشاء اللفظي الأدبي لكنه ذكر حقائق عامة مركزة عن كل شخصية، وهذا ماقرره الدكتور على زيعور بقوله : " هذه فى الحقيقة موسوعة فى الأدب العربى صفحاتها ٤٨٠٠ يبدأ كل جزء بصورة للعصور التى يعالجها من النواحي السياسية والثقافية والأدبية ، ثم يلي ذلك تراجم الأدباء (١٢٣٠ ترجمة) * وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب ، خصائصه ، مختارات من آثاره تأليفه وتآليف عنه ، ومراجع دراسته ، وليس فى هذا الكتاب " انشاء لفظي " بل حقائق فى ألفاظ مركزة وفي كل جزء فهرس هجائى للأعلام ، وأحياناً فهرس هجائى للكتب " (١)

فدراسته للأدباء والشعراء فى تاريخ الأدب العربى لم تكن دراسة أدبية نقدية معتمدة على التمييز اللفظي والتأنق المعنوي والتحليل البلاغى بل كانت للدلاء بحقائق

(١) صراع التيارات المتشددة ود . عمر فروخ للدكتور على زيعور ص ١٢٦ ط الأولى

دار الأندلس ص ٨ .

* هذا عدد التراجم فى " تاريخ الأدب العربى " دون " معالم الأدب العربى فى العصر الحديث " .

حول شخصيات أدبية في ألفاظ مركزة ، وليس معنى هذا أننا نقلل من جهده وقيمة عمله بل عكس ذلك فهو يضع موسوعة أدبية مكونة من ستة أجزاء، ثم يردفها بجزأين استمراراً في التأريخ للأدب العربي وتضم هذه الموسوعة قرابة ألفي شخصية فهذا شيء رائع ومجهود عظيم يرفع من منزلة الدكتور عمر فروخ في مجال التأليف والبحث . كما أننا نراه مع كثرة التراجم إلا أنه يزود القارئ بالنماذج الشعرية أو النثرية مشروحة شرحاً لغوياً أدبياً . . . مما يفيد القارئ في الوقوف على المعاني اللغوية والمعاني العامة للنماذج التي يقرأها إلى جانب معرفته الخصائص الأدبية العامة لأصحاب النماذج وبعض اللامحات النقدية عن هذا الشاعر أو ذلك الأديب .

فهذه الدراسة تفيد من أراد أن يتعرف على أدباء وشعراء عصر من العصور معرفة عامة ويجمع معلومات حول عصر بعينه عن طريق معرفة مدى كثرة شعرائه وأدبائه أي لمن أراد أن يتعرف على الحياة الأدبية في عصر من العصور بصفة عامة .

أما من أراد التعمق في الشخصيات الأدبية وإبراز دقائق فنها والوقوف على نتائجها بالتحليل البلاغي والانشاء اللفظي فلن يجد ضالته في تاريخ الأدب العربي ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث . ولكن يستطيع في يسر من الحالات التي ذكرها الدكتور عمر فروخ أن يعود إلى هذه المصادر التي تفيده فيما يريد .

* * * * *

ج - بعض الشخصيات التي أفردتها بالدراسة :

تمهيد :

أفرد الدكتور عمر فروخ بعض الأدباء والشعراء بدراسات أدبية مستقلة أمثال :- عمر بن أبي ربيعة ، وعبدالله بن المقفع وكتاب كليله ودمنه ، وبشار بن برد ، وأبي نواس ، أبي تمام ، وابن الرومي ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وأحمد شوقي ، والشابي شاعر الحب والحياة . وجمع أكثر من شاعر في دراسة مستقلة أيضا أمثال : "خمسـة شعراء جاهليون" إذ درس فيه خمسـة من شعراء العصر الجاهلي وهم : امرأ القيس وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ، ويذكر الدكتور على زيعور تعريفاً لهذه الدراسة فيقول : " تبدأ هذه الدراسة القصيدة بفصل طويل في تاريخ الجاهلية وخصائصها ثم يلي ذلك خمسـة فصول تتناول بالبحث : امرأ القيس وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ، هنا ترجمة كل شاعر منهم وخصائصه ، ومختارات من معلقته مشكولة ومشروحة (ط ١ ، ١٩٤٤) " (١) وشعراء البلاط الأموي وهم : الأخطل ، وجريـر ، والفرزدق ، وأيضاً يقدم لنا الدكتور على زيعور هذه الدراسة بقوله : " تحوى هذه الدراسة القصيرة : تحدر العصبية (القبلية) من الجاهلية إلى الاسلام ، ثم ثلاثة فصول في الأخطل ، والفرزدق ، وجريـر . هنا ترجمة كل واحد منهم بالإضافة إلى خصائصه ، وفنونه ، ونماذج مختارة وافية ودالة على ذلك كله ، ثم هناك فصل واف عن النقائص " (ط ١ ، ١٩٤٣) " (٢) وأربعة أدباء معاصرون" إذ يذكر فيه ترجمة لابراهيم اليازجي وولي الدين يـكـن

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ - ت د . على زيعور ص ١٧٧

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ .

ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وسليمان البستاني " كما يعرف لنا الدكتور على زيعور هذه الدارسة بقوله : " الناس يختلفون في مكانة الأدباء المعاصرين لهم ، لأن التاريخ لايقول كلمته في مكانة الأديب (أو العالم أو السياسى) إلا بعد مدة ، والأدباء الأربعة المقصودون بهذه الدراسة هم:- ابراهيم اليازجى ، وولى الدين يكن ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وسليمان البستاني ، ولكن هناك في هذا الكتاب استعراضاً موجزاً للأدب الحديث ، ولمظاهر الأدب الحديث ،بالاضافة إلى عدد آخر من تراجم أدباء آخرين وفي هذه الدراسة موجز لترجمة جبران خليل جبران ومقالتــــــــــــه " لكم لبنانكم ولى لبنانى " عام (١٩٢٠) إذ كانت السلطة الفرنسية المنتدبة في لبنان قد منعت دخول العدد الذى نشر فيه هذا المقال من مجلة الهلال (القاهرة) إلى لبنان ، ويرى الدكتور فروخ أن في لبنان اتجاهاً ما يزال يريد أن يُعطى على ذلك المقال . (ط ١ ، ١٩٤٤) " (١) ودراسته لابراهيم طوقان وأبى القاسم الشابى في كتاب : شاعران معاصران " : أبو القاسم الشابى وابراهيم طوقان إذ يعرض في هذا الكتاب للمؤثرات التى أثرت في شعر كل من الشاعرين من خلال ترجمته لهما واشتراكهما في عدة أشياء منها المرض ، وتبنى قضايا المجتمع .

فإننى في هذا الفصل سأتناول بعض هذه الدراسات بالدراسة والتحليل من خلال عرض كيفية دراسة الدكتور فروخ الأدبية والنقدية لهؤلاء الشعراء والرأى فيها ، وقد يتساءل القارئ عن السبب الذى جعلنى اختار هذه الشخصيات؛فإننى أعزو ذلك إلى أننى أردت أن أختار شاعراً من كل عصر يكون قد درس الدكتور فروخ لبعض شعرائه فاخترت عمر بن أبى ربيعة من العصر الأموى (ت٩٣هـ) ، وأبا تمام من العصر العباسى الأول(ت٢٣٢)وأبا فراس الحمدانى من العصر العباسى الثانى (ت٣٥٧) وابراهيم طوقان (ت ١٩٤١) والشابى (ت ١٩٣٥) من العصر الحديث .

١ - عمر بن أبي ربيعة :

في هذه الدراسة نجد الدكتور عمر فروخ قد درس عمر بن أبي ربيعة المخزومي ولكنه في هذه الدراسة يعرض لخصائص الغزل في صدر الاسلام وطريقة النسيب الجاهلي مما لا يضيف جديداً في ذلك وإنما يردد ويكرر مقاله دارسو الأدب قبله . فعند ذكره لطريقة النسيب الجاهلي وأنه يبدأ :

١ - بالوقوف على الأطلال .

٢ - ووصف الطعائن (الإبل التي تحمل النساء) () .

٣ - ذكر الطيف أو الخيال في المنام .

إلى أن يقول : "لأنقصد بالنسيب التقليدي هو الذي يعبر عن شعور قائله الخاص بل يروى أقوالاً مأثورة عامة في تراكيب خاصة ، والمعاني مكرورة ، وهذا النسيب التقليدي يأتي عادة في مطالع القصائد لأنه ليس الغرض الأساسي من القصيدة ، أما النسيب الأصيل فيأتي مستقلاً ويأتي في أثناء القصائد أيضاً " (١) ثم يترجم لعمر بن أبي ربيعة . ويذكر لنا الدكتور على زيعور تعريفاً سريعاً بهذه الدراسة فيقول : " تبدأ هذه الدراسة القصيرة باستعراض خصائص الغزل في صدر الاسلام ثم تأتي ترجمة مفصلة لعمر ، بعدئذ يأتي فصل في خصائص عمر بالإضافة إلى حقائق يسيرة تتعلق بالنساء اللواتي جاء ذكرهن في شعره وبعدئذ تأتي نماذج وافية من شعره (ط ١ ، ١٩٤١) " (٢)

فدراسة الدكتور عمر فروخ الأدبية النقدية لعمر بن أبي ربيعة كانت تتضمن ترجمة مفصلة له ، ثم ذكر خصائصه الأدبية ، وأخيراً أعطى نماذج وافية من شعره ، فلو نظرنا

(١) عمر بن أبي ربيعة المخزومي للدكتور عمر فروخ ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور علي زيعور ص ١٢٢

إلى الخطة لوجدناها تسير سير خطته في ذكره للتراجم في تاريخ الأدب العربي .
ومن خلال وقوفى على هذه الدراسة أستطيع أن أقول بأن للدكتور عمر فروخ
مجهود طيب في إبراز بعض الملامح الأدبية والفنية في غزل عمر بن أبى ربيعة
من خلال تعرضه لهذه الشخصية بالنقد والتحليل فهو يذكر لنا بأن عمر بن أبى
ربيعة كان شاعراً عباسياً في العصر الأموى (١) وذلك لأنه استطاع أن يخرج على
نظام القصيدة الجاهلية التقليدية التى كان شعراء العصر الأموى لازالوا متمسكين بها
أما عمر بن أبى ربيعة فقد تحرر من هذا النظام فكانت قصائده عبارة عن مقطوعات قصيرة
سهلة الألفاظ واضحة المعانى ، إلى جانب أنه تخصص في فن الغزل فكان شعره
غزلياً بحتاً بعيداً عن أغراض الشعر الأخرى من مدح وهجاء ورثاء . . . كما كان
شاعراً غنائياً " لم يعد عمر ينظم شعره بالأسلوب القديم ، ولذلك نفر من القصيدة وهجرها
في نماذجها واختار مكانها هذه المقطوعات القصيرة التى تقال لا لتُشد كما كان الشأن في
الحياة القديمة وإنما تقال لتُغنى ولتسمعها الطبقة المترفة التى نشأت في مكة وفى
أختها المدينة " (٢)

لذلك كان شعره أقرب إلى شعراء العصر العباسى وخصائصه الفنية كانت
أقرب إلى خصائص القصيدة العباسية التى ابتعدت عن الأسلوب القديم فلا وقوف على
الأطلال ، ولا إطالة في القصيدة ، فبعد أن كانت القصيدة في العصر الجاهلى
والإسلامى والأموى أمثال : جرير ، والقرزق ، والأخطل . . تتميز بالطول أصبحت

(١) عمر بن أبى ربيعة للدكتور عمر فروخ ص ٥ .

(٢) الشعر والغناء في مكة والمدينة للدكتور شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف بمصر ص ٢٧٢

فى العصر العباسى لى كثير من الشعراء عبارة عن مقطوعات لاتزيد عن سبعة
أو ثمانية أبيات أمثال : بشار بن برد ، وأبى نواس وأبى العتاهيه ... والألفاظ
أصبحت أكثر سهولة فهى تؤخذ من الأساليب المألوفة لى الناس فكان عمر بن أبى ربيعة
فى العصر الأموى يمثل جميع هذه الخصائص ، فقصائده بلا مقدمات طلبية وهى عبارة
عن مقطوعات غنائية قصيرة أى بعيدة عن النهج القديم ، كما أن الألفاظ لديه أكثر
رقة وعذوبة وسهولة فهى مأخوذة من اللغة المألوفة لى الناس ، وما ذلك إلا لأن
عمر يمثل ويصف الحياة الحضرية التى كان يعيشها المجتمع المكى " وكان عمر هو الشاعر
الذى استطاع أن يهجر أساليب الشعر القديمة ، ويسوى للناس مكانها أساليب جديدة
تقوم على القرب والدنو منهم ومن لغتهم اليومية " (١)

أما عن خصائصه المعنوية فيقول فيها الدكتور عمر فروخ : " تبرع عمر بن أبى
ربيعة بوصف جانب من الحياة الاجتماعية فى الحجاز فى النصف الثانى من القرن الأول
للهجرة (النصف الثانى من القرن السابع الميلادى) ومن أجل ذلك كان شعر عمر
بن أبى ربيعة مصدراً مساعداً لدراسة الحياة الاجتماعية فى الحجاز فى ناحية اللهو
والأنس " (٢)

كما يقول : " قيمة عمر بن أبى ربيعة الحقيقية أنه شاعر انطلق على سجيته
ولم يقل إلا فى شأن نفسه ولم يكن لحياته ظاهر وباطن " (٣) فيقرر بذلك أمرين
يمثلان شيئاً من خصائصه المعنوية وهما : أولاً: إن شعر عمر بن أبى ربيعة يعتبر مرجعاً

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٢) عمر بن أبى ربيعة للدكتور عمر فروخ ص ٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١١ .

لمعرفة الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها شباب مكة في ناحية اللهو والأنس، فقد تبدلت حياتهم القديمة وأصبحوا يعيشون حياة التحضر والترف وقد تبدل العرب في مكة وتبدلت حياتهم القديمة ، وعاشوا معيشة جديدة ونجم بينهم عمر ليعبر تعبيراً كاملاً عن هذا التبدل وهذه المعيشة " (١) وثانياً: إن عمر بن أبي ربيعة كان صادقاً في شعره ولم يتعرض لأغراض الشعر الأخرى فلم يمدح ولم يهجو ولم يفاخر وإنما كان شاعراً غزلياً ينشد الشعر على السليقة ودون تكلف فهو كما قال الدكتور فروخ : إنه شاعر انطلق على سجيته كما أن حياته كانت واضحة ومغامراته الغرامية كانت صريحة كقوله: (٢)

ياثريا الفؤاد ردي السلاما *** وصلينا ، ولاتبتي الذماما

واذكرى ليلة المطارف والوبل *** وارسالنا إليك الغلاما

بحديث إن أنت لم تقبليه *** لم أنزعك ما حييت الكلاما

واذكرى مجلساً لدى القصر عشيّاً ولقسمي أقساما

في ليالٍ فمهن ليلة باتت *** ناقتي والهأ تجر الزماما

فلم يكن يخفى شيئاً من هذه المغامرات ، وإنما كل ما يفعله يذكره في شعره فلم يكن لحياته ظاهر وباطن ولم يخرج لنا معاصروه أو النقاد القدماء شيئاً كان مستوراً في حياة عمر بن أبي ربيعة وكان يفعله في الخفاء وإنما حياته كانت واضحة ولم يخف شيئاً منها .

(١) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية لشوقي ضيف ص ٢٧٢ ط ٣ دار المعارف بمصر .

(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ط بدون ، دار الأندلس تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

والحق إن الدكتور عمر فروخ قد استطاع في هذه الدراسة أن يصل إلى بعض الخصائص الأدبية والفنية في شعر بن أبي ربيعة وأن يُدلى بآراء نقدية واضحة ومميزه ، فكانت دراسته الأدبية والنقدية لهذا الشاعر جيدة ولبن كانت قصيرة ولكن استطاع أن يقف على أهم خصيصة فنية لعمر بن أبي ربيعة وهي أنه شاعر غنائي من خلال قوله : " كان شاعراً عباسياً في العصر الأموي " وأهم خصيصة معنوية وهي أنه كان واضحاً ولم يكن له في حياته ظاهر وباطن ، إلى جانب أن شعره كان يصف الحياة الاجتماعية في تلك الفترة بصورة واضحة . هذا إلى جانب أنه ذكر بعض قصائد عمر بن أبي ربيعة مشكولة ومشروحة شرحاً لغوياً أدبياً ولكن هذا الشرح كان مختصراً لا يتعدى ذكر معاني الألفاظ الغريبة والمعنى العام للبيت أو لعدة أبيات .

أما بالنسبة للحقائق اليسيرة التي تتعلق بالنساء اللاتي ذكهن عمر في شعره، فإن هذه الحقائق التي ذكرها الدكتور عمر فروخ حقائق مكررة تناولها الكثير من من دارسي الأدب عند ترجمتهم لعمر بن أبي ربيعة، ونحن لا يهنا في هذه الدراسة بيان هذه الحقائق وإنما أهم منها أن نتعرف على الخصائص الأدبية لشعر هذا الشاعر الذي سبق عصره وكان ارهاصاً لشعراء العصر العباسي .

* * * * *

أما الفصل الثاني :- فرميت منه إلى غرضين أولهما : أن أجمع أكثر ما يجب أن يعرفه الدارس لديوان أبي تمام فيستغني عن مراجعة المصادر ليوفر وقته على التفهم ، وثاني الغرضين : أن أرتب هذه المواد المجموعة ترتيباً معقولاً منسفاً .

أما الفصل الثالث :- فدراسة فنون الشاعر دراسة مبنية على الديوان في ضوء ما قاله النقدة من أساطين العلم والأدب مع نماذج مبينة لوجوه الأغراض" (١)

هذه هي خطة الدكتور عمر فروخ في دراسة أبي تمام كما ذكرها ، فلو نظرنا إلى الترجمة نجده ينفي فيها أن يكون أبو تمام من أصل عربي - كما تذكر بعض كتب الأدب - معتبراً أن والده رومي الأصل نصراني الديانة ، ومانسبته طيء إلا ولا ، بعد دخوله في الاسلام ، وهذا ما يراه الدكتور طه حسين أيضاً إذ يقول : " والمرجح أن هذا النسب قد صُنع ، وأن الذي صنعه قد تعجل صنعه ، ولم يكن على علم باختراع الأنساب " (٢) أما الدكتور شوقي ضيف فيقول : في نسب أبي تمام : " ومن يقرأ شعره وفخره العارم بطيء لا يشك في أنه طائي صليبة وأنه من صميم طيء لا دعي فيها ولا من مواليها " (٣)

وفيما أراه أن أبا تمام لم يكن عربي الأصل وإنما كان رومياً كما قال الدكتور عمر فروخ وغيره من الأدباء وإنما أعجب بالعرب وبدينهم وقوتهم في تلك الفترة فدخل في الاسلام وغير اسم والده الرومي " تدوس " إلى " أوس " وانتسب إلى قبيلة طيء وأخذ يفتخر بنسبه إليها مما يوحي بأنه أحد أبنائها .

(١) أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ٥

(٢) من حديث الشعر والنثر ص ٩٤ لطف حسين دار المعارف

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط ٨ دار المعارف بمصر ص ٢١٩

أما عن أدب أبي تمام وشاعريته فقد خالف الدكتور عمر فروخ فيهما ما قال به النقاد القدماء (الجاحظ ، ابن رشيق الامدى) فى القول بأن أبا تمام كان يتبع وحشى الكلام ويدخله فى شعره ويبحث عن الصناعة اللفظية ويرصع بها نظمه " (١)

فمن المعروف أن دارسي الأدب قديماً وحديثاً تناقلوا شغف أبي تمام بالاغراب وانقسموا فى طريقته فى النظم إلى فريقين :-

فريق يعيب على أبي تمام شغفه بالاغراب وتصنيعه المعنوى ويتهمه بالغموض والتعقيد ويرى أنه يجهد تفكير قارئه كثيراً كي يفهمه ، ولا تخلو هذه الرؤى من قصور أو خطأ فليس عيباً على الشاعر أن يحاول الاختراع والتفنن ويعمل على التجديد لفظاً ومعنى، وفريق آخر يستحسن هذا الضرب من الشعر الذى يعتمد على التصنيع المعنوى الذى يحتاج إلى ثقافة واسعة ومقدرة على الغوص على المعانى ، وبالطبع هذا لا يتأتى لكل أديب فقد " أبعد هذا الشاعر عن معانية ، فأبعد شراحه فى تأويلاته — وتخرجاتهم وتشابه كثير من ألفاظه لكثرة جناسه فتشابه كثير من رواياته وكان رأساً لمذهب جديد فى الشعر العربى ، فاختلف فيه الأدباء بين متعصب عليه ومتعصب له وكان لهذه الخصومة أثرها فى تناول شعره والنظر فيه " (٢) فتشبيهاته البعيدة واستعاراته الغريبة كانت سبباً فى كثرة التأويل فى معانى شعره فكانت مذهباً جديداً فى الشعر العربى ولكل مذهب مؤيد ومعارض ، أما الدكتور عمر فروخ فيقول فى ذلك : " نحن نعلم أن شعر أبي تمام ليس من هذا النوع الذى يقرب فهمه ويعذب النطق به ولكنه من ذلك النوع الذى تطرب له العقول المثقفة والأفكار النيرة وأهل الاطلاع الواسع

(١) أبو تمام شاعر الخليفة المعتمد ، للدكتور عمر فروخ .

(٢) مقدمة ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ص ١٥ تحقيق محمد عبده عزام

دار المعارف ١٩٦٤ م .

وكل ذنبه أنه بحث عن أوجه للشبه جديدة واستعارات بعيدة عن المؤلف أوحى إليه بها
اطلاعه الواسع ، وفكره القوى ، وروحه الوثاب ، فاستبعدها الناس ، واستغريوها
وحملوا عليه من أجلها " (١)

فيرى الدكتور عمر فروخ أن شعر أبي تمام ما كان كذلك إلا لسعة اطلاعه وفكره
القوى، وروحه الوثاب ، فأبو تمام كان واسع الاطلاع والثقافة مما كفل له المقدرة على التلاعب
بالمعاني ووضعها في قالب فني جديد سُمي بمذهب التصنيع المعنوي ، إلى جانب الذكاء
والطموح اللذين تميز بهما أبو تمام . فما رحلاته الكثيرة وتجواله المستمر إلا بسبب
طموحه ورغبته في الوصول إلى المجد فكان له ما أراد .

أما قول الدكتور عمر فروخ بأن أبا تمام أوجد مذهب الشاميين ففيه تزيّد ، فهو
يقول : " أفنّعجب بعدئذ إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذي أوجد
طريقة الشاميين ، وكان أول من حلّى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة ؟ " (٢)

فالقول بأن أبا تمام هو الذي أوجد طريقة الشاميين فيه تزيّد وتحيز لأبي تمام،
فالشعر العربي منذ بدايته لم يخلُ من الصناعة اللفظية، ولكن ازداد الاهتمام بها مع بداية
العصر العباسي، وما ذلك إلا بسبب تطوير الحياة واختلافها عما كانت عليه سابقاً، فوقف
العرب على الحياة المتحضرة ومعايشتهم لها جعلهم يميلون إلى هذا النوع من التأنق
اللفظي الذي يساير التأنق في الحياة المعيشية ، فكان بشار بن برد وأبو نواس والعتابي
وغيرهم . . . ولكن التأنق اللفظي أو الصناعة اللفظية لدى هؤلاء، لم تكن مذهباً لهم

(١) أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٤٠ .

فلا يجهدون أنفسهم في صنع الشعر بهذه الطريقة ، بخلاف مسلم بن الوليد السدي
يعتبر أول من تبنى هذا المذهب وقصده لذاته " فهو أول من عاش لهذا المذهب
ينميه وتناوله منه أبو تمام فبلغ به الغاية " (١) ويقول ابن المعتز : " كان مسلم
بن الوليد صريح الغواني مداحاً محسناً مجيداً مغلقاً وهو أول من وسّع البديع ،
لأن بشار بن برد أول من جاء به ، ثم جاء مسلم فحشا به شعره ، ثم جاء أبو تمام
فأفرط وتجاوز المقدار " (٢) .

فمسلم بن الوليد يعتبر أول من حلّى شعره بالصناعة اللفظية وأكثر منها ، ثم أتى
بعده أبو تمام فأفرط في هذه الصناعة وتجاوز المقدار إلى أن عابها عليه الكثيرون ورأى
أنها سبباً في غموض شعره وتعقيد ، وبذلك يتبين لنا أن أبا تمام لم يكن أول من حلّى
الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة .

ويختتم الدكتور فروخ دراسته هذه بإعطاء بعض النماذج الشعرية لأبى تمام
مشكولة مشروحة شرحاً مختصراً مركزاً على بيان معاني المفردات الصعبة ، فكانت هذه
الدارسه كسابقاتها من دراساته الأدبية المستقلة ، للشعراء فهو يدرسهم دراسة
مبسطة سطحية في صفحات قليلة وهو لا يقصد بها الباحث والدارس المتعمق في
الأدب وإنما جعلها للقارى العادى الذى يريد أن يعرف شيئاً من كل شىء

* * * * *

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٧٨ للدكتور شوقي ضيف ط ٨ دار المعارف بمصر .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥ تحقيق عبدالستار احمد فراج ط ٤ دار المعارف

٣ - " أبو فراس فارس بنى حمدان وشاعرهم " :

يتجه الدكتور عمر فروخ دائماً في دراساته إلى الحديث عن الصورة التاريخية للعصر الذى يواكب تلك الدراسة أو الشخصية ، فنجده فى كتابه " أبو فراس " يتحدث عن صورة العصر فى هذه الفترة فى الشرق والغرب ، ثم يلى ذلك موجز لترجمة أبى فراس ، ثم يتناول خصائصه الفنية بالشرح والتحليل وأخيراً يذكر بعض المختارات من شعره، فطريقته فى هذه الدراسة الأدبية للشخصية طريقة تقليدية ألفناها فى تاريخ الأدب العربى، لكن مع توسع بعض الشئ، فيما يخص الناحية الفكرية ودراسة النصوص باعتبار أن هذه الدراسة مستقلة ، فترجمة الدكتور فروخ لأبى فراس كانت ترجمة عادية كما ورد فى أمهات كتب الأدب، من أن أبا فراس مولد، فهو عربى من جهة أبيه ، رومى من جهة أمه ، واسمه : الحارث بن سعيد بن حمدان .

وأهم ما يميز هذه الدراسة هو الفصل الذى يتناول فيه خصائص أبى فراس الفنية، فالدكتور فروخ يرى أن خصائص أبى فراس الفنية كانت عظيمة الشبه بخصائص عصره وخصوصاً بخصائص المتنبى إلا أنه أدنى درجة من المتنبى (١).

فكأنه يوازن بين أبى فراس والمتنبى، فيرفع المتنبى عن أبى فراس درجة مع أن كثيراً من الدارسين لا يحدون المقارنة بين هذين الشاعرين باعتبار اختلاف أغراضهما الشعرية، فمثلاً مديح المتنبى للتكسب ، أما أبو فراس فلم يمدح للتكسب أبداً فإذا كان الممدح للتكسب فليس لأبى فراس مدحة واحدة فى هذا الاتجاه ، ولعل الذى رفع من قدر

(١) أبو نواس شاعر بنى حمدان لعمر فروخ ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

شعره وجعله من عيون الشعر العربي أنه لم يتخذ الشعر صناعة وحرفة وسلاماً إلى ما يطمح إليه غيره من الشعراء من طلاب العطاء والنوال بل جعله تعبيراً عن ذاته ومترجماً عن مشاعره وعواطفه إلى جانب أن كثيراً من الدارسين والباحثين يشيدون بشاعرية أبي فراس ويفضلونه "بروميثته على المتنبي" تلك القصائد التي قالها في الأسر فهذه القصائد تعد من أحسن ما قاله أبو فراس بل تعتبر قمة شعره فناً ومعنوياً " وهي التي جعلت أبا فراس سيد شعراء العاطفة الانسانية ، ليس في عصره فحسب بل في كافة عصور الأدب العربي " (١)

(أما بروكلمان فقد وضعه في منزلة أسمى من منزلة المتنبي (٢) ويقول فيه الأستاذ فؤاد البستاني: "إن هذا المترفع عن الشعر كان ولا يزال أشعر من كثير ممن ترفع لهم المنابر في تاريخ الآداب ، وتفيض عليهم النعوت الطنانة مندفعين بتأثير أحكام القدماء ، وتقليد الأدباء السالفين " (٣)

كما أن النقاد القدماء اهتموا بأبي فراس وقد قال عنه صاحب بن عباد : " بدى الشعر يملك وختم يملك " يعني أمراً القيس وأبا فراس " (٤)

هذا هو رأى الكثير من النقاد في أبي فراس وشاعريته، فهو بحق شاعر عظيم لم يقل الشعر لارضاء فئة من الناس أو للتكسب، وإنما قاله ليُرضى شاعريته لذلك كان

(١) عناصر الابداع الفنى فى رائية أبى فراس د . محمد عارف محمود حسين ص ٤ . ط ١ مطبعة الأمانة ١٤٠٨ هـ .

(٢) - تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١

(٣) عناصر الابداع الفنى فى رائية أبى فراس (مصدر سابق) ص ٣٨

(٤) العمدة لابن رشيق ، شرح وتحقيق د . مفيد محمد قميحه ط ١ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ص ٨٩ .

بعيداً عن التكلف والتعقيد والغموض ، وكنا ننتظر من الدكتور عمر فروخ أن يوضح الأسباب التي حدثت به أن يجعل أبا فراس أدنى درجة من المتنبي، إلا أنه ذكر ذلك دون تعليق أو تحليل لما ذهب إليه .

ومن خصائصه المعنوية يذكر لنا أن شعره يغلب عليه كثير من الجد ، وفي رأيي أن سبب ذلك هو وقوعه في الأسر لفترة طويلة، ونحن نعلم أن أكثر شعره قاله في الأسر ، فالأسير لابد أن يكون جاداً بعيداً عن الهزل أو المرح وإنما يغلب على شعر الأسير الأسى والحزن واللوعة والشكوى ..

وفي الخصائص اللفظية يقول عنه: "هو من أتباع المذهب الشامي فالصناعة فاشية في شعره فالبديع والمجازات والتشابه والاستعارات وسوى ذلك من أوجه البلاغة بارزة في أشعاره " (١)

لكن هذه التشابه والاستعارات والمجازات لم تكن غامضة أو معقدة أو متكلفه وإنما كانت واضحة جلية جميلة، في مواضعها تضي على شعره رونقاً وقوة وبهاء .
وأسلوب شعره يتناسب وموضوعه فإذا افتخر رأيت عليه سمات الفخامة والقوة حتى لتحسبه جاهلياً وإذا رئى اتسم رثاؤه برقة وأسى شجيين ، وإذا تغزل تبدى على غزله التلطف والرقه، وإذا اشتكى وعاتب رأيت في أسلوبه رنة الأسى ، وممرارة الشكوى .. وهكذا " (٢)

(١) أبو فراس فارس بنى حمدان وشاعرهم لعمر فروخ ص ٦٦

(٢) عناصر الابداع الفني في راتبة أبي فراس . د / محمد عارف حسين ط ١ مطبعة

الأمانة ١٤٠٨هـ ص ٣٦

وقبل أن يختم الدكتور فروخ هذه الدراسة يذكر لنا فنون أغراض هذا الشاعر ويعطى نموذجاً أو أكثر لكل فن أو غرض فيذكر من فنونه :

- ١ - النسيب والغزل .
- ٢ - الحماسة والفخر .
- ٣ - الأدب والحكمة .
- ٤ - المدح .
- ٥ - الرثاء .
- ٦ - التشيع .
- ٧ - العتاب وهونوعان : عتاب للمحبوب ، وعتاب للرؤساء .
- ٨ - الهجاء .
- ٩ - الوصف .
- ١٠ - الاخوانيات (الأسريات أو الروميات) .

فمما سبق نرى أن أبا فراس قال في معظم فنون الشعر وأغراضه تقريباً فكان شعره متنوعاً شاملاً ولن أكثر في فن أو أكثر عن بقية القنن الأخرى فشعره مثلاً في الحماسة والفخر أكثر من شعره في الفنون الأخرى .

وأخيراً يختم الدكتور فروخ دراسته هذه بذكر مختارات من شعر أبي فراس مأخوذة من ديوانه ، وكانت هذه المختارات كما تعودنا من الدكتور فروخ مشكولة أيضاً ومشروحة شرحاً مختصراً في الهوامش بصورة مجلّة تبرز فن الشاعر وخصائصه الفنية .

٤ - شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي :-
أولا : ظروفهما :

يذكر الدكتور عمر فروخ في الكلمة الأولى لهذه الدراسة مضمون الكتاب فيقول :-
" يتناول هذا الكتاب شاعرين معاصرين لنا كانا من أحياء النصف الأول من القرن العشرين
ووجه القران بينهما في كتاب واحد كثرة أوجه الشبه في حياتهما الخارجية وفي معظم
شعرهما " (١)
كما أنه يذكر دوره في هذه الدراسة فيقول أيضا أما أنا في هذا الكتاب فعارض
لاموازن : إنني أعرض على القارئ ما عرفت من حياة هذين الشاعرين وما أدركته
من خصائص شعرهما ولكنني لاأخذ نفسي بالموازنة بين شعرهما ولا بالتعرض لتفضيل
بعضهما على بعض لأن ذلك يقتضي أن يزيد حجم هذا الكتاب زيادة كبيرة فضلاً عن
أن المفاضلة بين شاعرين مثل اللذين نحن بصددهما غير ذات جدوى كبيرة " (٢)
فما تناول الدكتور فروخ هذين الشاعرين بالدراسة في كتاب واحد إلا لاتفاقهما في
كثير من الأمور منها :-

أولا : أنهما عاشا في فترة واحدة تقريباً فابراهيم طوقان ولد سنة ١٩٠٥ وتوفي سنة ١٩٤١
وأبو القاسم الشابي ولد سنة ١٩٠٩ وتوفي سنة ١٩٣٥ .

ثانيا : كانا يشكيان المرض فابراهيم طوقان كان مريضاً في معدته والشابي كان مريضاً في
قلبه : " ولعل من أبرز تشابه حياتهما الخارجية أن كل واحد منهما أشتد
مرضه في أواخر أيامه فنقل إلى مستشفى أجنبي في عاصمة بلاده ثم توفي فيه
فنقل في اليوم التالي إلى مسقط رأسه ليحتفل آله وصحبه بدفنه " (٣)

(١) شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي د . عمر فروخ ص ٤

(٢) المصدر السابق ص ٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥ .

ثالثاً : كلاهما امتاز بقريحة فياضة وبنفحة شعرية عامرة بالقوة كلاهما توفر على الغزل

والوطني عازفاً عن فنون التكسب من مديح ورثاء ومملأة " (١)

رابعاً : اجتياح الاستعمار لبلديهما " وكما أن الاستعمار الفرنسي مازال يرهق تونس منذ

نحو سبعين سنة منذ عام ١٨٨١ للميلاد فإن الاستعمار الانكليزي لم يحتج إلى أكثر

من ربع قرن حتى يقضى على عروبة فلسطين " (٢)

ولإلى جانب أنهما اتفقا في أمور كثيرة فإنهما أيضاً اختلفا في كثير منها أيضاً ولم

يغفل الدكتور فروخ ذكر هذه الأمور التي اختلفا فيها ومنها : المكان الجغرافي

لكل من الشاعرين فشاعرنا ابراهيم طوقان من أدنى الشرق، وشاعرنا الشابي من أدنى

الغرب " جاء ابراهيم طوقان من أدنى الجناح الايمن الشرقى للعالم العربى

من فلسطين ، وجاء الشابي من أدنى الجناح الايسر الغربى للعالم العربى

من تونس " (٣)

ومن أوجه الاختلاف في حياتهما أيضاً زواجهما - كما يرى الدكتور عمر فروخ - فزواج

الشابي كان زواجاً شقيماً وزواج ابراهيم كان سعيداً " وكان الشابي شقيماً في زواجه

بينما كان ابراهيم طوقان هائناً في زواجه مطمئناً من أجل ذلك اندفع الشابي بعد

زواجه إلى الزلل في موطن الهوى بينما زواج ابراهيم كان منقذاً له من الزلل

القديم وعاصماً له من كل زلل مقبل " (٤)

(١) شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وأبى القاسم الشابي د . عمر فروخ ص ٤

(٢) المصدر السابق ص ٥

(٣) المصدر نفسه ص ٥، ٤

(٤) المصدر نفسه ص ٥، ٤

وآخر أوجه الاختلاف بين الشاعرين التي يذكرها الدكتور عمر فروخ ما يهيمن على شعرهما، فشعر الشابي كان كله تشاؤم ، أما شعر ابراهيم ففيه كثير من الأمل " وامتلاً شعر ابراهيم طوقان بالأمل على الرغم مما كان يرين عليه أحياناً من مظاهر التشاؤم والخوف على مستقبل وطنه ، أما الشابي فكان شاعراً متشائماً يائساً يحاول أن يزين شعره أحياناً بشيء من روح الأمل والتفاؤل إلا أنه كان متقلباً بين الأمل واليأس وكان اليأس عليه أغلب " (١)

وبعد أن يعرض الكاتب لأوجه الشبه بين الشاعرين وأوجه الاختلاف يذكر أنه عارض لا موازن " أما أنا عارض لا موازن " (٢)

فكيف يكون عارضاً فقط وهو يوازن بين شخصيه ابراهيم طوقان وشخصية الشابي في شعرهما خاصة عندما قال بأن الأول متفائل في شعره والثاني متشائم ، فإذا لم يسم هذا موازنه فماذا نسميه ؟ !

ثمة شيء آخر وهو قوله : " ولعل قارئ هذا الكتاب سيأخذ على أنني كنت أكثر تبسطاً وتدقيقاً في دراسة حياة ابراهيم طوقان وشعره مني في دراسة حياة الشابي وأشعاره . إن سبب ذلك ظاهر : إن ابراهيم طوقان أخي وصديقي عشت وإياه ست سنوات في بلدتي بيروت وسنة في بلدته نابلس وسنة في بغداد ثم كانت بيننا في أثناء ذلك مراسله لم تنقطع " إلى آخر ما قاله في بيان السبب الذي جعله أكثر تبسطاً وتدقيقاً في دراسة ابراهيم طوقان ، فما دام الأمر كذلك

(١) شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي د . عمر فروخ ص ٥

(٢) المرجع السابق ص ٥

لَمْ يَفْرده بالدراسة كيلا تطغى دراسة حياة ابراهيم على حياة الشابي ؟! فعند قراءتي لهذا الكتابتين لى أن الدكتور عمر فروخ أسهب بالفعل فى الحديث عن حياة ابراهيم بدءاً بأصله وحديثه عن آل طوقان ومن ثم ولادته وتعليمه وحياته فى الجامعة الأمريكية وحياته العملية سواء فى الجامعة الأمريكية أم فى الاذاعة أم فى بغداد كمدرس ثم حديثه عن مرضه أيضاً والنوبات التى كانت ترواده وأحيانا يذكرها بتواريخها وبشيء من التفصيل وما ذلك إلا لأنه وثيق الصلة به ، بينماجده فى دراسته لحياة الشابي يختصر كثيراً فيكتفى بذكر نسبه ودراسته فى الكتاب ثم جامعة الزيتونه ودراسته للحقوق ومرضه وموته وذلك فى سطور قليلة بعكس ابراهيم الذى تحدث عن حياته فى صفحات عديدة بكثير من البسط والاسهاب .

ومن خلال قراءتي لهذا الكتاب شعرت بأن الدكتور فروخ يميل كثيراً إلى ابراهيم طوقان، وهذا أمر طبيعى، فالانسان بطبيعته يميل إلى من يحب كثيراً، فالصداقة التى كانت بين الدكتور عمر و ابراهيم كانت وطيدة فهما قريبان من بعضهما يتزاوران ويتسامران ثم يتراسلان ويسأل كل منهما عن الآخر إن غاب عنه ،يقول الدكتور : عمر فروخ : " كنت أشكو ضعفاً فى عيوني من أثر الاجهاد فكتب الى ابراهيم رساله فيها هذه الابيات :- (١)

كيف عيناك ياعمـــــر ؟ * أما أدماهما السهـــــر ؟

ورسائل ابراهيم طوقان للدكتور عمر فروخ كثيرة جداً وهو يذكر بعضها فى هذا الكتاب ومن هذه الرسائل : " أخى عمر أسفت كثيراً لعدم امكانى وداعكم قبل سفرنا . . . إلى أن يقول فى آخر الرسالة تقريباً : عمر ، بلغ سلامنا وأشواقنا إلى السيدة آمنه ، أم جعفر

ليس لها في بغداد ذكرى سواها . . . أم أحمد على عهدها بولدها عمر وهي تهديسك التحية وتضيف إليك السيدة آمنه مباركة لك داعية بالرفاه والبنين " (١) وفي حاشية الصفحة يبين لنا من هي أم أحمد فيقول : " " إن صلتى الوثيقة بابراهيم جعلت والدته ابراهيم تهتم بأموري - حينما كنت معلماً في مدرسة النجاح في نابلس ١٩٢٨ - ١٩٢٩ كأننى أحد أولادها .

ورسائل الود والصداقة بينهما كثيرة وفي كل كلمة من أى رسالة يظهر مدى الحب والتقدير الذى كان بين الصديقين ، وهذا كله لابد أن يكون له أثره فى كتابة الدكتور عمر فروخ عن ابراهيم فهذه دواعى تجعله يميل إلى هذا الشاعر دون أن يشعر ، على عكس الشابى الذى لم تكن بينه والدكتور عمر فروخ صلة أو صداقة، فكان يميل إلى ابراهيم طوقان ويفضله على الشابى . من أجل ذلك كان الأخرى به ألا يجمع بين الشاعرين فى كتاب واحد ، وفي هذا يقول الأستاذ أبو القاسم كرو : " . . . والغريب أن بعض الكتاب يندفعون اندفاعاً للكتابة عن الشابى وهم لا يملكون من الوثائق والمواد الصالحة لذلك شيئاً سوى بعض شعره أو ما كُتب عنه ، ومع ذلك فإن هؤلاء الكتاب يذكرون من عندهم معلومات غريبة ونتائج مؤسفة عن حياة الشابى وأدبه ولعل أشد هؤلاء خطراً وأكثرهم انحرافاً وتشويهاً لأدب الشابى وحياته هو الدكتور عمر فروخ الذى وضع كتاباً غريباً جمع فيه بين الشاعرين ابراهيم طوقان ، وأبو القاسم الشابى جمعاً لا مسبب ولا مبرر له ، ثم ملأ الدكتور فروخ - مع احترامى الكامل له - القسم الخاص بالشابى (ص ١٥١ - ٢٥٢) من كتابه " شاعران معاصران " بمجموعة من الأخطاء فى المعلومات التاريخية والأدبية ومن الأحكام الجارفة المجحفة التى تلفت النظر فعلاً وتثير الاستغراب ، والمؤلم أنها شاعت عنه بالنقل وأخذ بعض الكتاب يرددونها دون تمحيص أو تثبت " (٢)

(١) المصدر السابق ص ٥٩ ، ٦٠

(٢) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٤٩

وربما شعوره بتقصيره مع الشابي هذا الشاعر العظيم بالنسبة لشعراء جيله هو الذى جعله يضع بعد ذلك دراسة خاصة له بعنوان : الشابي شاعر الحب والحياة . ومع ذلك فإنه فى هذا الكتاب - الشابي شاعر الحب والحياة - يؤكد ليمانه بكل ماورد فى الكتاب الأول - شاعران معاصران : " إن هذا الكتاب " الشابي شاعر الحب والحياة " كتاب جديد لا يشبه دراسة الشابي فى " شاعران معاصران " ولكن لا يبطئها " (١) فأنه يريد أن يرفع اللبس الذى قد يحدث عندما يقرأ قارئ هذا الكتاب فيعتقد بأن الدكتور عمر فروخ أراد أن ينسخ ما قاله عن الشابي فى " كتاب شاعران معاصران " فألف هذا الكتاب " الشابي شاعر الحب والحياة " لذلك ذكر بأن كتاب " الشابي شاعر الحب والحياة " لا يبطل أبداً ما جاء فى " شاعران معاصران " .

وحياة الشابي على قصرها كانت كافية لأن تجعل الآراء تختلف والمناقشات تحتدم بين الأدباء والنقاد حول حياة هذا الشاعر ومرضه وحتى شعره فنجد النقاد قد انقسموا إلى فريقين متضادين : فريق يرى أن القضايا الوطنية التى تطرق لها الشابي فى شعره وآراءه النقدية لما يحدث فى بلده كانت تشتمل على مبادئ هدامة ، وليس فيها إلا التأفف من أهل تونس والنقمة عليهم وعلى البشر أجمعين .

وفريق آخر يرى عكس ذلك تماماً، فيرى أن الشابي قد تبني قضايا وطنه تونس فى شعره فهو صاحب رسالة نبيلة ، والدكتور عمر فروخ من أصحاب الفريق الأول " أنا أرى أن الشابي كان ناقداً هداماً لاناقدّاً صاحب رسالة ، والحليوي يخطئنى فى ذلك ... " (٢)

(١) الشابي شاعر الحب والحياة د . عمر فروخ ط ٣ دار العلم للملايين بيروت ص ١٩٨٠م

ص (٨)

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ص ٤٣

وعلى كل لا أستطيع أن أجزم ولا أجد غيرى - فيما أرى - بأن الشابي كان ناقدًا هدامًا ناقمًا على أهل تونس في كل الأحوال ، ولأنه شاعر تبنى قضايا وطنه وأراؤه جميعها كانت نبيلة ، فالإنسان عادة تكون أراؤه بحسب الوضع الذى يعيشه والحالة النفسية له في فترات حياته، فقد يكون له رأى في أمر ما يخالف غيره ولكل وجهة نظر - أما أن نطلق على شاعر كالشابي بأنه كان ناقدًا هدامًا فهذا فيه شيء من الاجحاف بحق الشاعر.

كما اختلفوا في مرضه فمنهم من يذكر داء السل ، ومنهم من يذكر تضخم القلب " ولم أرجح السل أو تضخم القلب ، لأننى مؤرخ ولست طبيباً ولكن لما وصل أحد الدارسين من سجل المستشفى إلى أن الفحص الطبى قد ذكر العلة مرضاً فى القلب لم يبق فى وسع الدارس والمؤرخ إلا أن يقولوا بما ذكر الطب " (١) وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم كرو فى كتابه "الشابي حياته وشعره" ما يؤكد بأنه أصيب بداء تضخم القلب " فأصيب بداء تضخم القلب الذى عانى منه أشد أنواع المرارة وأقسى ضروب العذاب وعرض نفسه على كل طبيب أخصائى بتونس " (٢)

ومن مذكراته أيضاً التى كتبها قبل وفاته نستطيع أن نستشعر الداء الذى أصابه " ها هنا صبية يلعبون بين الحقول ، وهناك طائفة من الشبان الزيتونى والمدرسة - يرتاضون فى الهواء الطلق ، والسهل الجميل ، ومن لى بأن أكون مثلهم ؟ أنى لى ذلك ، والطبيب يحذر على ذلك لأن بقلبي ضعفاً ! آه ! يا قلبي ! أنت مبعث الآلمى

(١) الشابي شاعر الحب والحياة ص ٤٣

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة لأبى القاسم كرو ط جديدة الدار العربية للكتاب

ومستودع أحزاني ، وأنت ظلمة الأسى التي تغطي على حياتي المعنوية والخارجية^(١)
فلنسلم إذن بأن علته كانت في قلبه ، وأنه توفي متأثراً بداء تضخم القلب .

واختلفوا أيضاً في غزله ومحباته، فيرى الدكتور عمر فروخ " أن أبا القاسم
الشابي كان بائساً في حياته الزوجية ومع العلم بأن نفرّاً من أصدقاء الشابي يقولون
بأن الرجل كان سعيداً ، فإن غيرهم يرى غير ذلك ، ثم إن جميع القرائن تدل على
زواج أبي القاسم الشابي كان كارثه جسمانية ونفسانية معا وليس من المعقول أن يكون
الإنسان سعيداً في زواجه ثم يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء " (٢)

فكيف استطاع الدكتور عمر فروخ أن يقطع بأن الشابي كان بائساً في حياته الزوجية؟
والاستاذ أبو القاسم كرو يقطع بأن الشابي كان سعيداً في زواجه إذ يقول : " ولم يطل
سخط الشاعر كثيراً فقد أقدم على الزواج - الذي كانت خطوبته قد تمت في حياة الوالد
وبإشارة منه - فكانت حياة جديدة باسمه ، وعالمًا زاخرًا بالأفراح والأضواء والألحان كاد
الشابي ينسى في غمراتها أباه . . . ويألف المرح والسرور بدل الآلام والأحزان :-

ما كنتُ أحسب بعد موتكِ يا أبى .. *

** - ومشاعري عمياء بالأحزان

أنى سأظلم للحياة ، واحتسبى .. *

** من كأسها المتوهج النشوان

وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافق .. *

** للحب والأفراح والألحان

(١) الشابي ، حياته وشعره لأبي القاسم كرو ص ٥٤ ط جديدة الدار العربية للكتاب ١٩٨٤ .

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ، د . عمر فروخ ص ٥٤

ولكل ما فى الكون من صور المنى **
وغرائب الأهواء والأشجان **
حتى تحركت السنون ، وأقبلت **
فتن الحياة بسحرها الفتان **
ولذا التشاؤم بالحياة ورفضها **
ضرب من البهتان والهديان **

ولم تدم طويلاً عبودية الشاعر للحياة وأفراحه معها ، فإن المرض ما لبث أن عاود زحفه على قلبه الكبير ، وطفق ينغص عليه أيامه ولياليه ولا يتركه للراحة أياماً إلا ليعود أشد وأقوى مما كان ، حتى أودى به فى ريعان الصبا وربيع الشباب" (١)

فالشاعر لم تكن حياته نغصة لأنه لا يريد زوجته ولا يحبها وإنما لتكالب الألم والمرض عليه ، فنظراً للسعادة التى كان يعيشها بعد زواجه كاد ينسى والده الحبيب فى غمره هذا الفرح وهذه السعادة .

وأنا لست مع الدكتور فروخ فى قوله بأن زواج الشابي كان كارثة جسمانية ونفسانية معاً خاصة وأنه ليس لدينا ما يثبت بأن الشابي كان لا يحب زوجته أما قوله - الدكتور فروخ - وليس من المعقول أن يكون الانسان سعيداً فى زواجه ثم يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء " فلي أن أقول فيه : إن الشاعر انسان مرهف الحس فأدنى موقف يراه أو يشعر به يجعله يراه عظيماً فينسب شعره عذياً جميلاً فيه وذلك ما أقرره حول قصيدته " صلوات فى هيكल الحب " من أنه رفع هذه الصلوات إلى فتاة انكليزية رآها تلتقط بعض الصور لمدينة (توزر) فراعها جمالها وأسرتها رشاقتها فرفع إليها هذه الصلوات

(١) الشابي ، حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٧٧، ٧٨ ط جديدة الدار العربية للكتاب .

وليس من الضروري أن يكون قد شغف بها حباً كما أنه ليس لدينا ما يثبت بأنه اتصل بها أو كان بينهما علاقة وإنما فتنه ذلك الجمال فجاشت قريحته الشعرية بتلك الأحاسيس وحقيقة أنني لا أعلم - بعد قراءتي حول هذه الشخصية - لأبي القاسم الشابي محبوبات قال فيهن شعره كما علمت من قراءتي لإبراهيم طوقان، ومع ذلك - للأسف - يؤكد الدكتور عمر فروخ بأن غزل إبراهيم كان عفيفاً، وأنه كان سعيداً في زواجه، في حين يؤكد أيضاً بأن الشابي كان يحب حباً مادياً ويتسقط الهوى في كل مكان ، وأن زواجه لم يكن سعيداً أبداً .

فيقول في غزل إبراهيم طوقان " وغزل إبراهيم عفيف ، وأكثره نسيب فيه ذكر للإيام الماضية وتشوق إلى المحبوبة ، كما أن فيه تحليلاً بارعاً لنفسه في تلك الميادين ، ولكن له أيضاً مقطوعات عليها نغمة من الصراخ والجرأة " (١) ويذكر أيضاً أن إبراهيم طوقان أحب وهو طالب في الجامعة الأمريكية فتاة فلسطينية من كفر كنه قال فيها كثيراً من شعره إذ يقول : " وفي الجامعة الأمريكية تفتح قلب إبراهيم للهوى ثم شغله فتاة واحدة عن كل فتاة أخرى تلك كانت فتاة من الناصرة أو من قرية قرب الناصرة اسمها " كفر كنه " (وادي الرمان) في فلسطين ، جاءت هذه الفتاة إلى الجامعة الأمريكية ومكثت فيها سنة واحدة (١٩٢٥ - ١٩٢٦) ألقت في خلالها شباك هواها على كثيرين ثم وقعت في هوى إبراهيم . . . إلى أن يقول : تلك كانت (م.ص.) التي نظم إبراهيم فيها معظم قصائده في الغزل ، ولما تركت م . ص " الجامعة استمرت صلتها بإبراهيم مدة طويلة آنذاك " (٢)

(١) شاعران معاصران إبراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي ط ١٩٥٤،٥ م

منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها - بيروت ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٣٢

ويقول عنها في ص ٩٢ من نفس الكتاب أيضا " على أن هذه الفتاة، التي أوحى إليّ ابراهيم فنون الغزل لم تسد على قلبه سبل الهوى فلقد أحب ابراهيم بضع مرات بعد ذلك " كما أحب ابراهيم راقصه أسبانيه من اشبيلية تدعى مرغيتا " وشغف ابراهيم بمرغيتا الحسناء وبمرغيتا الراقصه معاً فأوحى إليه ألوانا جديدة من الغزل، وأوحى إليه رقصها مشاهد نظمها شعراً جميلاً جديداً " (١)

ومن اللواتى وجدن سبيلاً إلى قلب ابراهيم فتاة مسلمة يسميها فوز كان يلقاها في غدوه ورواحه ثلاث مرات كل يوم " (٢) " وكذلك فتن ابراهيم بمرضة روسية يبدو أنها كانت في نابلس في عيادة أجد الأطباء وكان ابراهيم يتردد على ذلك الطبيب ليصير حقه بإبر تتعلق محتوياتها بمرض القرحة في المعدة ، والظاهر من المقطوعة أن هذه الممرضة الروسية هي التي كانت تتولى أمر حقه بتلك الإبر ، قال ابراهيم يتشوق إلى تلك الممرضة ويبثها شكواه :- (٣)

يا حلوة العينين يا قاسية * * * سرعان ما أصبحت لي ناسية

أما أنا فلست أنسى يوماً * * * ناعمة تجنود بالعافية

لئن شفى الطب ضنى عارضاً * * * فمهجتى أنت لها شافية

هذا إلى جانب مجونه " وفي عام ١٩٣٣ م وعام ١٩٣٤ . نظم ابراهيم كثيراً من المجون مما ينطوى على صور شعرية صحيحة ، ولكن لا يصح اثبات شيء منها في هذه الدراسة " (٤)

(١) شاعران معاصران ط ١٩٥٤/٥ م منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها - بيروت ص ٩٢/٩٣

(٢) المصدر السابق ص ٩٢، ٩٨

(٣) المصدر السابق ص ٩٨

(٤) المصدر السابق ص ١٠٢

ومن عزله الماجن الذى يذكره الدكتور عمر فروخ :-

لم ألق بين لياليّ التى سلفت * * كليله بتها فى دير قديس
ضمتُ حسناء لم يُخلَقْ لها مثلٌ * * بين الحسان ولا حور الفراديس
ما عرش بلقيس فى إبان دولتها * * ولا سليمان مزفوفاً لبلقيس
يوماً بأعظم منّا فى السرير وقد * * دام العناق إلى قرع النواقيس

أبعد هذا الشعر يمكن لنا القول بأن ابراهيم كان شاعراً عفيفاً ؟ ! فإنى أرى أن فى قول الدكتور عمر فروخ " وغزل ابراهيم عفيف " تحيز وميل ومحاباة، فلا يمكن أن نطاق على شاعر يقول ما قاله ابراهيم طوقان فى الأبيات السابقة شاعراً عفيفاً ، علاوة على أن لـه شعراً آخر أكثر مجوناً من الذى ذكر قبل سابقاً ولكن لم يذكره الدكتور عمر فروخ لأنه لا يصح أن يذكره فى دراسته هذه " نظم ابراهيم كثيراً من المجون مما ينطوى على صور شعرية صحيحة ، ولكن لا يصح اثبات شئ منها فى هذه الدراسة " ولا أدري ما يقصد الدكتور فروخ بقوله " مما ينطوى على صور شعرية صحيحة " وإن كان الظاهر يوحي بأن هذا الشعر الماجن الذى يذكره ابراهيم يصور لنا شيئاً من واقع حياة ابراهيم ، ومادام شاعرنا - كما يقول الدكتور فروخ - سعيداً فى حياته الزوجية لم كل هذه المغامرات والعلاقات المشبوهة والشعر الماجن ؟ !

ومجمل القول إن اتهامه للشابى بأن حبه كان مادياً وأنه يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء فيه تزيد ، ووصفه لشعر ابراهيم بالعنفه فيه تحيز . أما بالنسبة لحياتها الزوجية فلا يمكن الجزم بأن الشابى كان بائساً فى زواجه خاصة بعد قراءة تلك القصيدة التى أثبتتها أبو القاسم كرو فى كتابه الشابى - حياته وشعره ، والتى قالها بعد وفاة أبيه، وهى تعكس أماناً نفساً هائئاً سعيدة بزواجها

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى * * ومشاعرى عمياء بالأحزان
أنى سأظمأ للحياة واحتسبى * * من كأسها المتوهج النشوان
ولكن لا بد للانسان أن تمر عليه لحظات الفرح ولحظات الترح، لاسيما إذا كان هذا
الانسان مريضاً بداء عضال مثل أبى القاسم الشابى ، كما أنه لا يمكن لى بأن أجزم بأن
ابراهيم طوقان كان سعيداً هائئاً فى زواجه فالعلاقات الاجتماعية بصفة عامة والزوجية
خاصة لا يمكن الجزم والتأكيد على نوعيتها ممن لا يعيشونها .

* * * * *

(١) شاعران معاصران ص ١٠٢ ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابى ط ٥ ، ١٩٥٤
منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها - بيروت .

ثانياً : الخصائص الفنية لأعمالهما :

أ - خصائص أعمال ابراهيم طوقان الفنية :

ذكر الدكتور عمر فروخ في كتابه " شاعران معاصران " الخصائص الفنية لكلا الشاعريين فقال عن شعر ابراهيم : " وشعر ابراهيم متفاوت جداً في خصائصه اللغوية وخصائصه المعنوية ... أما تحليل هذا التفاوت في شعر ابراهيم فيسير " إن ابراهيم شاعر وجداني - في صف عمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نواس وابن الرومي وأبي فراس - والشاعر الوجداني لا يجيد إلا إذا انفعلت نفسه انفعالاً شديداً ، أما إذا (أراد) أن ينظم فإنه يبطئ في نظمه كثيراً ويتعثر ثم لا يرضى بعد ذلك كثيراً مما تأتى به قريحته ، وكذلك كان ابراهيم " (١)

وأنا لا أنكر شاعرية ابراهيم طوقان ، ولكني أنكر التماس الدكتور عمر فروخ الاعتذار له في كل شيء حتى في شعره فقد رأيناه في الصفحات السابقه يمجّد ابراهيم طوقان ويثني على آله ومحتده ويجعل غزله عفيفاً ... وعند الحديث عن خصائص شعره لا يريد مؤلفنا القدير أن يسلم بأن ابراهيم طوقان أحد الشعراء المجيدين كغيره من الشعراء وأن هناك شعراء كثيرون من جيله أرقى منه شعراً ، بل إنه يحاول أن يرفعه عليهم ويتمحل للاعتذار عن سقطاته وضعفه .

وفي حديثه عن التفاوت وعدم الاتزان اللغوي لدى ابراهيم يقول : " وهنالك تفاوت لغوي في شعر ابراهيم .. غير أن التفاوت في لغة ابراهيم كان تابعاً للتفاوت في خصائصه المعنوية ، فحيث اتسقت لغته مع وجدانه كانت لغة قوية أما إذا

(١) شاعران معاصران ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي ط ٥ ، ١٩٥٤ منشورات

جانب طبيعه في النظم فإن لغته كانت تترك أحياناً " (١) وهذا ما يفسر انصرافه أثناء النظم عن مناسبة من المناسبات الاجتماعية فإذا ما اضطُر إلى ذلك فإنه ينصرف عن تلك المناسبة إلى موضوع عام وما ذلك إلا لأنه لم يفعل مع ما يقول وبما أنه شاعر وجداني فإنه لا يحب أن ينظم الشعر مجاملة أو ارضاء لفئة من الناس وإنما كان ينظمه ليرضى ميوله ورغباته ووجدانه " وإذا أراد ابراهيم أن ينظم في مناسبة أو إذا اضطُر إلى النظم فيها فإنه ينصرف عن تلك المناسبة إلى موضوع عام في الأدب أو الوطنية أو الأخلاق والتاريخ ، لما رثى ابراهيم موسى كاظم باشا الحسيني قال له أحدهم : " أراك اتكأت على الرجل ثم انصرفت عنه إلى بحث آخر " (٢)

فإن ابراهيم طوقان كغيره من الشعراء الوجدانيين الذين لا يجيدون إلا إذا انفعلوا ولا يبدعون إلا إذا تأثروا ، وقولي هذا لا يناقض ما ذكرته قبل سطور قليلة من أن هناك شعراء من جيل ابراهيم أرقى منه شعراً .

وأهم ما قاله الدكتور فروخ في خصائص ابراهيم الفنية " والشعر الجيد عند ابراهيم يجب أن يقترب بخصائصه اللفظية من النثر أو هو كما قال ابراهيم : " عبارات نثرية " اتفق أن تقع موزونة ، يقول الدكتور فروخ :- أريد أن أقول أو أن أصنع تعريفاً للشعر السهل الممتنع فلم أجد أحسن من تعريفه بعبارات نثرية موزونة لا أشر لكد خاطر عليها بل اتفق لها هي ولم يتفق لك أنت أن تكون موزونة " فكأنما هي دعوة للشعر الحر أو " المنثور " وما نلاحظه أن الدكتور عمر فروخ يوافق ابراهيم طوقان في أن الشعر الجيد لا بد أن يقترب بخصائصه اللفظية من النثر والاقتراب بالخصائص اللفظية من النثر

(١) شاعران معاصران ، ص ٧١

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٩

يعنى التحرر من عمود الشعر العربى وهذا المسلك سلكه كثير من شعراء العصر الحديث أمثال : نازك الملائكة وعبد الوهاب البياتى ، ايليا أبو ماضى ، وبدر شاكر السياب ، وجبران خليل جبران . . . خاصته أولئك الذين تأثروا بالثقافة الغربية التى جعلتهم يربطون جودة الشعر بالابتعاد عن عمود الشعر العربى بدعوى أنه يجعل الشكل يطغى على المضمون كما تدعى ذلك نازك الملائكة فى كتابها " قضايا الشعر المعاصر حيث تقول : " إن الشاعر الحديث يرفض أن يقسم عباراته تقسيماً يراعى نظام الشطر ، وإنما يريد أن يمنح السطوة المتحركة للمعاني التى يعبر عنها ونظام الشطر — كما سبق أن قلنا متسلط يريد أن يضحى الشاعر بالتعبير من أجل شكل معين من الوزن والقافية الموحدة مستبد به لأنها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه فى البحث عن عبارات تنسجم مع قافية معينة ينبغى استعمالها ، ومن ثم فإن الأسلوب القديم عروضى الاتجاه يفضل سلامة الشكل على صدق التعبير وكفاءة الانفعالات ويتمسك بالقافية الموحدة ولو على حساب الصور والمعاني التى تملأ نفس الشاعر ، وكل هذا ايثار للأشكال على المضمونات بينما يريد العصر أن يشغل بالحياه نفسها وأن تبدع فيها أنماط تستنفذ طاقته الفكرية والشعورية الزاخرة ان كل ميل الى تحكيم الشكل فى المعنى يغيظ الشاعر المعاصر ويتحداه ، وهذا هو السبب فى مانراه من مبالغه بعض الناشئين فى استعمال الأوزان الحرة حتى كادوا ينبذون الأوزان القديمه نبذاً تاماً" (١)

وأنا فى هذه الدراسة لأعرض لتفصيل هذه القضية ولكن يكفى أن أسأل ألا نرى مضموناً فى قول امرئ القيس وهو يصف الأمطار والسيول التى نزلت بقومه بنى أسد بالقرب من تيماء فى شمال الحجاز . (٢)

(١) قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة ص ٦٣

(٢) شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوي ط ٧ ، المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان ص ١٥٦

أصاح ترى برقاً أريك وميضه * * * كلمع اليدين في حبي مكلل
يضئ سناه أو مصابيح راهب * * * أهان السليط في الذبال المقتل
فعدت له وصحبتني بين ضارج * * * وبين العذيب بعد ما يتألمي
وأضحى يسح الماء عن كل فيقه * * * يكب على الأذقان دوح الكنهبل
كأن مكايي الجواء عذبة * * * صبحن سلافاً من رحيق مفلفل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة * * * ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

(١) وفي قول ابن الرومي : -

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي * * * بجودا فقد أودى نظير كما عندي

(٢) وفي قول أبي العلاء المعري وهو يرثي فقيهاً - صديقاً - حنفياً : -

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي * * * نوحُ باكٍ لا ترنمُ شادي
وشبيه صوت النعى إذا قي - * * * س بصوت البشير من كل نادي

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد ؟ !

صاح ، هذى قبورنا تملأ الرح - * * * تب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ، ما ظن أديم الد - * * * أرضٍ إلا من هذه الأجساد

ومن المهم أن نعلم أيضاً من خصائص ابراهيم الفنية عدم ميله إلى الصنعة
اللفظية " ولم يكن ابراهيم يحب الصنعة لا يحب أن يقرأ الأدب المثقل بالصناعة
ولا ينظم شعراً فيه مثل ذلك " فكان لا يميل إلى قراءة الأدب العربي القديم المشتمل على

(١) ديوان ابن الرومي ، شرح الشيخ محمد شريف سليم ج ٢ دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان .

(٢) شروح سقط الزند - السفر الثاني - القسم الثالث - المجلد الثالث ، المكتبة العربية

الصناعات اللفظية كالمقامات والرسائل المرصعة بالسجع والبديع وهذا يجعلنى أشعر بأن ابراهيميحب " الفكرة البسيطة " ^(١) كما يقرر الدكتور فروخ فلا يجهد نفسه بالبحث عن ألفاظ بديعية يرصع بها شعره ولا عبارات معقدة يوشى بها نظمه فمن ذلك قوله (٢) فى نكبة فلسطين :-

أهل المودة والـولاء	**	أخواننا أهل الوفاء
به ذى ازدهار وازدهاء	**	من كل قطر بالعـرو
عنا بظا هرة الثراء	**	أحبابنا لاتخدعوا
غير مهدٍ للشفتاء	**	ليست فلسطينُ الرخيصةُ

فهو لا يتعمق فى المعانى ولا يغوص فى أسرارها وإنما يتناول الكلمات الظاهرية ولا يريد أكثر مما يعنى ظاهراً ، فهو لا يميل إلى التورية ولا يوغل فى الاستعارات والمجازات وهذا ما لمستة عند قراءتى لمعظم شعره .

وفى نظرى أن هذا الأمر ليس ميزة فى الشاعر بقدر ما هو مأخذ عليه إذا تمادى فى البساطه والسهوله ولم يترك للقارىء فرصه التفكير والانطلاق والتحليل الأدبى لشعره ..

أما أغراضه الشعرية : فكانت شاملة تقريباً فقد نظم فى الغزل والمجون والسياسه والأحوال الاجتماعية والثناء والمدح . فشعره الوطنى والسياسى كان مرآة واضحة للحال التى كان يعيشها الشعب الفلسطينى فى تلك الفترة لدرجة أنه تنبأ بما سيؤول له الوضع

(١) شاعران معاصران ص ٢٨

(٢) المصدر السابق ص ١١٥

السياسي والاقتصادي والاجتماعي في فلسطين إذا استمر الحال على ما هو عليه (١) من أجل ذلك لأظنك تعجب إذا قلت لك ان ابراهيم كان جازعاً من المصير الذي كان ينتظر عرب فلسطين ، وإن ما حدث عام ١٩٤٨ م كان ابراهيم يراه بوضوح قبل خمسة عشر عاماً وقبل عشرين عاماً ، قال (١٩٣٥ هـ) :- (٢)

أماك ، أيها العربي —	تشيب لهول سود النواصي	**
وأنت - كما عهدتك - لا تبالى	بغير مظاهر العبث الرخاص	**
مصيرك بات يلمسه الأذنانى	وسار حديثه بين الأقاصى	**
فلا رجب القصور غداً ببقاى	لساكنها ولا ضيق الخصاص	**

بالفعل كان ابراهيم طوقان صاحب نظرة مستقبلية ثابتة من خلال تنبئه بما سيحدث في فلسطين ومحاولته اصلاح الشعب وابقاظه مما فيه من سبات وانجراف خلف الأموال التي لا بد وأنها ستزول في يوم من الأيام فما يعطوه اليهود للفلسطينيين بيد يأخذونه باليد الأخرى ، وذلك ما ذكره ابراهيم طوقان في كثير من شعره لدرجه أنه لم يترك جانباً سياسياً ولا تعرض له في شعره .

ويقول الدكتور كامل السوافيرى في شعر ابراهيم السياسى : " ويقف ابراهيم طوقان فى الشعر السياسى على رأس الشعراء الفلسطينيين إذ لم يترك جانباً سياسياً دون أن يخوض فيه وحتى فى قصائده فى الرثاء لم يكن يتناول المرثى إلا فى أبيات - لاتزيد على أصابع اليدين - ينتقل بعدها إلى الموضوعات السياسية " (٣) أما موضوعاته الاجتماعية فمنها - " الدعوة إلى التضامن والإخاء ونبذ الخلاف وتناسى الخصومة وتوحيد الجهود ، والممرضات

(١) بيع الأراضى الفلسطينيه لليهود بأسعار باهظه ولكن .

(٢) شاعران معاصران ص ١١٤

(٣) الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ط ١ ، ٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م مكتبة الانجلو المصرية القايره ص ١١٠

وعطفهن في قصيدته " ملائكة الرحمة " ومنها الثورة على المرجفين والبائسين من تحقيق الأهداف الوطنية ولقد حارب ابراهيم الضعف والوهن والتشاؤم وفتح مناقذ التفاؤل واشراق الأمل في النفوس وحث الشباب المجاهد أمل البلاد وحثا فيه التزود بالعلم والتسلح بالخلق وحب العمل " (١)

فمرض ابراهيم طوقان لم يشغله عن قضايا وطنه وشعبه بل كان متحمساً جداً لأن يوضح للشعب الفلسطيني من خلال شعره نوايا اليهود وأغراضهم الدنيئة وخططهم الاجرامية فقد تبني ابراهيم ذلك كله وكثيراً ما وقف في المناسبات الاجتماعية داعياً شعبه بأن لا يُغَرَّو بما ينادونه من أسعار مرتفعة عند بيعهم أراضيهم لليهود وحثاً الشباب على النهوض والعمل والمثابرة وعدم التقاعس والتشاؤم ومشيداً بالأبطال الذين وهبوا أرواحهم رخيصة من أجل الوطن ، وهذا كله يضاف إلى جهوده في الساحة الأدبية ولكن لا يمنع ذلك من وضع ابراهيم في موضعه دون مبالغة ولا محاباة في ترفيعه واعلاء مكانته الشعرية من حيث الخصائص الأسلوبية ، وذلك ما لمستته في كتاب الدكتور عمر فروخ شاعران معاصران " إذ أخذ الدكتور فروخ يمجّد ابراهيم طوقان من جميع النواحي الاجتماعية والأخلاقية والشعرية مع أنه - في نظري - شاعر جيد كغيره من الشعراء ألفاظه سهلة ومعانيه واضحة إلى جانب أن له غزل ماجن كثير مما يدل على أن سلوكه كان مشبوهاً إلا أن معانيه في شعره القومي والوطني والاجتماعي كانت جيدة .

(١) الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ط ١ ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م مكتبة الانجلو

ب - خصائص أعمال الشابي الفنية :-

يعرض الدكتور عمر فروخ خصائص أبي القاسم الشابي الفنية من خلال كتابه " شاعران معاصران " و " الشابي شاعر الحب والحياة " وان كان الكتاب الأول - شاعران معاصران - لا يحتوى على كثير من خصائص الشاعر الفنية نظرا لأن المؤلف خص القسم الأكبر من هذا الكتاب بالشاعر ابراهيم طوقان .

أما كتابه " الشابي شاعر الحب والحياة " فانه يتناول حياة الشاعر ومرضه وشعره وخصائصه والآراء التي قيلت فيه بشيء من الاسهاب ، فهو يذكر في خصائص الشابي " جرى الشابي في شعره على أسلوبين : أسلوب فخم متين النسيج جاء به في طوره الأول في الأكثر وخص به قصائده في الحكمة والرثاء والفخر ، ثم أسلوب لين سلس جاء به في القصائد التي طواها على أغراضه الوجدانية والخيالية " (١)

كما أثبت في كتابه أن الشابي شاعر وجداني خيالي التفكيررومانسي المذهب " الشابي خيالي التفكير خيالي التعبير يبحث عن مثل أعلى من صنع هذا الخيال فلا يجده في العالم الذي يعيش فيه فينقلب شاكيا باكيا ثم تصطبغ آرؤه وتعابير به بالأسى والحزن والكآبة والوجوم " (٢) ومن ذلك قوله في قصيدة نشيد الأسى " (٣)

فإنني أبداً كئيب	**	مهما تضحكت الحياة
به ، والكآبة لاتجيب	**	أصغى لأوجاع الكآ
وى ويعتليج النحيب	**	في مهجتي تتأمر البلـ
وتجيش أمواج الكـروب	**	ويضح جبار الأسى

(٢،١) الشابي شاعر الحب والحياة ط ٣ دار العلم للملايين ١٩٨٠ م ص ١٢٩ ، ١٩٧٠

(٣) ديوان أبي القاسم الشابي دار العودة بيروت ١٩٨٨ م ص ٢٠٨

لأني أنيا الروح الذى * *

ويعيش مضطجعاً بأحـ * *

وما كل ذلك الحزن والأسى - في رأيي إلا لأن الشاعر يعاني مرضاً عضالاً ينذر
بقرب نهايته فليس سهلاً على الانسان أن يرى نفسه وشبابه يموت أمام عينيـه
رويداً رويداً دون أن يستطيع فعل شئء فلا بد أن يترك ذلك الأمر أثراً كبيراً عليه لاسيما
إذا كان شاعراً وشاعراً وجدانياً .

أما أغراضه ومعانيه فيقول فيها الدكتور عمر فروخ : " أغراض الشابي محدودة فـى
نطاقها فهى تدور فى الوجدانيات وما يتبعها من التأمل فى الحياة وكان الشابي منذ
طوره الأول قد قال إنه عازف عن الفنون المألوفة التقليدية مكتفٍ بما يعبر فيه عن
شعوره . . ولقد وفى الشابي بـما شرط على نفسه فى ذلك فاذا أغراضه الدائرة فى ديوانه
التأمل فى الحياة الطبيعية (الغابه ، العصفور ، الزنبقة ، الخريف ، المساء)
وفى الحياة الاجتماعيه (السياسية والوطنية والحياة الأدبية) وفى الحياة الماورائية
(الله ، الموت) ثم الموضوعات الوجدانية (رثاء أبيه ، المجد) والموضوعات
الإنسانية (الكآبه ، الشعر ، الأمومه والطفولة ثم الغزل والحب " (١)

فهذه هى أغراضه ومعانيه التى التزم بها فلم يكن شاعر تكسب ولم يجعل من الشعر
مهنة يرتزق بها إلى جانب أنه ابتعد عن العمل الحكومى وهو فى أمس الحاجة إليه لأنه
لا يريد أن يربط فكره بآراء الدولة أو الفئة التى يعمل معها، وقد تأثر الشابي بالأدب
المهجرى لكثرة مطالعته لهذا الأدب " إن أثر الأدب المهجرى فى تفكير الشابي
وأدبه يكاد يفوق أى عامل سواه ويعود ذلك إلى سـنـي

(١) الشابي شاعر الحب والحياة ص ٢٠١

الدراسة الأولى حيث عرف عن الشابي أنه كان يُكثر من قراءة الأدب المهجري وحفظ أشعاره وليس من شك في أن النفس البشرية تتأثر أشد ما تتأثر في طفولتها فترسم فيها كل صورة من صور الوجدان والفكر ، وكل طبع من طبائع السلوك والأخلاق ، والشابي كان عند مطالعته لكتب الأدب المهجري دون الخامسة عشرة من عمره وهى سن جد خطيرة في التفكير والسلوك والعادات " (١) فقد كان معجباً بالشاعر المهجري جبران خليل جبران ، ويذكر الدكتور عمر فروخ أن الشابي كان أشعر من الذين قلدهم " فالشابي شاعراً خيراً من جبران بلا ريب ولعله في قصائده المختارة يتقدم أيضاً على أبى ماضى " (٢)

ويذكر من خصائص الشابي التي تعييه - في رأيه - تناول الموضوع من جميع أطرافه بجميع ظلاله إلى حد التكرار الممل حيث يقول : " فمن خصائص الشابي تناول الموضوع من جميع أطرافه بجميع ظلاله ما أمكن ، إلى حد التكرار الممل ، يتكلم الشابي عن شعره مثلاً فيقول :- (٣)

فيك ما في عوالمى من ظلام	***	سرمدى ومن صباح وليد
فيك ما في عوالمى من نجوم	***	ضاحكات خلف الغمام الشرود
فيك ما في طفولتى من سلام	***	وابتسام وغبطة وسعود
أنت ياشعر قصة من حياتى	***	أنت ياشعر صورة من وجودى

وقد نظم الدكتور فروخ أبياتاً يعارض فيها الشابي ليدلل على أن كثيراً مما نظم الشابي وأبناء مذهبه ليس شيئاً وراء الطاقة البشرية العادية ، وفي رأى أن هذا الشعر لا يعيب الشابي أو يحط من عبقريته الشعرية فليس في مقدور كثير من الشعراء الاحاطة

(١) الشابي حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٩٧ ط جديدة الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م

(٢، ٣) الشابي شاعر الحب والحياة ط ٣ دار العلم للملايين ص ١٣٠ ، ٢٠١ .

بالفكرة التي يتناولونها وكثيراً ما نجد سطحية وبعداً عن الموضوعية في كثير من شعـر الشعراء وأعتقد أن ما يقدم شاعراً على آخر قدرته على الغوص في موضوعه ورسم صورة دقيقة لكل جزئياته . ومع ذلك فهناك من أعلام الشعر الذين طبقت شهرتهم الآفاق كان لهم من بساطة التعبير ما لم ينل منهم أو يقلل من مكانتهم فبشار بن برد مثلاً يداعب جاريته في أسلوب سهل واضح لاغموض فيه ولا التواء فيقول :

ربابة ربة البيـت	***	تصبُ الخلُ في الزيت
لها عشرٌ دجاجاتٍ	***	وديكٌ حسنُ الصوتِ

فهذا الشعر ليس وراء الطاقة البشرية العادية وإنما هو شعر سهل ميسور، كما يعيب الدكتور عمر فروخ على الشابي نقمته على عمود الشعر ويتهمه بالنقمة على الحياة العربية الأصيلة وتجنب الألفاظ الإسلامية . . فيقول " والشابي كأمثاله من الناقمين على عمود الشعر العربي وعلى الحياة العربية الأصيلة أراد أن يتجنب الألفاظ الإسلامية النفحة العربية الملامح ليتبدل بها ألفاظاً وثنية الأصل عامية الاستعمال خاصة في طوره المتأخر " (١)

وقد أسفت كثيراً لهذا النقد اللاذع الذي وجهه الدكتور عمر فروخ للشابي وهذه الاتهامات الخطيرة مما يشعر من يقرأها بأنه أمام شاعر متهم في دينه وخلقه وفكره فما الذي يجعلنا نسيء الظن بأخلاق الرجل ومعتقدده وليس هناك ما يدل على أنه كان وثنياً أو غير حافل بالدين ، بل على العكس نجده يصوم رمضان رغم مرضه ورغم رخصة الدين لمن لا يستطيع الصيام في رمضان فقد قال الله تعالى " يأيها الذين آمنوا كتبَ عليكم الصيامُ كما كتبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدوداتٍ فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ

(١) الشابي شاعر الحب والحياة ط ٣ دار العلم للملايين ض. ١٨٠

فعدة من أيام آخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خير فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون " (١)

كما أن الدكتور عمر فروخ يثبت صومه في رمضان بقوله : " وكذلك لم يرع حق جسده فكان يصوم رمضان ويتناول سحوراً دسماً يحتاج إلى تسخين " (٢) ويذكر حادثه له في ليلة من ليالي رمضان مع أخ زوجته عندما طلب منه أن يسخن السحور " (٣) فما دام الشاعر يصوم رمضان رغم مرضه لانستطيع أن نقول عنه أنه غير حافل بالدين ، كذلك من الأمور التي توضح لنا معتقد الشابي واحتفاله بالدين إيمانه بالقضاء والقدر وهذا أمر مهم فالإيمان بالقضاء والقدر من صفات المؤمن ، وما يدل على إيمانه بالقضاء والقدر قوله :-

مالي تعذبني الحياء * * ة كأنني خلق غريب
وإذا سألت : لم الوجو * * د وكله هم مذيـب
قالت : نواميس السماء * * قضت ، ومالك من هروب

فإيمانه بالقضاء والقدر واضح مما يدل على احتفاله بالدين وبتعاليمه .
أما نغمته على عمود الشعر العربي فإنها لم تكن جديدة ولم يكن هو مخترعها إذ نجد أن بعض الشعراء منذ أواخر العصر الأموي يأخذون في محاولات تخرج عن عمود الشعر العربي في أشعارهم ، وماكاد يطل العصر العباسي حتى وجدنا أن كثيراً من الشعراء صرحوا في أشعارهم نغمتهم على عمود الشعر العربي ، ومع ذلك ساروا عليه ، كذلك كان أبو القاسم الشابي لا يتقيد بعمود الشعر العربي دائماً ويدعو للتحرر منه نظراً

(١) سورة البقرة آيه (١٨٣ - ١٨٤) .

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة د . عمر فروخ ط ٣ دار العلم للملايين - بيروت ص ٢٨

(٣) راجع الحادثه في المصدر السابق ص ١٥٠ .

لتأثره بالأدب المهجري والأدب الغربي المترجم ، ومع ذلك نجده كثيراً ما يلتزم به
فمعظم شعره موزون مقفى .

ومن شعره الموزون المقفى قصيدته " أغنية الشاعر " :- (١)

ياربة الشعر والأحلام غينى	**	فقد سئمتُ وجومَ الكونِ من حينِ
إن الليالى اللواتى ضمخمت كبدى	**	بالسحر أضحت مع الأيام ترمينى
ناخت بنفسى مآسيها ، وما وجدت	**	قلباً عطوفاً يسليها ، فعزيتنى
وهدر من خلدى نوحٌ ، ترجعه	**	بلوى الحياة ، وأحزان المساكين
على الحياة أنا أبكى لشقوتها	**	فمن إذا متَّ يبكيها ويبكينى

وقصيدته " الأبد الصغير " :- (٢)

ياقلب ! كم فيك من دنيا محجة	**	كأنها حين يبدو فجرها " ارم "
ياقلب ! كم فيك من كون قدا تكدت	**	فيه الشמוש وعاشت فوقه الأمم
ياقلب ! كم فيك من أفق تنمقه	**	كواكب تتجلى ثم تنعدم
ياقلب كم من مسرات وأحيلة	**	ولذة يتحامى ظلها الألم
غنت لفجرك صوتاً حالماً ، فرحاً	**	نشوان ، ثم توارت ، وانقضى النغم

إلى غير ذلك من القصائد مثل : " الصيحة - الزنبقة الزاوية " ، غرفة من يم ، وقيدود
الأحلام ، إلى الطاغية (٣) أما خروجه عن عمود الشعر العربى فتح بعض
الأحيان لم يكن خروجاً متطرفاً داعياً إلى الشعر الحر بل كان خروجاً مترناً قريباً مما كان
قد انتهجه كثير من الشعراء منذ العصر العباسى ومروراً بالعصر الأندلسى

(١) ديوان الشايبى / دار العود بيروت ص ١٢٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢

(٣) راجع هذه القصائد فى ديوانه

(١)

كقصيدة "أكثر يا قلبي فماذا تروم" التي يقول فيها :-

يا قلبي الدامي ! إلَامَ الوجــــــــوم
يكفيك ! إن الحزن فظٌ غشــــــــوم
هذي كؤوسِي مُرَّة كالــــــــــــــــردى
مملؤها إلا عصير الهمــــــــــــــــوم
وذاك نابي صامــــــــــــــــتٌ واجــــــــــــــــم
يصغى إلى صوت الغرام القديم
يا قلبي الباكي إلَامَ البكــــــــــــــــا ؟
ما في فضاء الكون شيء يــــــــــــــــدوم
فانثر غبار الحزن فوق الدُجــــــــــــــــى
واسمع إلى صوت الشباب الرخيم

وأما نغمته على الحياة العربية الأصيلة كما يذكر الدكتور عمر فروخ فيمكن لي أن أقول حولها:-
إن نغمة الشابي لم تكن على الحياة العربية الأصيلة ، وإنما على الحياة بصفة عامــــــــــــــــة
وإن كان في بعض الأحيان ينغم على الحياة في بلده تونس وعلى الشعب التونسي ، وما ذلك
في رأيي - إلا لأن الشاعر عانى وطأة الاستعمار والاحتلال الأجنبي ، ورأى ما كان عليه
الشعب من النفاق أحياناً والجبن في أحيان أخرى ، فكان يحاول لإصلاح المجتمع من
خلال شعره ، وعندما يشعر أن صوته ونداءاته تذهب أدراج الرياح ينغم على هذا
المجتمع وعلى هذه الحياة لكن مما لاشك فيه أن الشابي كان يحب وطنه ويحاول إصلاحه

دائماً من خلال شعره ، ويتبين لنا مدى حبه لبلده تونس من قصيدته — :
" تونس الجميله :- (١)

لست أبكى لعسف ليل طويل * * أو لربع غدا العفاء مراحه
إنما عبرتني لحظب ثقیل * * قد عرانا ولم نجد من أراحه
كلما قام في البلاد خطيب * * موقظ شعبه يريد صلاحه
ألبسوا روحه قميص اضهاد * * فالك شائك يرد جماحه
إلى أن يقول :-

أنت ياتونس الجميلة فلى لج * * الهوى قد سبحت أى سباحه
شرعتي حبك العميق ، ولنى * * قد تذوقت مـره وقراحه
لست أنصاع للواحي ولومت وقامت على شبابى المناحه
لا أبالى . . . إن أريقت دماي * * فدماء العشاق دوماً مباحه

فالشابي شاعر محب لوطنه متفانى في هذا الحب لدرجة النقمة والتضجر من سوء أحوال الشعب وسوء تصرفاتهم التي قد تؤدي إلى ضياع تونسهم، وهذا ما يقرره الدكتور عمر فروخ عند قوله " لقد انصف الشابي بلده في شعره فلم يكتف بأن يصفه وصف ناقم أو راحم فقط ، بل كان يحث قومه على الرقي ويمنيهم بالنتائج التي يمكن أن يصلوا إليها إذا هم استيقظوا ونهضوا ، غير إنه أيضا كان في بعض شعره السياسي متشائماً نافضاً كلاً يديه من امكان الاصلاح أو أمل النهوض " (٢)

وبهذا القول للدكتور عمر فروخ نستطيع أن نلمس الأسباب التي جعلت الشابي ناقماً على

(١) ديوان الشابي / دار العودة بيروت ص ٥٩ .

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ط ٣ دار العم للملايين ١٩٨٠ م ص ١٣٠

الحياة في بلده وليست الحياة العربية الأصيلة . كما يمكن أن أضيف : إن نقمة الشابي على الحياة كانت لأسباب كثيرة أهمها مرضه فيجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الشاعر كان مريضاً مرضاً عضالاً منذ طفولته أو الطور الأول من شبابه وكان يعلم أن هذا المرض يهدده ويفقده كثيراً مما كان يحب أن يمارس من أنشطته رياضية ولعب ولهو، فما تأثير ذلك كله عليه ؟! نراه يقول في إحدى مذكراته : " في سكون الليل ، ها أنا جالس وحدي في هاته الغرفة الصامتة إلى مكتبي الحزين ، أفكر بأيامي الماضية التي كفنتها الدموع والأحزان ، واستعرض رسوم الحياة الخيالية التي تناثرت من شريط ليالي وأيامي وذهبت بها صروف الوجود إلى أودية النسيان البعيدة النائية . . . ها هم أصدقاء طفولتي الحالمة التي عرفتهم في بلاد كثيرة هاهم يتراخضون بين المروج الخضراء ويجمعون باقات الشقيق والاقحوان ثم يتسلقون الجبال متبعين أعشاش الطيور الصيفية وترنمين بتلك الأغاني البريئة الطاهرة " (١)

هذا إلى جانب الأحداث المؤلمة التي تعرض لها الشاعر ك وفاة والده ، و وفاة الفتاة التي أحبها وتفرق الأصحاب عنه يقول الشابي في ذلك :-

ذل قلبي

مات حبي

فاذرفي يا مقلّة الليل الداراري عبرات

حول حبي فهو قد ودّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق اللهيـب

.

وانديبيه

واغسليله

بدموع الفجر في أكواب زهر الزنبق

فهو يبكي حبه الذي مات وانتهى من الحياة . كما أنه يبكي والده في شعره وفي
مذكراته ، فلو علمنا مدى تعلق الشاعر بأبيه للمسنا له العذر في حزنه الشديد وكآبته
الدائمة .

فهذا المرض الذي ألم به وهذه الأحداث المؤلمة التي واجهته في مقتبل شبابه كانت
قمينه بأن تجعل شاعرنا الوجداني - الذي لا يكتب إلا ما تجيش به نفسه وتنبض به خواطره -
متشائماً وناقماً على الحياة وحزيناً في معظم شعره وليس في كله إذ نراه يقول :-
سأعيش رغم الداء والأعداء * * كالنسر فوق القمة الشماء

* * * * *

ج - كتابه "الخيال الشعري عند العرب" :-

لم أتمكن من الاطلاع على محاضراته أو كتابه :- " الخيال الشعري عند العرب " فالكتاب مفقود ولم تكرر طباعته : " والكتاب مفقود اليوم في المكتبات مع أنه الأثر الوحيد من بين آثار الشابي الذي طبع في حياته وأتيح للناس أن يقرأوه وأظن أن الجيل الحاضر لم يعرف من الكتاب إلا اسمه ، وقليل هم أولئك الذين قرأوه " ^(١) لكنني استطعت أن أعرف مضمون هذا الكتاب أو المحاضره من بعض المؤلفات التي تحدثت عن الشابي وآثاره وعلى رأسها كتاب " الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ " الذي يذكر موجز للمحاضره في صفحات كتابه (١٥٣ - ١٦٠) كما يذكر أبو القاسم محمد كرو مضمون الكتاب : " أما من حيث موضوعه فهو دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الأوروبيين " (٢)

فالشابي كان يقارن بين الأخيلة الشعرية عند العرب وعند الأوروبيين وكأنه أراد أن يمجّد الأدب الأوروبي ، ولكن للأسف جاء هذا التمجيد على حساب الأدب العربي إذ نراه يقول : " والعرب عرفوا عدداً من الآله (الأصنام) وذكروها في أمثالهم وأشعارهم وعرفوا كذلك الشياطين وعدداً من الخرافات ، ولكنهم لم يخرجوا من ذلك عن تأليه الموتى أو تقليد الأمم الأخرى ولا نرى واحدة من أساطيرهم تشرق بالفن أو الحياة ، أما أساطير الأمم الأخرى فقد كانت مشبعة بالروح الشعرية الجميلة زاخرة بفلسفة الحياة الفنية الراقصة في ظل الخيال " (٣)

ألم يقرأ شاعرنا المعلقات في الأدب الجاهلي ؟! ألم يطلع على ديوان العرب

(١) الشابي / حياته . شعره لأبي القاسم محمد كرو ط جديدة الدار العربية للكتاب

١٩٨٤م ص ١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩

(٣) الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط ٣ دار العلم للملايين ص ١٤٥ ، ١٥٥

القديم الزاخر بالأخيلة الشعرية الجميله ؟ ألم يعيش للحظات مع ديوان امرئ القيس أو طرفة العبد ، أو عنتره بن شداد العبسي ، أو عمرد بن كلثوم . . . وغيرهم كثير لقد حزنت كثيراً عندما قرأت موجز هذه المحاضره في كتاب أستاذنا الدكتور عمر فروخ لما اشتملت عليه من تقليل أو استهانة بالأدب العربي القديم وأنه لم يعد يصلح لعصرنا الحديث " إن أدب العرب مادي لا سمو فيه ولا إلهام ولا تشوق إلى المستقبل ولا نظر إلى صميم الأشياء ولباب الحقائق . . . إن الأدب العربي كان في جميع العصور التي تحدثنا عنها أدباً حياً صحيحاً فياضاً بكل ما تصبو إليه آمال تلك الشعوب من صور الحياة ومثلها المختلفة ، ولكني أقول إنه لم يعد ملائماً لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأفئتنا ورغائبنا في هذه الحياة ، لقد أصبحنا نتطلب أدباً جديداً نضيراً يجيش بما في أعماقنا من حياة وأمل وشعور ، وهذا ما لانجده في الأدب العربي ولا نظفر به لأنه لم يخلق لنا نحن أبناء هذه القرون ، وإنما خلق لقلوب أخرستها سكينه الموت أما نحن فمازلنا بعد من أبناء الحياة ، ولهذا لا ينبغي لنا أن ننظر إلى الأدب كمثل أعلى للأدب الذي ينبغي أن يكون ، بل يجب أن نعهده كأدب من الآداب القديمة التي نعجب بها ونحترمها ليس غير" (١)

فهذه اتهامات خطيرة اتهم بها الشابي الأدب العربي القديم وأراد أن يضعه في مؤخرة اهتمامات الأدباء والمثقفين العرب ويجعله أدباً جامداً لا يمكن محاكاته أو الاستفادة منه ، وأنه لابد من البحث عن أدب آخر يلائم أبناء هذه القرون ورأى أن ذلك لا يكون إلا بتقليد الأدب الأوروبي فيقول : " وأريد الآن أن أتلو على مسامعكم

(١) الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط ٣ دار العم للملايين ص ١٥٨

كلمتين لشاعرين من شعراء الغرب أولا هما (لا مرتين) وأخراهما لجيتي (غوته) حتى تتبينوا الفرق بين الرنه العربية الساذجه البسيطه والرنه الغربيه العميقة الداوية (المدوية)^(١)"

فماذا يمكن لى قوله بعد هذا الكلام الذى يسىء الشابى به لكل عربى أصيل وقبل ذلك يسىء لنفسه ولكنى اكتفى بتعليق الدكتور عمر فروخ الذى لم يرض بهذا القول من منطلق الإنصاف والموضوعية فأخذ يلوم الشابى فى موازنته بين الأدب العربى والأدب الفرنسى والألماني ويتعجب من هذه الموازنة التى تصدر من شخص لا يفقه شيئاً فى اللغات الأجنبية : " وأنا لا ألوم الشابى على هذا الرأى الخطير لأنه كان - حينما ألقى محاضرتي : الخيال الشعري عند العرب - لا يزال طفلاً فى العشرين من عمره ثم إنه كان لا يعرف لغة أجنبية . من أجل ذلك وحده لا تقبل موازنته بين الشعر العربى والشعر الفرنسى والشعر الألماني وهو لا يفقه لغة أجنبية " ^(٢) علاوة على أن أهل تلك اللغات قد اعترفوا بتأثرهم بالأدب العربى واعتمادهم عليه فى كثير من آدابهم .

فالشابى قد اشتط فى آرائه حول الأدب العربى القديم وحول الأخيلة الشعرية عند العرب ، ولا أرى سبباً فى ذلك غير أنه أراد أن ينشئ مدرسة أدبية شعرية جديدة معتمداً فيها على الأدب الأوروبى ، وكان يمكن أن يحقق ذلك دون مساس بالأدب العربى القديم أو الإنقاص والتقليل والتفريق واستعمال الكلمات الجارحة مثل : التسفل الانحطاط ، السذاجة ، البساطه ... فهذا هو الأدب العربى البليغ الذى نزل به القرآن الكريم بلغته العربية معجزاً لأهله ومتحدياً لعباقرتهم فكما نعلم جميعاً أن المعجزات الالهية لا تكون إلا فى أمر برع فيه أهله إلى درجة العبقرية كي تكون الحجة

(١) الشابى شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط ٣ دار العلم للملايين ص ١٥٦

(٢) المصدر السابق ١٥٩ .

قوية ، فالعرب كانوا بلغاء فصحاء في شعرهم ونثرهم لذلك نزل القرآن الكريم بلغتهم اعجازاً لهم ، فكيف يأتي شاعرنا الشابي ويدعى بأن الشعر العربي القديم كان على وتيره واحدة وروحه خطابية مشتعلة لاتعرف الأناة في الفكر " إن كل ما أنتجته الذهن العربي في مختلف عصوره كان على وتيره واحدة ليس له من الخيال الشعري حظ ولا نصيب ، والروح العربية خطابية مشتعلة لاتعرف الأناة في الفكر فضلاً عن الاستغراق فيه و (هي) مادية محض لاتستطيع الالمام بغير الظواهر ...

وهذا الأدب لا يصلح لنا نحن أبناء هذه القرون^(١) ، فما دام الشعر العربي القديم لا يصلح لنا نحن أبناء هذه القرون كما يدعى الشابي فهل معنى هذا أن الشابي يلمز القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب ومضى على نزوله خمسة عشر قرناً تقريباً ؟ ! إن أحداً لا يستطيع - على مر العصور - أن ينكر أن القرآن الكريم علاوة على أنه المصدر الأول الذي نستقي منه تعاليم ديننا الاسلامي فهو أيضاً المصدر الأول لمقل المواهب الأدبية . فمداومة تلاوته تساعد الأديب أو المتأديب على الإجادة والتمكّن والتطور الأدبي ، وكذلك الأدب العربي القديم بالنسبة للأدباء على مر العصور حتى وإن أرادوا التجديد فلا غنى لهم عن الأدب العربي القديم الذي يتميز بمثانة الأساليب وجودة الأفكار وتنوعها .

ومجمل القول : إن الشابي الذي عاش ربع قرن من الزمان ترك لنا شعراً جيداً وآراءً لا بأس بها بالنسبة لشعره ، فنحن لانلومه في آرائه نظراً لأحواله النفسية والصحية التي أثرت كثيراً عليه ، ولكن مانلومه عليه أشد اللوم هو رأيه في الأدب القديم

(١) الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط ٣ دار العلم للملايين ص ١٥٨

وتحيزه الشديد للأدب الأوروبي دون دليل مقنع أو نقد موضوعي علمي - ولكن هو التحيز فقط خاصة إذا تذكرنا أنه متأثر جداً بالأدب المهجري الذي كان يسخط على الأدب العربي القديم ويحاول التجرد منه ويدعو إلى تقليد الأدب الغربي .

فتأثره بهذا الأدب كان سبباً من الأسباب التي جعلته يمجّد الأدب الأوروبي مع أنه لا يجيد أو بالأحرى لا يعرف لغة أجنبية إطلاقاً كما عُرِف عنه وكما يؤكد ذلك الدكتور عمر فروخ .

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الثانى
نقد الشعر الحديث

الفصل الثاني

نقد الشعر

يتناول الدكتور عمر فروخ الشعر الحديث بالنقد والتحليل من خلال كتابه " هذا الشعر الحديث " الذى ألفه ليكون بمثابة مقدمة لبعض أشعاره حيث يقول : " كان المقصود بمادة هذا الكتاب أن تكون مقدمة لمجموع من أشعارى أحببت نشرها (والمفروض أن تظهر فى وقت واحد مع هذا الكتاب) فلما دعت الضرورة إلى أن تكون المقدمة كتاباً مستقلاً (بعد أن اتسعت كثيراً فلم يكن بد من توسيع تلك المقدمة " (١) فقد أراد الدكتور عمر فروخ أن يضع مقدمة لديوانه " فجر وشفق " (٢) وأراد أن يضع فى هذه المقدمة آرائه حول الشعر الحديث وعندما رأى أن هذه المقدمة ستتسع فضّل أن تصدر فى كتاب مستقل ، وفى نظرى أن اتساع هذه المقدمة وتحويلها إلى كتاب كان بسبب أهمية آرائه حول هذا الشعر الذى أخذ يتسع كثيراً ويكتب فيه معظم الشعراء أو الذين يدّعون الشاعريه .

وعن غرضه من تأليف الكتاب يقول : " إن هذا البحث ليس كتاباً فى الشعر الحديث ولكنه بحث فى مساوىء الشعر الحديث من حيث المعنى ومن حيث اللفظ " (٣) فهو يذكر لنا صراحة غرضه من تأليف الكتاب وهو بيان مساوىء الشعر الحديث من حيث المعنى ومن حيث اللفظ وسنرى كيف أن الدكتور فروخ قد جعل معظم معانى الشعر الحديث فاسدة منحطة دينياً وخلقياً إلى جانب سوء أسلوبه وتراكيبه وسيتم عرض هذه الآراء ومناقشتها فى الصفحات القادمة .

فأول ما يتحدث عنه الدكتور عمر فروخ حول هذا الشعر تمرده على المثل العليا حيث يقول : " وكثرت جرأه أنصار الشعر الحديث على المثل العليا ، على الأخلاق والقوانين

(١) هذا الشعر الحديث ص ١١

(٢) انظر التعريف بالديوان فى الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث .

(٣) هذا الشعر الحديث ص ٢٠ .

ويذكر لنا جزء من الخطبة في ص ١٢١ من الكتاب كما قسمها :-

أيها الناس ، اسمعوا وعوا

ولذا سمعتم شيئاً فانتفعوا

إنه من عاش مــــات

ومن مات فــــات

وكل ما هو آت آت

ليل داج

وسماء ذات أبــــراج

وأرض ذات فجــــاج

مالــــى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون

أرضوا بالمقام فأقاموا ؟

أم تركوا هنالك فناموا ؟ ...

كما أورد من أمثلة الشعر الحر في الأدب القديم خطبة للأحنف بن قيس ، ومن

المقامات ذكر المقامه الحزبيه لبديع الزمان الهمذاني .

فهو بهذه الأمثلة يؤكد أن دعاه الشعر الحر أو المنثور كانو مخطئين عندما اعتقدوا

أنهم أصحاب تجديد في الشعر . فالأدب العربي منذ بدايته - في العصر الجاهلي -

كان مشتملاً على هذه الأساليب الأدبية ، وبالفعل استطاع الدكتور عمر فروخ أن يدلي بالحجة

والبرهان على قوله - بأن الأدب العربي القديم اشتمل على أساليب أدبية تشبه ما يسمى

بالشعر الحر أو المنثور في عصرنا الحاضر ومنها الخطبة ، المقامة ، وهنا لابد

لى من كلمة إلى دعاة الشعر الحديث ، لماذا هم يصرون على هذه التسميه فما يكتبونه

يعد أدباً لكنه ليس شعراً فهو من باب النشر الفني وذلك معظم الشعر الحديث

إلا أن قليلاً منه فقط هو الذى يقوم على التفعيله ، والأدب هو : كل كلام استطاع قائله أن يؤثر به فى عواطف السامعين ويستوى فى ذلك الشعر والنثر وكثير من النثر فاق الشعر فى بيانه وتأثيره وروعته ، فكأنى أشعر بهم يصرون على تسمية أدبهم شعراً لأنه أرقى وأسمى من النثر ، وذلك ليس صحيحاً .

وذلك ما جعل شعرهم غثاً غامضاً مبهماً ، ولا يفرق الدكتور عمر فروخ بين الشعر القديم والشعر الحديث من حيث المعنى فيقول : " ليس هنالك نثر قديم ونثر جديد ، أو شعر قديم وشعر حديث وليس هنالك علم قديم وعلم حديث أو فن قديم وفن حديث إلا إذا نحن نسبنا شيئاً من ذلك إلى مكانه في عصر من العصور " (١)

فالأدب الجيد لا يرتبط بزمن معين يصلح له وإنما يبقى خالداً فى كل الأزمان فمن يدّعي أنه لا بد أن يكون هناك شعراً حديثاً يعبر عن حاجات هذا العصر دون نظير أو اعتبار لهذا الشعر ومدى جودته من حيث الألفاظ والمعاني فيكون مخطئاً لأنه ما لبث أن يصبح قديماً بعد فترة قصيرة ولا يبقى إلا الشعر الجيد أينما كان ومتى قيل وقد قال الشاعر ناصحاً الأدباء :-

ما من كاتب إلا سـيـلـى * * ويبقى ما كتبت يــــداه

فلا تكتب بيمينك غير شـيـء * * يسرك فى القيامة أن تراه

وهذا ما أراده الدكتور عمر فروخ بقوله : ليس هناك شعر قديم وشعر حديث أما إذا

نسبنا الشعر لزمانه أو الوقت الذى قيل فيه فيمكن تقسيمه إلى قديم وحديث .

أما مذاهب الأدب التى ظهرت فى العصر الحديث فيرى الدكتور عمر فروخ أنها ليست

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ص ٣٢

جديدة فالمذهب الوجداني ، والمذهب الرمزي . والمذهب البرناسي (مذهب التحكيك أو الصنعة) فقد كانت معروفة في الشعر العربي منذ جاهليته . يقول الدكتور فروخ : "والعرب قد عرفوا المذهب الوجداني أو ابتدعوه قبل أن تشعر أوروبا بالحاجة إليه بألف عام في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد ، لما خرج الشعر عندنا من بيئته الأموية البدوية إلى بيئته العباسية الحضرية " (١)

والشعر الوجداني كان موجوداً في الجاهلية عند امرئ القيس وطرفة وعنترة كما عرفه عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي " (٢)

أما عن مذهب الصنعة أو التحكيك فيقول : " ومذهب التحكيك هذا قد عرفه العرب منذ أقدم عصورهم الأدبية - في العصر الجاهلي - عرفه أوس بن حجر (نحو ٥١٠ - ٥٩٠ م) ثم راوتيه زهير بن أبي سلمى (ت نحو ٦١٠ م) ثم اتسع هذا المذهب في العصر العباسي وأشهر ممثليه في الشعر مسلم بن الوليد وأبو تمام والبحتري والمتنبي والمعري " (٣) ويذكر لنا أبياتاً للبحتري توضح التراكيب الأنثوية في الألفاظ العذبة :-

بيضاء يُعطيك القضيْبُ قوامها * * * ويُريك عينيها الغزالُ الأحوْرُ

تمشي فتحكُمُ في القلوبِ بدلها * * * وتميسُ في ظلِ الشبابِ وتخطُرُ

لاني ولين جانبت بعض بطالتني * * * وتوهمَ الواشون أني مقصُرُ

ليشوقني سحرُ العيونِ المجتلي * * * ويروقني ورد الخدودِ الأحمر

وديوان الشعر العربي مليء جداً بأنواع هذه الصنعة الجميلة الرائعة التي ساعدت على خلود هذا الشعر وعلوقه بالأذهان

(١، ٢، ٣) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٤٩، ٥٠، ٥١

أما المذهب الرمزي فيقول فيه : " أحب أن أقول إن هذا الأدب الرمزي قد نشأ عندنا قبل بودلير بألف ومائتي عام من الأعوام الشمسية ، لقد كان عندنا في الشعر الرمزي خاصة حميد بن ثور الذي عاش في أيام عمر بن الخطاب (ت ٢٣ - ٦٤٤م) كان عمر بن الخطاب قد منع القول في الغزل الصريح الذي يذكر الشاعر فيه محبوبته باسمها المعروف لأن ذلك كان يثير بين القبائل أو بين الأسر عداوة ونزاعاً يضطرب بهما اطمئنان الحياة الاجتماعية ، فاحتال حميد بن ثور للقول في الغزل الصريح في محبوبة معينة من بني مالك بأن كنى عنها بسرحة (شجرة عالية) فقال :-

أبى الله إلا أن سرحة مالك * * على كل أفنان القضاء تروق
فقد ذهبت عرضاً ، وما فوق طولها * * من السرح إلا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * * ولا الفيء من برد العش تذوق
فهل أنا - إن عللت نفسي بسرحة * * من السرح - موجود عليّ طريق ؟

ويتابع الدكتور عمر فروخ حديثه بقوله : " ولعل بعض الناس - من أولئك الذين يتعصبون للأدب الفرنسي جهلاً منهم بسائر آداب الدنيا - لا يحب أن يرى في شعر حميد بن ثور رمز يقابل الرمز عند بودلير ، ولكن هذا المتنعت نفسه لا يستطيع أن ينكر الرمز في الشعر العربي عامة وفي فن التصوف خاصة " (١) ويذكر لنا بعض مشاهير المذهب الرمزي من الشعراء العرب مثل : رابعة العدوية ، وعمر بن الفارض ، والمعري ، فهذه المذاهب الأدبية التي يدعو إليها شعراء العصر الحديث على أنها مأخوذة من الأدب الأوروبي هي في الأصل موجودة في أدبنا العربي منذ ظهوره وقد أكد ذلك الدكتور عمر فروخ بالاستشهادات

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٥٤

المناسبة من أدبنا العربي ، وأضيف لى ما قال بعض الأشعار لنثبت - سويًا - أن أدبنا العربي يمكنه الاستغناء عن مذاهب الآداب الأخرى سواء فى التراكيب أو المضمون فالشعر العربى يشتمل على جميع المذاهب الأدبية التى ينادى بها شعراء " الشعر الحر " فلننهل من هذا المعين الأصيل الصافى ولنترك القطرات التى سرعان ماتزول ولنأمل قول عمر بن أبى ربيعة : (١)

طال ليلى لسرى طيف ألم	**	فنفى النوم وأحدانى السقم
طيف ريم شطه أوطانه	**	فهى لم تدن ، وليست بأمام
من رسول ناصح يخبرنا	**	عن محب مستهام قد كتم ؟
حبه حتى تبلى جسمه	**	وبراه طول أحزان وهام

وقول ابن الرومى فى خباز مر به :- (٢)

إن أنسى لأنسى خبازاً مررت به	**	يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة	**	وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تتداح دائرة	**	فى لجة " الماء " يلقي فيه بالحجر

(٣)

كذلك قول أبى تمام :-

السيف أصدق لإبناء من الكتب	**	فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف	**	فى متونها جلاء الشك والريب

(٤)

وقول امرئ القيس :-

وليل كموج البحر أرخى سدوله	**	على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه	**	وأردف أعجازاً أو ناءً بكلل

(١) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد دار الاندلس ص ٢٤٤

(٢) ديوان ابن الرومى ، شرح الشيخ محمد شريف سليم ج ١ (مرجع سابق) .

(٣) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ج ٢ ص ٢٥٨

(٤) شرح ديوان امرئ القيس ، (مصدر سابق) ص ١٥١

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * * * بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيالك من ليل كأن نجومه * * * بكل مغارِ القتلِ شُدَّتْ بيدبلِ

... ..

وبعد .. أفبعد هذا ننظر إلى المذاهب الأدبية الأوروبية على أنها مذاهب جديدة وأن لا بد من الارتباط بها والاحتذاء بها ؟!

وعن ادعائهم حول تجديدهم في أوزان الخليل بن أحمد والتي تعتبر في نظرهم قاصرة عن أداء متطلبات العصر يقول الدكتور فروخ : " فالذين يقولون اليوم بالنظم على تفعيلية حديثة (جديدة) - ويقصدون أنها لم تخطر للخليل بن أحمد أو للعرب - قليلو العلم بالشعر والغناء معاً ، والذين هم أبعد في الجهل من هؤلاء إنما هم أولئك الذين يحاولون أن ينقلوا شيئاً من الشعر الأجنبي بوزنه إلى اللغة العربية ثم يظنون أنهم قد ابتكروا في صناعة الشعر شيئاً " (١)

ويكفيني أن أذكر دليلاً واحداً من الأدلة التي ذكرها الدكتور عمر فروخ في كتابه على بطلان دعوى هؤلاء الذين يدعون التجديد . لنستمع إليه حيث يقول :-

" ولعل نفرّاً من هؤلاء سيعجبون إذا قلت لهم إن المستشرق فارتن هارتمان قد درس تفاعيل الموشحات فوجد أنه يتركب منها " أوزان " تبلغ مائة وستة وأربعين عدا ، ثم وجد أنه يمكن أن يتفرع من هذه الأوزان أوزان أخرى تبلغ بعدد الأوزان إلى مائتين وثلاثة وثلاثين ، ثم إن هذه الأوزان ليست كل ما يمكن أن ننظم عليها شعراً

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٦٤

فى اللغة العربىة أو فى غير اللغة العربىة (لأن القضية قضية ألحان موسيقىة عندنا وعند غيرنا) ولكنها الأوزان التى اتفق لمارتن هارتمان أن يجد عليها أمثلة من الموشحات وربما كان هنالك موشحات قد ضاعت أو لم يستطع هارتمان أن يطلع عليها وهى - وهذا ممكن - على غير هذه الأوزان أيضا من أجل ذلك يحسن بأولئك الذين يفتخرون بأنهم ينظمون على تفعيله جديدة أن يطلعوا أولا على شىء مما يجرى فيه الكلام فى هذه الدنيا - إن هؤلاء إذا كانوا يجهلون شيئا فليس معنى جهلهم أن ذلك الشىء غير موجود " (١) ولا يحتاج كلام أستاذنا إلى تعليق لكن أحب أن أقول لهؤلاء أيضا أما كان الأخرى بهم أن ينقبوا فى أدبنا العربى الأصيل ويستخرجوا منه ما يناسب العصر لا أن يلجئوا إلى التقليد ، فما دام لدينا مانريده من أوزان وتفعيلات فى أدبنا فليس هناك داع أبدا إلى اللجوء إلى الأدب الأوروبى وتقليده فهذه اللغة التى حفظها الله سبحانه وتعالى إلى يوم الدين لا تضمن على أبنائها والباحثين فيها بشىء سواء فى التجديد فى التراكيب والأساليب أو الأوزان والقوافى . ولا يعتقد قارئى العزيز أن ذلك تعصبا منى لما هو لنا فقط دون الاعتبار بالجودة بل على العكس فالإنسان فى نظرى - يأخذ من غيره ما نقص عنده مادام جيدا وصالحا له ولمجتمعه ولكن إن لم يكن لديه نقص فلم إذن الأخذ من الآخرين ؟ !

ومماثير الضحك والدهشة فى آن واحد لدعاء بعض المنادين بالتجديد فى الشعر الحديث من أن الموشحات الأندلسية مأخوذة من الأدب الأوروبى ويقول الدكتور فروخ فى ذلك : " وبعد أن استقر رأى مؤرخى الحضارة من الأوربيين على أن الشعر الأوروبى

(١) هذا الشعر الحديث (مصدر سابق) ص ٦٤ - ٦٥

نشأ من الشعر العربي (ومن الموشحات الأندلسية على الحصر) ينهض نفر من العرب يزعمون أن الموشحات الأندلسية نشأت متأثرة بالأغاني العامية التي كانت لسكان أسبانية الأصليين " (١) ثم يورد نصاً باللغة الفرنسية مأخوذاً من كتاب فرنسي يوضح تأثير شعراء فرنسا بالشعر العربي في الأندلس " (٢)

وعن تأثير شعراء أوروبا بالشعر العربي يقول أحمد فرح عجيلان في كتابه " بين الأصالة والحداثة " ومن المعروف أن الشعر الأسباني نقل عن شعرنا القوافي ولحن الشعر الانجليزى لا يتمتع بعشر معشار موسيقانا لأنه ليس له إلا وزن رئيسان وكان المفروض أن يقتبس الأجانب من شعرنا روعة موسيقاه لا أن ننقل نحن عن الأجانب بدائية موسيقاهم " (٣)

فليشب دعاة التجديد في الشعر العربي إلى رشد هم وصوابهم وليبحثوا عن الدرر الكامنه في أدبنا العربي من شعر ونثر ، وليطورا منها ما شاءوا دون تقليد سخيف ركيك دونما وعى أو معرفة بتراثنا العربي الزاخر بالمعطيات الفنية الراقية .

ويرى الدكتور عمر فروخ أن الشعر المطلق يختلف عن الشعر المنثور " الشعر الحر " يقول في الشعر المطلق " الشعر المطلق شعر موزون ولكنه غير مقفى ، إلا أن ذلك لا يمنع أن تتفق فيه التقفية . المهم في الشعر المطلق أن يحل الشاعر نفسه من قيد القافيه لينصرف باهتمامه كله إلى المعاني وجدها ، وأما إذا اتفق أن جاءت الأبيات أو الأشطر في " القصيدة المطلقة " مقفاة ، مرة بعد مرة عفواً فإن تلك القصيده تظل

(١) هذا الشعر الحديث . د / عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٨٦

(٢) راجع المصدر السابق من ص ٨٩ إلى ص ٩٢

(٣) بين الأصالة والحداثة نقد ومختارات لأحمد فرح عجيلان مطبوعات نادى الطائف

الأدبى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

مطلقه " (١) كما يذكر أن " الشعر المطلق يُستخدم في مطولات الشعر من الملاحم والروايات التمثيلية والتأملات الحكيمة " (٢) وذلك لأن هذه المطولات تتضمن معان كثيرة ويصعب على ناظميها الاتيان بالقافية الموحدة في جميع المطولة فتحررت المطولة من القافية وإن وجدت في كثير من الأحيان إما عفواً أو عمداً عند المقطع الذي يقصد به الشاعر أن يُغنى ، أما الوزن فلم يتحرر منه الشعر المطلق إطلاقاً ، فقد أهملت القافية في الشعر المطلق لأنها في معظم الأحيان فن ثقيل على الفكر ومجال ضيق للمعاني ، أما الوزن المطلق فإنه لم يهمل في الشعر المطلق ، مع أنه قيد أيضاً ، لأنه يكسب التعبير نغماً حلواً يخفف من وطأة السرد الطويل ومن جفاف المادة الفلسفية (٣)

فالشعر المطلق لم يتحرر من الوزن بل على العكس تماماً فقد كان مقيداً بالوزن وهذا من دواعي العبقرية والابداع إذ كيف لنا أن نفرق بين مقدرة الشاعر على النظم في موضوع واحد أو عدة موضوعات دون أن يخل بالوزن وشاعر آخر نظم في موضوع وأخل كثيراً بالوزن وأزعج الأذن الموسيقية . . . وفي رأيي إن الشعر بدون الوزن يفتقد كثيراً من وظيفته الفنية بل إنه يُجرد من أهم خاصية فيه ويصبح مركباً سهلاً لمن لا موهبة لديه أو لا يملك أدوات التعبير الراقى .

أما الشعر الحر فيعرفه بقوله : " الشعر الحر عندهم مقاطع من الكلام يتخلل منسجماً عن جميع أوزان الشعر المألوفة وعن القوافي أيضاً ، ولكنه يحاول أن يأتي في كل مقطع بشيء من النغم العرفي (والنغم بطبيعة الحال ، وزن) وربما جمع شاعرهم

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٩٤

(٢) المصدر السابق ص ٩٤

(٣) المصدر نفسه ص ٩٥

نغمه العرفى الخاص به أو بالقصيدة التى ينشئها مرة من أوزان (بحور) متعددة" (١)
فالشعر الحر كما يراه الدكتور عمر فروخ مقاطع من الكلام خالية من الوزن ومن القافية
لكن هناك نغماً فى هذه المقاطع ويكون من عدة بحور ، وفى رأى أن هذا النوع من الشعر
لا يمكن أن يسمى شعراً لأن كلمة حر فى - نظرى - مرادفة لكلمة مطلق ، والشعر
المطلق لم يتحرر من الوزن ، تحرر من القافية فقط ولأسباب تم توضيحها عند الحديث
عن الشعر المطلق - فالشعر الحر يمكن أن يكون حرّاً فى القافية ، فإذا تحرر من الوزن
أيضاً ، فلا نقول حرّاً ولكن نقول " منثوراً " وخير دليل على صحة قولى هذا هو استشهاد
الدكتور عمر فروخ بنماذج نثرية من الأدب القديم على مايسميه شعراء اليوم بالشعر
الحر .

والدكتور عمر فروخ غير مهتم بتعيين مبدأ الشعر الحر إذ يقول : " وأنا الآن لست
معنياً بتعيين مبدأ الشعر الحر فى البلاد العربية أو فى غير البلاد العربية لأن محاولة
ذلك تدل على شئ من الجهل بطبيعة التاريخ الحضارى والتاريخ الثقافى اللذين
هما نتاج تطور فى الحياة الانسانية " (٢)

وهذا ما أراه أيضاً إذ أن أى أمر لا يأتى منذ نشأته متكاملًا ولا بد له من
ارهاصات ومقدمات إلى أن يتطور رويداً رويداً ليصل إلى الصورة التى تحدد معالمه
كذلك كان (الشعر المنثور) إذ لا بد أن تكون هناك مقدمات كثيرة ومحاولات عديدة سبقت ظهور
هذا الشعر على ما نراه عليه اليوم ، فمحاولة تعيين مبدئه أمر غير ميسور ولا يترتب عليه
كبير فائدة ونلمس لهجة الغضب الشديد لدى الدكتور عمر فروخ مما أصاب الشعر الحديث

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط = دار لبنان للطباعة والنشر ص ٩٧ - ٩٨

(٢) المصدر السابق ص ١١٥ - ١١٦ .

* لي رأى فى هذه التسمية ، وسيتم توضيح ذلك فى الصفحات القادمة .

من البعد عن المسيرة الأدبية الموروثة ورفض الكثير من قواعدها وموسيقاها فنراه يقول :
" عجباً ، يا قوم إن أنصار الشعر الحديث يريدون أن يبطلوا شعر امرئ القيس وجريير
 وابن الرومي والمنتبي وشوقي لتوهمهم إن أصحاب هذا الشعر " عموديون " أى ينظمون
 على عمود الشعر العربى (شعراً قائماً على المنطق والوزن والقافية) ثم هم يأتون
 إلى كلام مكوم لا معنى فيه ولا منطق ولا شبه وزن ولا شبه قافية ويحاولون أن يجعلوا منه للناشئة
 مثلاً أعلى حتى يشوهوا العقل العربى ثم يجعلوه قابلاً للاستعمار الثقافى " (١) فهو يرى
 أن أنصار الشعر الحديث يريدون أن يبطلوا شعر القدماء الذين ساروا على عمود الشعر
 العربى ويطمسوا هذه المسيرة بشعرهم الذى لا معنى له ولا وزن ولا قافية .

وأرى كما يرى الدكتور فروخ أن الشعر الحديث (المنثور) قد شوه الأدب العربى
 وأساء إليه لكنه فى رأى لم ولن يبطل الشعر القديم ولن يستطيع ذلك أبداً مهما
 كثر الناظمون فيه والمروجون له ، فالشعر العمودى كنور الشمس الساطعة لا يمكن أن
 يحجب بمقاطع الشعر المنثور الهزيل .

ومن خصائص دعاة الشعر الحديث يقول الدكتور عمر فروخ : " ومن خصائص دعاة الشعر
 الحديث ذلك حب الإتكاء على معانى التوراة ومعانى الإنجيل وعلى الخرافات القديمة مع
 الإعراض ما أمكن عن معانى القرآن الكريم واذكر - يرحمك الله - أن القوم دعاة تجدد ، والتوراه
 والانجيل والخرافات الوثنيه التى هى من قبل التاريخ جديدة عندهم ، أما القرآن الكريم
 فهو عندهم قديم ، ولكنهم لا يعلمون أن القرآن " كلام الله القديم " الذى نسخ كل
 كلام قبله " (٢) ويذكر نماذجاً يوضح تأثر هؤلاء بألفاظ التوراة والانجيل والخرافات الوثنيه

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ١٧ دار لبنان للطباعة والنشر ص ١٣٣/١٣٤

(٢) المصدر السابق ص ١٦٢

ومن ذلك قول فدوى طوقان * :

أنتَ تغيّرتَ

يا مَلِكَ الدِّينِ والنَّاسِ

فسرُّ لى معنى أفعالك ..

فما هذا القول ؟! أيمن أن يصدر من مسلم يؤمن بالقدر واليوم الآخر؟! ومن تناولهم على لغة القرآن الكريم قول أحدهم " أريد أن أعبث باللغة مدة عشرين سنة كرد فعل على عبث أسلافنا بلغتنا لمدة ألف عام " (١) وقول آخر : " إن الشعر هو فعل اللفظ والتوهم لأنه فعل العلاقه الخطيرة ، إنه الجلسة اللغوية الشعرية المصيبة " (٢) وقول شاعرهم الكبير أدونيس* فى قصيدته الخيانة : (٣)

آه يا نعمة الخيانة

أيها العالم الذى يتناول فى خطواتى

هوة وحريقة

أيها الحبة العريقة

أيها العالم الذى خنته وأخونه

أنا ذاك الغريق الذى تصلّى جفونه

لهدير المياه

* هى شاعرة فلسطينية معاصرة تبنت قضايا وطنها فلسطين فى كثير من شعرها ، من دواوينها وحدى مع الأيام " وجدتها " رابع " فدوى تشتبك مع الشعر " لشاكر النابلسي . (٢٠١) بين الأصالة والحداثة نقد ومختارات لأحمد فرح عقيلان مطبوعات نادى الطائف الأدبي

ص ٢٨ ، ٢٩ ، هو الدكتور على أحمد سعيد أديب سورى اختار لنفسه اسم (أدونيس) إعجاباً بهذه الشخصية الأسطورية ، له مجموعة شعرية بالانكليزية بعنوان "دم أدونيس " من دواوينه "قالت الأرض" و"أوراق فى الريح" . . راجع كتاب مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر د . نسيب نشاوى / مطابع ألف باء الأديب ، دمشق . ص . ٥٠ (٣) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر (مصدر سابق) ص ٥٠٢

بماذا يمكن أن نرد على هؤلاء الذين يحاولون المساس بالدين وبلغه القرآن وبالخلق القويم ؟! أيسمون النتاج الأدبي العربي العظيم عبثاً ؟! أيتهمون اللغة التي نزل بها القرآن بأنها عبث ؟! أيرون في الخيانة نعمة ؟! إنني لأرى سبباً لذلك إلا البعد عن الدين والتسليم بكل ما يأتي من الغرب دون النظر أو التفريق بين الصالح والطالح مما ينشروه بيننا .

وفي خاتمة بحثه يقول الدكتور فروخ " كل ما أرجوه من أنصار الشعر الحر وأنصار الشعر المنشور وأنصار ما لا أدرى اسماً له أن يوجدوا لما يتخيلونه اسماً ، كما فعل العرب من قبل لما احتاجوا لوجوه نشاطهم الأدبي إلى أسماء دالة فقالوا قصيد ورجز وخطبه ورسالة ومثل ومقامة ومقال . فإذا كان أصحابنا من الناشئين في قوالب الأدب الفرنجي - استغفر الله ، بل في قوالب الدعوى الفرنجية - عاجزين عن الاسم فإنهم يكونون حينئذ عن المسمى أشد عجزاً^(١) وإن كل ما أرجوه أن يتوب هؤلاء إلى رشدهم فيعودوا إلى أصالتهم وينهلون من معين اللغة العربية الصافي ويصقلوا مواهبهم الأدبية باللجوء إلى المكتبة العربية الزاخرة بأنواع الفنون والآداب فيقرءون ما هو فخر لكل عربي مسلم ، وليحكّموا العقل والمنطق فيما يأخذونه عن الغرب ، فمن غير المعقول نرتضى في أحضان الثقافة الوافدة دونما روية وبصيرة وننسى أو نتناسى ما لدينا من قدرة وطاقه ، فكيف بهؤلاء الذين ينسون أو يتناسون أديهم الرفيع ويجرون خلف آداب نشأت في أوطان وبيئات لها ظروفها وتقاليدها التي تختلف كثيراً عن تقاليدنا ومعطيات أمتنا قد يقول أحدهم: إن ما يفعلونه تجد يد يتطلبه العصر وتستدعيه حياتنا الجديدة الموصولة بالثقافات الأجنبية التي تؤثر فينا وتدعونا إلى مواكبتها . لكن

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٢٣٨

ماهو التجديد الذى يدعونه ؟ ! إنه عبارة عن كلمات أو مقاطع متراسة لاتدرى ما الغرض منها ولاأى موضوع تعالج فأنت تقرأ هذه المقاطع فلا تفهم منها شيئاً ومن ذلك قول الحاوى (١)
فى مقطوعة بعنوان " مع العجر " :-

عاد من عرس العجر .

دفعة فى وجهه

وعلى قمصانه ألف تائر

موجه واحدة فى دمه

فى زوغة الشمس

وحمى المعدن المصهور

فى البركان فى وهج الثمار

موجة تغزل فى المرج فراشات

فهل لهذا الكلام من مضمون ؟ ! وهل يسمى تجديداً ؟ ! إننى أتساءل مع غيرى ممن

يضعون أمام هذا الشعر الحديث مئات من علامات الاستفهام .

(١) خليل الحاوى شاعر لبنانى معاصر ولد ببلدة " الشوبر " بلبنان ، نال شهادة الثانوية

من " الكلية الوطنية " بالشويفات سنة ١٩٤٧م ثم تابع دراسته فى الجامعة الأمريكية

ببيروت فخرج بشهادة البكالوريوس فى الأدب العربى والفلسفة سنة ١٩٥٢م ثم الماجستير

سنة ١٩٥٣م أو فدته الجامعه لمتابعة الدراسة فحصل على الدكتوراه فى الفلسفة

من جامعة (كمبردج) ١٩٥٩م عمل بعدها استاذاً بالجامعة الأمريكية - له ديوان

"نهر الرماد" و " النأى الجريح " و " بيادر الجوع " .

- راجع مدخل الى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر (مصدر سابق)

الفصل الثالث

موازنة بين هذه الدراسات ودراسات
غيره ممن التقوا معه
في بعض موضوعاته

١ - موازنة بين دراسته للشابى

ودراسة غيره .

ب - موازنة بين دراسته للشعر

الحديث ودراسة غيره

الفصل الثالث

موازنه بين هذه الدراسات ودراسات غيره ممن التقوا معه في بعض موضوعاته

أ - موازنة بين دراسته للشابي ودراسة غيره :-

تناول الدكتور عمر فروخ أبا القاسم الشابي بالدراسة الأدبية والنقدية من خلال كتابيه " شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي " و " الشابي شاعر الحب والحياة " وقد كانت للدكتور عمر فروخ عدة آراء حول الشابي وشخصيته مما يخالف بها غيره ويوافقه فيها نفر آخرون ، فحول خصائصه المعنوية يرى الدكتور عمر فروخ أنه ليس للشابي رسالة سامية يؤديها من خلال شعره لوطنه وأهله في تونس بل يراه ناقداً هداماً لناقداً صاحب رسالة " والشابي شاعرنا ناظم يزعم أنه يريد أن يؤدي رسالة ، ولكنه في الحقيقة يحمل معولاً ليهدم به كل شيء : الحياة والناس والبلاد والوطن والأمة " ^(١) كما يقول : " أنا أرى أن الشابي كان ناقداً هداماً لناقداً صاحب رسالة " ^(٢)

أما الدكتور يوسف عز الدين * فإنه يرى عكس ذلك تماماً إذ يقول : كان شعره السياسي خير معبر عن ثورة الشعب . إن المستعمر لا يخرج بأبيات من الشعر

(١) شاعران معاصران ص ١٦٩ .

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ص ٤٣

* هو الشريف يوسف أحمد عز الدين السامرائي وُلد في مدينة بعقوبة العراقية ، حصل على درجة الليسانس بشرف عام ١٩٤٦م من كلية الآداب في جامعة الاسكندرية ، كما حصل على الماجستير بمرتبة الشرف من الجامعة نفسها وحصل على درجة ...

أو قصائد ينظمها الشعراء إنما بإعداد آراء الشعب وتوجيهه توجيهاً صحيحاً وإعداده للشوره ، شأن الشعراء هو إعداد هذا الرأي العام الموحد ضد المستعمر وضد الاستعمار وكان الاستعمار يفتك في الشعب وتزداد ثورة الشعب عليه وتزداد ثورة الشابي معه ... إلى

الدكتوراه من جامعة لندن . " راجع شخصية يوسف عز الدين الأدبية " لعبد الرزاق شاكر البدرى ص ٢١ . وهو عضو المجامع العلمية واللغوية العربية في بغداد ، ودمشق والأردن ، والقاهرة ، والمجمع العلمي بالهند ، وبيت الحكمة بتونس ، وجمعية الأدب المقارن العالمية في باريس وأمريكا ، والجمعية الملكية للآداب بلندن ، ورابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، وجمعية الأدب الحديث بأمريكا . درّس في عدد من الجامعات العربية ، وأشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه . صدر عنه وعن أدبه وشعره عدد من الكتب العربية والانجليزية والفرنسية واللغة البولندية . أسهم في كثير من من المواسم الثقافية ، والمحاضرات العامة ، وشارك في اذاعات القاهرة وبغداد والرياض والهند وتونس ، وحضر العديد من المؤتمرات اللغوية والأدبية ، ورأس تحرير عدد من المجلات في العراق " راجع غلاف الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي " ليوسف عز الدين ، ويعمل حالياً محاضراً في جامعة أم القرى فرع الطائف .

من مؤلفاته :-

- ١ - دواوينه الشعرية " في ضمير الزمن " و " الحان " و " لهاث الحياة " .
- ٢ - من مجموعاته القصصية :- " ثلاث عذارى " و " إلى أم أسل " و " قلب على سفر " .
- ٣ - من كتبه :- " من شعراء العراق في القرن العشرين " و " الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية " و " في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) و " فصول في الأدب الحديث والنقد " ...

أن يقول : " وكان الشابي يشعر بأن له رسالة في هذه الحياة ، رسالة كل فرد من أفراد الشعب ، رسالة كل متحرر فكانت الثورة النفسية تؤلمه فهو يرى الفرنسيين يتمتعون بالخير ويترك سواه لشعبه " (١)

فالشابي في نظر الدكتور يوسف عز الدين شاعر تبني قضايا وطنه فهو يؤدي رسالة في هذا المجتمع الذي هيمن على خياراته المستعمر ، وذلك على عكس الدكتور عمر فروخ الذي كان يرى أن نقمة الشابي وتشاؤمه من الشعب وتصرفاته معول هدم لآبناء .

أما أبو القاسم كرو فإنه يرى بأن الشابي شاعر صاحب رسالة بين قومه وشعبه أحس بما يرضخ له هذا الشعب من احتلال واستعمار فاندفع مكافحاً بلسان هذا الاحتلال حاثاً شعبه على الاستنهاض وعدم الاستسلام .

"ولقد أحس الشابي بعذابه وجراحه منذ اللحظة الأولى التي رأى فيها الحياة على صورتها الحقيقية ، ومنذ اللحظة الأولى التي أحس فيها بآلام شعبه وتعاسته ، ومدى ما يريخ تحته هذا الشعب من أعباء الظلم وأصناف الطغيان ومن سجون الماضي وسيئاته ، فتأوه لذلك وتألّم ثم جمع قواه واندفع بايمان الشباب وحيوية الفتوة ، وعزيمة الجبار إلى الصفوف الأولى منضالاً لخير بلاده وتقدمها ، ومكافحاً في سبيل تحريرها واستعادة مجدها واحلالها المحل الذي يجدر بها أن تناله بين أمم الأرض وشعوبها" (٢)

فأبو القاسم الشابي كما يرى الدكتور يوسف عز الدين وأبو القاسم كرو صاحب رسالة وهدف بين قومه وشعبه حيث أنه لم يقف صامتاً أمام الاستعمار الفرنسي لبلاده بل سلط

(١) في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عز الدين ص ٨٨-٨٩

(٢) الشابي ، حياته وشعر لأبي القاسم كرو ص ٩١-٩٢

صوته على هذا الاستعمار وحث شعبه على عدم الركود والاستسلام فكان مدافعاً عن وطنه بصوته وشعره الذى قد يكون ناقماً من خلاله فى بعض الأحيان على الشعب عندما يرى ما هم عليه من نفاق واستسلام وجبن " لم تكن آلام الشابي وجراحه إلا آلام شعب كامل وجراح أمة بأسرها ، حملتها نفس بشرية واحدة ، وانطوى عليها قلبها الانسانى الكبير ففاضت أنغامها الساحرة من أوتار قلبه وتصادت آهاتها المره من أعماق نفسه^(١) واعتقد أن الدكتور عمر فروخ قد استند على هذه اللحظات التى قد ينقم فيها الشاعر على وطنه وشعبه لجعل النعمة والهدم من خصائصه مع أنه على العكس فهذه النعمة تكون لعدم رضاه وموافقته لما يجرى بين الشعب من تصرفات أو استسلام وجبن .

ويذكر الدكتور عمر فروخ ذلك فيقول : " وثار على الشعب الذى لا يحارب المستعمر ويرى الشعوب كلها تطالب بالحرية والكرامة وشعبه لا يطالب ويعيش فى سبات " فثورة الشابي إذن بسبب استكانته الشعب أمام المستعمر بينما كل الشعوب تطالب بالحرية والكرامة .

كما أننا نسمع دائماً عند الحديث عن الشابي أنه شاعر متشائم فالتشاؤم فى شعره يقرره الدكتور عمر فروخ فيقول : " ويطوف على شعر الشابي كثير من الحزن والتشاؤم والحيرة فيثير ذلك شيئاً من الاشفاق فى نفس القارئ على الشاعر " (٢)

أما أبو القاسم كرو فإنه يجد الألم والحزن فى شعر الشابي ولكنه يـرى أنه سر العبقرية والنبوغ فيقول : " والألم ينبوع العبقرية وفيض النبوغ ومامن شاعر فنان

(١) الشابي ، حياته وشعر لابی القاسم كرو ص ٩٠

(٢) شاعران معاصران ص ١٦٩

صهره الألم وعذبه الأوجاع ونال منه الحرمان في أيه ناحيه من نواحي الحياة إلا تفجر قلبه عن أبدع الصور وأروع الألحان وعزف للإنسانية أعذب الأغاني وأمرها ، والألم وليد الاحساس القوى المرهف ، والشعور العميق بأسرار الحياة وعيوب البيئة والمجتمع " (١)

فأبو القاسم كرو يرى أن الألم في حياة الشابي كان نعمة عليه لا نقمة فهو ينبوع الذي نهل منه الشابي فأخرج القصائد المرفهة والألحان الجميلة ، ومن أسباب تشاؤمه وحيرته - التي يرى الدكتور عمر فروخ أنها كثيرة في شعره - يذكر لنا أبو القاسم كرو مجتمعه فيقول : " وأي مجتمع منكود هذا الذي عاش شاعرنا بين أهله وبنيه ، إنه مجتمع خائر مهتوك في جسده ، غبي تافه في روحه ، حقير ساذج في مثله وأحلامه باهت في ألوانه ممل في أنغامه ، وأي شعب تجمعت في حياته هذه الخطايا إلا كان شعباً متخلفاً خادراً لا يفقه شيئاً من معاني الحياة وأسرارها وجمال الوجود وفتنته وعفة الحب وطهره ونبل الحق وجلاله وشرف الكفاح وروعته ، ومجد الشباب وثورته ، وشوق الشاعر وأحلامه " والشابي كان ذلك الشاعر وشعبه كان هذا الشعب في تلك الفترة القصيرة التي عاشها شاعرنا بين أبنائه " (٢)

فالمجتمع والمرض والحوادث التي مر بها الشاعر بدءاً بوفاة محبوبته ووفاة والده* كانت هذه الأمور جميعها سبباً في حزن وألم وتشاؤم الشاعر ، ويرى الدكتور يوسف عز الدين إن التشاؤم والنقمة في شعر الشابي قد تتحول أحياناً إلى يأس " إن النقمة والتشاؤم والثورة على الشعب تستحيل عنده إلى يأس فيدفعه هذا اليأس إلى مهاجمة الشعب الذي لا يقدم من التضحيات والنضال ما يراه جديراً به " (٣) فالشابي بعد أن يستحث الشعب وينقـم

(١) الشابي حياته وشعره لأبي القاسم كرو ص ٩٠

(٢) المصدر السابق ص ٩١

(٣) في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د. يوسف عز الدين ط ٣ دارالعلوم ص ٨٩
* راجع الفصل الاول من هذا الباب .

على بعض تصرفاتهم ويثور عليها ويرى أن ذلك كله لا يحرك ساكناً في نفوس هؤلاء ، تتحول كل تلك النعمة والتشاؤم والثورة إلى يأس ، فنقادنا الثلاثة يقررون بأن الشابي كان حزيناً متشائماً في معظم شعره ، وإن كان أبو القاسم كرو يرى بأن الألم والحزن هما سر نبوغ وعبقرية الشابي فإلم الشاعر يجعله أكثر مقدرة على الابداع والتفاعل والتعبير بصدق وعمق .

وإذا انتقلنا إلى الخصائص الفنية والأسلوبية للشاعر لوجدنا أن هناك اختلافات حولها بين النقاد ، فالدكتور عمر فروخ يرى أنه يميل إلى الرمز كثيراً في شعره وإلى الصناعة اللفظية والمعنوية فيقول : " والغموض يسود رمزية الشابي " ويقول أيضاً " ولا ريب في أن الرمز وهو في الأصل مبنى على الاستعارة يحسن في البيت بعد البيت وفي القصيدة بعد القصيدة فإذا تراكم وكثر فيه الغموض أصبح عبثاً في الأدب فإذا نحن أضفنا إلى ذلك كله أن الشابي كان يأتي أحياناً بأشياء لا يعرفها لم تستغرب أن يُعترض عليه في الأمر بعد الأمر " ويذكر لنا الدكتور عمر فروخ بعض الأمور التي لا يعرفها الشابي نقلاً عن كتاب الحركة الأدبية للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور " فالغاب والضباب والرائع والنافخ في نايه والثلج كلها أمور لم يعرفها الشابي ولم يعيش في دائرتها ومع ذلك كانت أكثر الألفاظ دورانا في شعره لقد كان استعماله إياها أقرب إلى الاستعمال الرمزي منه إلى الاستعمال التمثيلي المجازي فالدكتور عمر فروخ يرى بأن الرمز لدى الشابي يسوده الغموض علاوة على أنه يستخدم ألفاظاً لم يكن يعرفها مثل : الغاب ، الضباب ، الثلج " أما الأستاذ أبو القاسم كرو فان له نظرة أخرى في هذه الخصائص إذ نراه يقول : " والشابي كان هذا الشاعر في كل بيت من شعره ، وكل نغمه من نغماته ، وانك لتقرأ شعره فتشعر أن في كل بيت قطعة من قلبه وقطرة من دمه ، ومزجاً من العبقريّة والالهـام

والصفاء والاشراق ، وإلى ذلك كله تحس أن هذا الشاعر لا يتصنع في شعره ولا يتكلف فيه بل هو صور وأنغام تفيض على وجدانه ، وتنساب في تيارات مشاعره ، فيرسلها قلبه وقد سقاها دمه ونفث فيها من حياته - شعراً يهز النفوس ، ويحدث في القلوب والعقول جميعاً انفعالات قوية ساحرة ، تنطلق بنا إلى عالم مفعم بالرؤى والجمال ، وذلك صدق الشعور في تصوير الشاعر وتعبيره " (١) فهذان رأيان متناقضان حول الخصائص الفنية والأسلوبية في شعر الشابي ، فالدكتور عمر فروخ يرى أن الشابي قد أغرق في الرمز والخيال والاستعارات البعيدة السمج " وبما أن الرمز مبني في الأصل على الاستعارة فإن الشابي مغرق في استعاراته كثيراً ، واستعاراته بعيدة أحياناً وسمجة أحياناً آخر " (٢) لكنه لا ينكر أبداً أن للشابي شعره القوى المتين في الأسلوب " وإذا كان الشابي خريج الجامعة الزيتونية في تونس ، وإذا كان لا يعرف إلا اللغة العربية ، فيجب أن تكون لغته متينة وأسلوبه على عمود الشعر العربي ، ونحن نلمح ذلك كله في شعر الشابي للشابي قصائد تجرى على أسلوب قديم متين " (٣) فالدكتور عمر فروخ لا يغفل ما للشابي من شعر قوى متين لكنه يرى أيضاً أن كثيراً من شعر الشابي كان غامضاً بسبب اغراقه في الرمز والخيال والاستعارات البعيدة ، بينما يرى الأستاذ أبو القاسم كرو أن الشابي كان شاعراً لا يتصنع ولا يتكلف في شعره بل تأتي ألفاظه متدفقة مناسبة قوية ساحرة دون تكلف أو تصنع ، لكن من خلال مطالعتي لديوان الشابي أستطيع أن أقول أن ألفاظه في كثير من الأحيان تأتي واضحة دون تكلف أو اغراق في الخيال والرمز لكن هذا لا يمنع أن له بعض الأشعار التي تشتمل على شيء كهذا ، خاصة إذا عرفنا أنه

(١) الشابي ، حياته وشعره . لأبي القاسم كرو ط جديدة الدار العربية للكتاب ص ١١٢ - ١١٨

(٢) شاعران معاصران . ص ١٢٥

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٥

تأثر بالأدب المهجري، فقد كان يقرأ كثيراً لجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبي ماضي " ولقد اكتسب الشابي من الأدب المهجري ضعفاً في التركيب واغراقاً في الرمز وشيئاً من التشاؤم والصوفية السلبية^(١) وإن كان ذلك ليس بالسمة العامة التي نحكم بها على شعره .

والحديث عن ألفاظه أو الخصائص اللفظية في شعره يجرنا إلى الحديث عن موقفه من عمود الشعر العربي وذلك في رأي الدكتور عمر فروخ ورأي غيره ممن درسوا الشابي فالدكتور عمر فروخ يقول في موقف أبي القاسم الشابي من عمود الشعر " والشابي كأمثاله من الناقمين على عمود الشعر العربي وعلى الحياة العربية الأصيلة ، أراد أن يتجنب الألفاظ الإسلامية النفحة العربية الملامح ليبدل بها ألفاظاً وثنية الأصل عامية الاستعمال " (٢) كما نلاحظ نقمته على الأدب العربي من خلال محاضراته : الخيال الشعري عند العرب : إذ يقول فيها كما ورد في كتاب الشابي شاعر الحب والحياة " لا ينبغي لنا أن ننظر إلى الأدب العربي كمثل أعلى للأدب الذي ينبغي أن يكون بل يجب أن نعدّه كأدب من الآداب القديمة التي نعجب بها وتحترمها ليس غير ، أما أن يسموا هذا الإعجاب إلى التقديس والعبادة والتقليد فهذا ما لا نسمح به لأنفسنا لأن لكل عصر حياته التي يحيها ولكل حياة أدبها التي تنفخ فيه من روحها القشيب " (٣)

فهذه آراء للشابي حول الأدب العربي وعمود الشعر يذكرها لنا الدكتور عمر فروخ ثم يعلق عليها بأن الشابي لم يتعمق في هذا الأدب ولم يقف على دواعي جماله

(١) المصدر السابق ص ١٢٠

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ص ١٨٠

(٣) المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩١

وأسرار بلاغته، فنراه يقول : " إن من الحق أن نقول أن الشابي الذي مات حدثاً لم يتح له أن يطلع على الجانب الأوفى من الأدب العربي ، وقد كفاني محمد الحليوي ، صديق الشابي الحميم مؤونة تفنيد المزاعم التي حاكها الشعبيون ونفر من أدباء المشرق وأدباء المهجر ومن المستشرقين ثم أخذ بها مع الأسف ، أبو القاسم الشابي جهلاً أو عمداً " (١) أما الأستاذ أبو القاسم محمد كرو فإنه لم يتطرق لموضوع عمود الشعر العربي ورأى الشابي فيه وفي الأدب العربي بصفة عامة حتى عند حديثه عن محاضرة الخيال الشعري عند العرب وإن كان يتضح من بعض كتاباته حولها أنه مؤيد لكل ماجاء فيها من آراء للشابي فنراه يقول : " وقد أثارت آراءه الجريئة يقصد الشابي- في هذا الكتاب زوبعة من النقد والخصومة الأدبية في الصحف والمجلات التونسية وعلى صفحات صحف عربية أهمها مجلة " أبولو " المصرية ، ولكن الشابي استطاع أن يخمد هذه الزوبعة في الصحف والمجلات وإن لم يستطع إخمادها في نفوس بعض الناس " (٢)

فأبو القاسم كرو يوافق الشابي في كل ما أبدى من آراء وانتقادات لاذعة ومشينة حول الأدب العربي وهذا منهج خطير جداً كما يرى الدكتور عمر فروخ- وأرى معه- إن هذا من عمل الشعبويين والمستشرقين والمغرضين من أدباء العرب، فالأدب العربي طريفه وتليده ثروة أدبيه ولغوية عظيمة من الله تعالى به على أبناء العروبة ، عليهم أن يحافظوا عليها ويتمسكوا بها لا أن يتجردوا منها ويتكروا لها ،- وفي رأبي- إنه يمكن لنا أن نلتمس بعض العذر للشابي في آرائه الجريئة، هذا نظراً للظروف التي مر بها والنوايب التي حلت

(١) المصدر السابق ص ١٩١

(٢) الشابي حياته وشعره لأبي القاسم كرو ص ١٢٨

به من كل جانب فجعلت نفسيته مضطربة ناقمة ثائرة على كل شيء ، وقد قال الدكتور يوسف عز الدين في ثورته هذه " وكانت ثورته على المستعمر تكتسح معها التقاليد المتحجرة وصور الشعر التقليدية الميتة ، وجد الناس يعيشون على رمم القدامى وكان يريد أن يسير مع الانسانية حيث النور والحقيقة ، حيث التجديد والنور فكان ذلك حرباً على الرجعية التي تريد أن تجمد القوى الانسانية المتحررة التي تتدفق حارة " ^(١) لكن هناك فرق بين الثورة على الرمم القديمة والصور البالية وبين الثورة على التراث والفكر العربي فلأن ثورة الشابي كانت على المستعمر وعلى جمود ورجعية الشعب لما كان في ذلك بأس لكن الشابي عندما ثار على المستعمر وعلى جمود شعبه ثار أيضاً على الشعر التقليدي ، ويمكن أن أُلَمَسَ له العذر في حذر فأقول: إن حالة نفسه قد تجتاح الانسان في لحظة من لحظات اليأس والأسى والألم ولكن عندما تزول هذه الحالة أو الحادثه التي أثرت هي نفسية الانسان خاصة الشاعر فإنه في الغالب يعود عن رأيه أو معتقده الخاطئ كما أن الانسان في أطوار حياته الأولى تكون له آراء يخالفها عندما يصل إلى مرحلة من الرشد والعقلانية والتبصر بالأمور وفي ذلك يقول الدكتور عمر فروخ : " ومن أسباب عذرنال لشابي في ذلك كله أنه غادر الدنيا قبل أن تختمر عاطفته بخميرة عقله ، فكان لا يزال معجباً بالأدب الذي يصور الخلجات النفسية العابرة كما لا يزال يحفل بالناحية الفنية الصارخة في النتاج الأدبي غافلاً عن جانب التراث القومي والفكري في الشعر والنثر " ^(٢) فالشابي الذي رحل باكراً لم تحن له الفرصه أن يغير آراءه الخاطئة أو المجحفة بحق الأدب العربي بعد أن يصل إلى مرحلة من العقلانية والتبصر والنظر إلى الأمور نظرة موضوعية بعيدة عن العاطقة والانفعالات النفسية المتبدله .

أما الذي لأجد له العذر في هذه الآراء الجانحة هو الأستاذ أبو القاسم كـرو

(١) في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عز الدين ص ٨٩

(٢) الشابي شاعر الحب والحياة ص ١٩٢

الذى يوافق الشابي في كل ما قال به سواء في الخيال الشعري عند العرب " أو غير ذلك من المقالات .

ويسعدني أن أختتم موازنتي هذه - بين نقد الدكتور عمر فروخ للشابي ونقد غيره بالموازنة بين رأيه في شاعرية الشابي ورأى غيره ، فالدكتور عمر فروخ يرى بأنه - الشابي - شاعر تفوق على من تأثر بهم من شعراء المهجر " الشابي شاعراً خيراً من جبران بلا ريب ولعله في قصائده المختارة يتقدم على أبي ماضي أما نعيمة فلا أعلم إذا كان شاعراً ، هذا مع العلم أننا نوازن هنا بين شاعر ما وافت سنه على النضج وبين شعراء استفدوا نضجهم كله في أشعارهم " (١) فهو يرى بأن الشابي شاعر يفوق جبران وأبا ماضي في بعض قصائده مع العلم بأنه لم يعيش عمراً طويلاً يتيح له النضج الشعري الكامل على عكس من تأثر بهم لكنه يرى أيضاً بأن الشابي قد أخذ أكثر من حقه من قبل القراء والدارسين فيقول : " إن العطف على الشابي يحمل عدداً كبيراً من القراء الدارسين على اعطائه من المقام الأدبي أكثر من حقه ، على أن هذا لا يمنع من أن يكون للشابي - كما نرى في مجموع شعره - قصائد رائعة " (٢) فعطف الأدباء على الشابي - كما يرى الدكتور فروخ - جعلهم يمنحوه أكثر من حقه في الدراسة والاشادة به وبأدبه شعراً كان أو نثراً .

أما الدكتور يوسف عز الدين فإنه يرى أيضاً أن الشابي أخذ شهرة أكثر مما يستحق فيقول : " وليس الشابي بأشعر شعراء تونس ولا بأعلم علماء تونس ، ولكن حالفه الحظ في هذه الشهرة ولم يحالف الحظ أخواناً له يفوقون الشابي شعراً وعلماً

(١) شاعران معاصران ص ١٢٠

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ - ١٢٠

وفضلاً، وشهرة الشابي لا تتناسب وشاعريته فقد دوت هذه الشهرة في كل مكان وخدمته الظروف خدمة صادقة، فكم من شاعر أشعر من الشابي وأصدق عاطفة ولا يقل عنه وطنية وإخلاصاً في بلاد العرب لم يصل إلى ما وصل إليه الشابي " (١) فهذا القول يتوافق مع ما قاله الدكتور عمر فروخ من أن الشابي أخذ أكثر مما يستحق من الاهتمام والشهرة لكن الدكتور عز الدين يرى سبباً في هذه الشهرة غير السبب الذي ذكره الدكتور فروخ فيقول : " ولعل تفردّه في تونس كان مثار إعجاب فنحن لم نعرف عن تونس شيئاً ، ولما سمعنا بشاعر تونس ينظم هذا الشعر الجميل العاطفي الرقيق أدهشنا هذا الصوت وأعجبنا به ولا شك في أن هناك من الشعراء في غير تونس من البلاد العربية من يبرز الشابي ويبرز على سواه في الجزائر أو المغرب أو عدن ولكن لم يتح له ما أتت به للشابي " (٢)

فالدكتور يوسف عز الدين يرى أن السبب في شهرة الشابي تفردّه في تونس فلم يكن هناك شاعر آخر ينافسه على الشهرة، بينما يرى الدكتور عمر فروخ أن سبب الشهرة هو العطف الذي كان يناله وما زال من قبل الدارسين والباحثين ، ولكن هذا كله لا يمنع من القول بأن الشابي شاعر جيد بل ومتقدم ضمن شعراء جيله ، ولو نظرنا إلى رأى الأستاذ أبي القاسم كرو في شاعرية الشابي لوجدناه يخالف تماماً كلاً من الدكتور عمر فروخ والدكتور يوسف عز الدين فهو يرى بأنه شاعر عظيم فراه يقول : " إن الشابي كان لحناً فريداً لم يتم ومنحة من السماء لأبناء الأرض وأغنية عاصفة تائرة ستظل الحياة ترددها على مسامع البشرية جيلاً بعد جيل " (٣) كما يرى أن سبب شاعرية الشابي تكمن في صدقه فسي

(١) في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عز الدين ص ٨٢

(٢) المصدر السابق ص ٨٢

(٣) الشابي حياته وشعره لأبي القاسم كرو ص ٤٥

التعبير ودقته في التصوير ويذكر لنا نماذج من شعره يستدل بها على هذا الصدق في التعبير والدقة في التصوير ^(١) كما أنه يقول : " إن نظرة قصيرة في حياته ، ثم أخرى في شعره ترينا أنه كان أصدق شاعر عرفته الآداب العربية المعاصرة " ففي نظر الأستاذ أبي القاسم كرو أن الصدق في التعبير لدى الشابي والدقة في التصوير هما أساس خلود شعره وسمو أدبه ، ويقول أيضا حول شاعريته " والشابي كان هذا الشاعر في كل بيت من شعره وكل نغمة من نغماته ، وإنك لتقرأ شعره فتشعر أن كل بيت قطعة من قلبه وقطرة من دمه ومزيجاً من العبقرية والالهام والصفاء والاشراق " ^(٢) فأبو القاسم كرو يرى بأن الشابي يتربع على عرش الشعر دون منافس لما يتميز به من صدق في كل بيت من شعره بل في كل كلمة ، وعلى هذا نجد أن أبا القاسم كرو يجعل الشابي في مرتبة سابقة أو يرى أن شاعريته فوق كل شاعرية فنراه يقول في قصيدته " الايمان بالحياة " :-

يقول الشابي :

ماكنت أحسب بعد موتك يا أباي ***	ومشاعري عمياء بالأحزان
أني سأظمأ للحياة واحتسبي ***	من كأسها المتوهج النشوان
وأعودُ للندى بقلب خافق ***	للحب والأفراح والألحان
ولكل مافي الكون من صور المنى ***	وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون وأقبلت ***	فتن الحياة بسحرها الفتان
فإذا أنا طفل الحياة المنتشي ***	شوقاً إلى الأضواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضها ***	ضرب من البهتان والهديان
إن ابن آدم في قرارة نفسه ***	عبد الحياة الصادق الايمان

(١) راجع المصدر السابق ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ١١٧

ولإنها لصورة انسانيه رائعه قل أن تجد لها مثيلاً في شعرنا المعاصر والقديـم
على السواء " ^(١) فأبو القاسم كرو يرى أن كثيراً من شعر الشابي إن لم يكن كله شعراً
رائعاً ليس له مثل وأنه يضاهي الشعر العربي قديماً وحديثاً ويتفوق عليه في كثير
من الأحيان، وفي رأبي إن هذا الحكم على شاعرية الشابي هو اعجاب زائد من أبي
القاسم كرو حتي كان في نظره شاعراً فريداً متفوقاً في كثير من شعره على الشعراء
القدماء والمعاصرين ، وإذا كان الشابي شاعراً جيداً استطاع أن يتبنى كثيراً من قضايا
وطنه تونس سواء عن طريق حث شعبه واستنهاض هممهم أو عن طريق تشاؤمه من
مستقبلهم إن بقوا علي ما هم عليه من ركود واستسلام ونفاق وجبن ونقمته على كل
ذلك كما أنه استطاع أن يصور لنا أحزانه وآلامه بأسلوب شعري جميل لا يخلو من صدق
العاطفه في معظمه فإن هذا الشعر لا يصل إلى درجة التفرد والتفوق على الشعراء
جميعاً .

* * * * *

»

(١) الشابي (حياته وشعره) لأبي القاسم كرو ص ١١٥

ب - موازنة بين دراسته للشعر الحديث ودراسة غيره :-

إن قضية الشعر الحديث من القضايا الأدبية التي لا تزال تخضع للمناقشة وطرح الآراء فيها وقد اختلف النقاد حولها بين مؤيد ومعارض ، وقد رأينا من خلال الفصل السابق موقف الدكتور عمر فروخ من هذا الشعر ، أما في هذا الفصل فإنني سأضع موازنة بين رأيه في هذا الشعر ورأى غيره من الدارسين، فعن نشأة الشعر الحر تقول نازك الملائكة ^(١) : " كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧م في العراق ، ومن العراق بل من بغداد نفسها . . . وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة " الكوليرا " نشرت هذه القصيدة في بيروت ووصلت نسخها بغداد في أول كانون الأول ديسمبر ١٩٤٧م ، وفي النصف الثاني من الشهر نفسه صدر في بغداد ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة) وفيه قصيدة حرة الوزن له من بحر الرمل عنوانها (هـل كان حباً) " ^(٢)

ويوافقها في هذا القول الدكتور بدوي طبانة حيث يقول في كتابه التيارات المعاصرة في النقد الأدبي وكانت نازك - فيما أعلم - صاحبة تلك المحاولة الأولى في تاريخ دراسة

(١) نازك الملائكة ولدت (عام ١٩٢٣) شاعرة وناقده من العراق ولدت ببغداد ونشأت في بيئه أدبيه خالصه من أم شاعرة وأب شاعر وخال شاعر ، نظمت أول قصيده وهي في العاشرة ، أتمت دراستها الثانوية ببغداد ثم انتسبت إلى دار المعلمين العاليه " كلية التربية " حالياً فتخرجت بشهادة الليسانس بدرجة امتياز عام ١٩٤٤ ثم يمت شطر الولايات المتحدة الأمريكية وتخرجت في جامعة وسكونس بشهادة الماجستير في الأدب المقارن عام ١٩٥٠ ، أجادت الانجليزية والفرنسيه والألمانية واللاتينية، من دواوينها (عاشق الليل ١٩٤٧) و(شظايا ورماد ٩٤٩) و(قراءة الموجه ١٩٥٧) و(شجرة القمر ١٩٦٨)

- راجع مدخل الي دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر .

هذا الشعر الحر ومحاولة تنظيم دراسة موسيقاه على أساس عروضي يقوم على تفعيلات بعض البحور التقليدية المعروفه عند الخليل بن أحمد " (١) أما الدكتور محمد النويهى* فيقول فى حاشية الصفحة ٢٤٩ من كتابه قضية الشعر الجديد: " هى - نازك الملائكة - وبدر شاكر السياب يتنازعا ن قصب السبق فقد نظم كل منهما دون اطلاع على عمل الآخر قصيدة على الشكل الجديد فى وقت متفاوت فى أواخر سنة ١٩٤٢م ، أما ما يذكره بعض النقاد من محاولات سبقت هذين الشاعرين فلا نعتد بها وأقصى ما يصح عليها أنها تمهيدات لظهور الشكل الجديد " (٢)

(١) التيارات المعاصرة فى النقد العربى ، بدوى طبانه ، ط ١ مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م ص ٣١٩ .

ولد الدكتور محمد النويهى فى ٢٠ ابريل سنة ١٩١٢م فى قرية " ميت حبيش" البحرية بجوار طنطا ، أجاد العربية والانجليزية فى وقت مبكر ، حصل سنة ١٩٣٥م على التوجيهية ، ثم التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول وبعد أربعة أعوام حصل على ليسانس الآداب سنة ١٩٣٩م ، رشحته كلية الآداب محاضراً بجامعة لندن فى اللغة والأدب العربى ، حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة المذكورة سنة ١٩٤٢ عن " الحيوان فى الشعر العربى القديم ما عدا الجمل والحصان" من مؤلفاته : طبيعة الفن ومسؤولية الفنان ، وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الجمالى ، وظيفة الناقد الأدبى . الشعر الجاهلى : منهج فى دراسته وتقويمه ، قضية الشعر الجديد ، توفي فى ١٣ فبراير سنة ١٩٨٠م . راجع المنهج النفسى فى نقد النويهى بين النظرية والتطبيق ، محمد أحمد العطاس رسالة علمية مودعة بمكتبة اللغة العربية بجامعة أم القرى .

(٢) قضية الشعر الجديد / د . محمد النويهى ط ٢ مكتبة الخانجى دار الفكر ص ٢٤٩ .

فهذه آراء ثلاثة تفيد جميعها بأن نشأة وبداية الشعر الحر كانت على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، أما الدكتور عمر فروخ فله رأى مخالف تماماً في الحديث عن نشأة أو بداية الشعر الحر " وأنا الآن لست معنياً بتعيين مبدأ الشعر الحر في البلاد العربية - أو في غير البلاد العربية - لأن محاولة ذلك تدل على شيء من الجهل بطبيعة التاريخ الحضارى والتاريخ الثقافى اللذين هما نتاج تطور الحياة الانسانية ، ولكن لابد لي من حل مشكلة قد أثيرت أما من حيث الشكل (شكل القصيدة ، توزيع الكلمات فرادى ومثنى وثلاث ورباع وخماس فأكثر من أشطر أو أسطر مستقلة أو امكان ذلك) فإن هذه الخاصة التي يدعيها أنصار الشعر الحر موجودة في الموشح وقبل الموشح أيضاً ، وأما من حيث المادة (المحتوى أو المضمون - بحسب لفظهم ، فإن الأمر أيسر من ذلك إذا نحن جعلنا الشعر الحر أو (الحديث) قائماً على تخيل غير مقبول (غير مقبول عند العقلاء) في التركيب الفوضى ، فذلك أمر موجود منذ وجد الانسان على هذه الأرض ثم تعرض لما يخرج بتفكيره عن المنهج السوى " ^(١) فهو يرى أن الشعر الحديث من حيث شكله كان موجوداً في فن الموشحات ؛ ويرى أنه كان قبل ذلك أيضاً حيث يقول : " فالذين ابتدعوا

(١) هذا الشعر الحديث ، الدكتور عمر فروخ/ص ١١٥ - ١١٦ .

الشعر الحر (التقلب من الأوزان المألوفة في الأكثر ومن القافية في الأقل - لهذا المعنى - هم العرب ، ولا يظن ظان أنني سأقول الموشحة ، فلقد سبق لي أن قلت الخطبة والرسالة والمقامة . أنا أعلم أن دعاة الشعر الحديث يقولون إن الموشح قصيدة عربية موزونة وهم يكرهون الوزن العربي والقصيدة العربية بدعوى أن دينك " تقليد مردود وقديم مجنون " (٢) ثم يورد بعض الأمثلة من الأدب القديم (النثر) ليدل بأن الشعر الحر كان موجوداً منذ الجاهلية في الخطبة والرسالة والمقامة . . " ومن الأمثلة على الشعر الحر في الخطب قول الأحنف بن قيس (ت ٦٢ هـ - ٦٨٦ م) ولم يلتزم الأحنف فيها التقفية أو السجع (وسأوردها مرتبة ترتيباً مفصلاً مقاطع) :

يامعشر الأزد وربعة

أنتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر .

وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار .

ويدنا على العدو .

والله

لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة

ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام .

(١) الدكتور عمر فروخ هذا الشعر الحديث ص ١١٥ - ١١٦

(٢) المصدر السابق ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤

فان استشرى شنانكم
وأبي حسك صدورك
ففى أموالنا واحلامنا سعه لنا ولكم .
وأما الأمثلة من المقامات فسأكتفى منها بالمقامه الحرزيه لبديع الزمان الهمذاني
(٣٩٨ = ١٠٠٧ م)

حدثنا عيسى بن هشام ، قال :
لما بلغت بي الغربة باب الأبواب .
ورضيت من الغنيمة بالإياب .
ودونه من البحر وثاب بغاريه
عساف براكبه . -
استخرتُ اللهَ فى القفول
وقعدتُ من الفلك
بمثابةِ الهلك
ولما ملكتنا البحر
وجنَّ علينا الليل .
غشيتنا سحابةٌ تمدُّ من الأمطارِ حبلاً
وتحوذ من الغيم جبلاً
بريحٍ ترسلُ الأمواجَ أزواجاً
والأمطارَ أفواجاً
وبقينا فى يدِ الحين
بين البحرين

لانملكُ عدَّةً غيرَ الدعاءِ

ولاحيلةً إلا البكاءِ

ولاعصمةً إلا الرجاءِ

كما يذكر بأن أبا العلاء المعري كانت له محاولات في الشعر الحر " ثم إن أبا العلاء المعري (ت ٤٤٩=١٠٥٧م) نفسه حاول شيئاً من هذا المزاج - من حيث الموضوع ومن حيث النسق (أو كما يقولون هم ، من حيث المحتوى ومن حيث الشكل ، كما قال : (١) .

الربيعان

حرسهما الله شهري ربيع

وما عنيت شهرين

يُعرفان في السنة بهلالين

ولكني أردتُ نيسان وأخاه

والحق يصحُ ولمن وخاه

فإنهما ربيعاً عام

يجيئان البشرَ بالإنعام

الأول يجني الثمار

والآخر يجني الأزهار

فالشعر الحر في نظر الدكتور عمر فروخ أدب قديم موجود منذ الجاهلية فإنفـلاب الوزن واختلاف القافيه كان موجوداً في النثر الفني الجاهلي في الخطب والرسائل والأمثال وسجع الكهان - والمقامات كما أن أبا العلاء المعري نظم شعراً بهذه الطريقة

(١) رسالة الهناء - بيروت - المكتب التجاري - ص ٩٢ - ٩٣)

المنفلته في الوزن المختلفة القافية ، فكان الدكتور عمر فروخ يريد أن يقول لدعاة التجديد في الشعر إنهم لم يجددوا ولم يأتوا بجديد فكل ما يكتبونه اليوم تحت اسم الشعر الحر كان موجوداً في النثر الفني الجاهلي وفي الموشحات وإن كانت الموشحات - في نظره - أرقى بكثير من هذا الذي يدعونه شعراً حراً حيث أنها تلتزم بقواعد وضوابط معينة في الوزن والقافية تخلق عنها الشعر الحر ، فرأيه في نشأة أو بداية الشعر الحر مخالفة تماماً لما ذكره النقاد والدارسون ، فهم في - نظري - يطلقون حكمهم بناء على تقييم محدود ونظرة قاصرة أو بالأحرى يطلقون حكمهم بناء على ما حدث في العصر الحديث من ثورة على الشكل القديم للقصيدة لعل أساس وجود هذا اللون من الأدب في تراثنا الأدبي ، وأنا لايهمني في هذه الدراسة الحديث في بدايه الشعر الحر بقدر ما يهمني الحكم على هذا الشعر ، بما يلائم مستواه الفني كظاهرة جديدة في العصر الحديث من خلال آراء النقاد فيه .

إن نازك الملائكة تدعي بأن العروض الخليلي لم يعد قادراً على مواجهة الشعر في العصر الحديث فكان لزاماً أن يطور هذا العروض " لقد تطور الشكل في الشعر العربي بحيث لم تعد كتب العروض القديمة تكفي تمام الكفاية في نقد الأشكال الجديدة التي تمت اليوم وبات ضرورياً أن يطور العروض نفسه ليستطيع مواجهة الشعر ، وأنه لطبيعي تماماً أن تظهر الأنماط أولاً ثم تعقبها القواعد التي بها يقاس الفاسد منها ، وهذا لأن النمط خلق تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر ، وأما القواعد فهي مجرد استقراء واع" (١) بينما تقول في موضع آخر حول عيوب الشعر الحر :-

أ - يقتصر الشعر الحر بالضرورة على عشرة بحور من بحور الشعر العربي الستة عشر ، وفي

هذا للشاعر غبن يضيق مجال ابداعه فلقد ألف الشعر العربي أن يجد أمامه ستة عشر
بحراً شعرياً وافيهها ومجزؤها ومشطورها ومنهوكها "

ب - يرتكز أغلب الشعر الحر - ثمانية بحور فن من عشره - إلى تفعيلية واحدة ، وذلك
يسبب فيه رتابة مملة ، خاصة حين يريد الشاعر أن يطيل قصيدته ، وعندى أن الشعر
الحر لا يصلح للملاحم قط ، لأن مثل تلك القصائد الطويلة ينبغي أن تركز إلى
تنوع دائم ، لافى طول الأبيات العددى فحسب وإنما فى التفعيلات نفسها
ولا سئما القارئ" (١)

وانى لاتعجب أشد المعجب من هذين الرأيين المتناقضين ، فكيف لمن بحور الشعر
العربى الستة عشر لم تعد كافية فى نقد الأشكال الجديدة ، فى حين أن عشرة بحور فقط
يمكن أن تؤدى الغرض المطلوب .

أما الدكتور محمد النويهى فيقول فى الشكل القديم : " إننا نؤكد بكل هدوء وثقه
أن الشكل القديم لم يعد صالحاً بالمره لاداء المعانى الجديدة والصور الجديدة مهما يكن
الشاعر عبقرى أصيلاً ، فإن أصالته وعبقريته لاشك ستختنقان تحت ذلك العبء الثقيل
الذى يكتم عليهما أنفاسهما " (٢) سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل يجعل الدكتور
محمد النويهى اللغة والشعر أداه حرث كانت تستعمل قديماً ولم تعد تنفع فى هذا العصر ،
أم أنه وسيلة نقل لا بد من تطويرها مع تطورات العصر ، أم أنه زى قديم لم يعد مناسباً
فى هذا العصر ، إن الشعر هو لغة التخاطب الوجدانى عبر الأزمان والأجيال فلو
أن لكل عصر لغة خاصة لما فهم اللاحقون تاريخ السابقين ، كما أن الشعر إن لم يلتزم

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) قضية الشعر الجديد ، د . محمد النويهى ص ٩٣

(بقيوده) كما يدعى الدكتور محمد النويهي فأين وجه العبقرية إذن ؟

أما الدكتور عمر فروخ فإنه يرد على مثل هذه الأقوال وغيرها بقوله : " واعتذر أنصار الشعر الحر لتخليهم عن بحور الشعر المألوفه ، بأن تلك البحور قيود على عبقرية الشاعر ، فلا يستطيع الشاعر معها أن يعبر عن كل ما يريد كما يريد ، ولكنهم مخطئون إذا لم يكن هنالك قيود على المرء (أى قواعد متبعة تكون مقاييس للجودة فى الانتاج عند المنافسة) فكيف يُعرف العبقرى من غير العبقرى ، ويتابع رده على هؤلاء " وعندى أن جميع الذين اختاروا طريق الشعر الحر صدروا عن مبرر واحد : هو ضعفهم (من الناحية العملية الواقعه أو من الناحية النظرية العارضه) فى ثقافه المنطقيه وفى الروايه اللغويه " (١)

فهو يرد على كل قول يمس بحور الشعر العربى الستة عشر أو يتهمها بالتقصير أو التقييد ونراه يقول فى موضع آخر : " وإذا كان العروضيون قد عدوا ستة عشر بحراً (وزناً للشعر) فليس معنى هذا أن الأوزان الممكنه فى نظم الشعر هى ستة عشر فقط ، وليس معنى هذا أيضا أن هذه الأوزان مستعمله فى نظم الشعر على درجة واحدة من الشبوع ، إن العرب منذ الجاهليه قد توفروا فى النظم على ثمانية أبحر هى : الطويل والبسيط والوافر والكامل والرجز والرملى والخفيف ، ونجد عدداً من القصائد على السريع والمتقارب ، أما مابقى من الأبحر فكان النظم عليها قليلاً أو نادراً ذلك لأن الأبحر الأولى كانت أكثر مطاوعة للموسيقى وأوسع صدرأ لجميع المعانى الكثيره " (٢) فهذا القول كاف للرد على نازك الملائكه التى تدعى أن العروض القديم لم يعد كافياً لنقد الأشكال

(١) هذا الشعر الحديث ، الدكتور عمر فروخ ص ٩٨

(٢) المصدر السابق ص ٦٢

الجديدة ، فالدكتور عمر فروخ ينقد الشعر الحديث نقداً موضوعياً سليماً بينما أرادت نازك الملائكة كما أرى شيئاً في نفسها أو أحببت أن تسلط الأضواء عليها فنظمت هي وغيرها من المعاصرين هذا القول وسموه شعراً وادعت بعد ذلك أن العروض القديم لم يعد كافياً لهذا العصر ولو كان الأمر كما تقول لكان الأخرى بها أن تأتي بحور جديدة تضاف إلى بحور الشعر العربي لأن تقطع من هذه البحور ما أرادت من أوزان ثم تنظم عليها وتسمى ذلك شعراً ثم إن البحور العربية فيها المجزوء والمنهوك والمشطور وما إلى هذا النحو مما نظم عليه العرب الأقدمون ويفسح المجال لهؤلاء الذين يدعون إلى التجديد في موسيقى الشعر فيغرف كل من هذا المعين الذي لا ينضب كل حسب قدرته وامكاناته الفكرية والشعرية .

فالشعر موسيقى وقافية ووزن، بينما النثر الفني موسيقى فقط وسجع واتفاق فواصل في بعض الأحيان ، فكان الأخرى بنازك وبغيرها ممن نادى بهذا النوع من الأدب وسموا شعراً حراً أن يسميه "نثراً منغماً" فهذه التسمية - في رأيي - أكثر دقة، بل إن كلمة شعروا صرار هؤلاء عليها هو الخطأ بعينه، فالشعر هو نظم موزون له قواعد تضبط مسيرته وتحدد معالمه ، وإلا فلا يمكن تسميته شعراً أبداً ، أما اصرار هؤلاء على تسمية ما يقولون ويكتبون شعراً فلا حساسهم بالعجز والضعف أمام الموروث الفني الرائع.

أما عن ادعائهم بأنهم اخترعوا شعر التفعيلة فيقول فيهم الدكتور / عمر فروخ :
" فالذين يقولون اليوم بالنظم على " تفعيلة " حديثه (جديدة) ويقصدون أنها لم تخطر للخليل بن أحمد أو للعرب قليلو العلم بالشعر والغناء معاً . . ومن أجل ذلك يحس بأولئك الذين يفتخرون بأنهم ينظمون على تفعيلة جديدة أن يطلعوا أولاً على شيء مما يجري فيه الكلام في هذه الدنيا . إن هؤلاء إذا كانوا جهلـون

شيئاً فليس معنى جهلهم أن ذلك الشيء غير موجود " (١) فنازك الملائكة تقول فى كتابها قضايا الشعر المعاصر و مع أن الحركة كانت قائمة على أساس راسخ من العروض العربى بحوره وأشطره وقوافيه إلا أن الجمهور العربى قد تكشف عن مقاومة مستمرة صريحة لها ، فلم يرض أن يتقبل هذا الشعر الجديد " (٢) كما تقول فى موضع آخر: " والواقع إن الشعر الحر جار على قواعد العروض العربى ، ملتزم بها كل الالتزام " فأين التجديد إذن ؟ ! إذ أن النظم على التفعيلة كان معروفاً عند العرب منذ القدم فى الشعر الغنائى والموشحات والمسمطات فما الجديد الذى أضافه أنصار الشعر الحر ؟ !

أما فى نظر الدكتور عمر فروخ فإنه يرى أن هذا الشعر مشوهاً فى اللفظ والمعنى إذ يقول : " وهذا الشعر الذى يقال له حديث ينظر إليه من ناحيتين : من ناحية النظم الفنى ومن ناحية المعانى والغشاء اللفظى الذى لتلك المعانى :-

أما من ناحية العروض (النظم الفنى) فإن أشياعه لا يقيدون أنفسهم بقاعدة من القواعد ، لافى البحر أو الوزن ولا فى القافيه ولا فى شكل من أشكال القصيدة (لا تكون مقاطعهم قصيدة مؤتلفة الأشطر ولا موشحة ذات نسق معين ولا جمل متساويه فى عدد الكلمات) وإن زعموا أن لهم قواعد من العروض ينظمون عليها .

أما فى المعانى ، فأهل الشعر الحديث يتناولون المعانى العادية جداً ثم يركبونها فى أزواج متناقضة وفى فوضى من السياق وفيما يلى مطلع لمقطوعة تناولتها عفواً من جريدة السفير (بيروت ٢٠/٨/١٩٧٨) ، ص ٨ :-

(١) هذا الشعر الحديث ، د. عمر فروخ ص ٦٤ - ٦٥

(٢) قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة ص ١٤١ - ١٤٦

محيطاتٌ حزينة .

ترقدُ تحتَ أجنحه السنون

تستظلُّ بالقصائد

امرأةٌ خائبة

تخرجُ من لوحةٍ ملطخة .

تمتطي جياتها الكسيحة

وتمضي ... (١)

أما الدكتور محمد النويهي الذي ينادى بهذا الشكل الجديد فيقول : " إن الشعر الجديد قد نجح إلى درجة غير زهيدة في تخفيف الوطأة الجرسية البارزة للوزن العربي وفي الغناء السيمتريه الطاغية وتقليل الرتوب الموسيقي ، وفي التحرر من العبودية الشكلية ، وأنه قدم للشاعر شكلاً لاشك أنه أكثر مرونة وسعة وأنه لذلك أكبر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوي مع المضمون الذي يريد الشاعر أدائه " (٢)

باللعب من هذا القول : أيمن أن يكون هذا الأسلوب الجديد أكثر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوي مع المضمون الذي يريد الشاعر أدائه؟ فما المقصود بقوله : أكثر قدرة ؟ يعني أن الشكل القديم (الشعر العمودي) غير قادر على التجاوب والانسجام مع المضمون ؟! إن هذا تجاوز وقلب للحقائق ، فالقول كما قال الدكتور عمر فروخ من أن أهل هذا الشعر يتناولون المعاني العادية جداً ثم يركونها في أزواج متناقضة وفي فوضى من السياق ، وقد ذكر استاذنا الفاضل نموذجاً لهذا الشعر ولا أريد أن أثقل دراستي هذه بالاكثار من ايراد الأمثلة الممسوجة لهذا الشعر ولكني

(١) هذا الشعر الحديث ، د . عمر فروخ ص ٨٣

(٢) قضية الشعر الجديد ، د . محمد النويهي ص ٥١٢

أريد أن أرد على الدكتور محمد النويهى الذى يقول : " إنه اكبر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوى مع المضمون الذى يريد الشاعر اداءه " وعلى قول نازك الملائكة " إن الشاعر الحديث يرفض أن يقسم عباراته تقسيماً يراعى نظام الشطر ، وإنما يريد أن يمنح السطوة المتحركة للمعاني التى يعبر عنها ، ونظام الشطرين كما سبق أن قلنا متسلط يريد أن يضحى الشاعر بالتعبير من أجل شكل معين من الوزن ، والقافية الموحدة مستبدة لأنها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه فى البحث على عبارات تتسجم مع قافيه معينه ينبغى استعمالها ، ومن ثم فإن الأسلوب القديم عروضى الاتجاه ، يفضل سلامة الشكل على صدق التعبير وكفاءة الانفعال ويتمسك بالقافيه الموحدة ولو على حساب الصور والمعاني التى تملأ نفس الشاعر وكل هذا ايثار للأشكال على المضمونات بينما يريد العصر أن ينشغل بالحياة نفسها وأن يبدع منها أنماطاً تستنفذ طاقته الفكرية والشعورية الزاخرة ، إن كل ميل إلى تحكيم الشكل فى المعنى يغيظ الشاعر المعاصر ويتحداه ، وهذا هو السبب فيما نراه من مبالغة بعض الناشئين فى استعمال الأوزان الحرة حتى كادوا يبنذون الأوزان القديمة نبذاً تاماً " (١)

باللعجب والدهشة من مثل هذا القول فهلا أوردت لنا الكاتبة شعراً عمودياً قديماً استبدت فيه القافيه الموحدة على المضمون ؟ ! ثم أين هى المعاني العظيمة أو القيمة فى هذا الشعر الحديث ؟ ! إنه كما قال الدكتور عمر فروخ مشتمل على معانٍ عادية مركبة فى شئٍ من التناقض والفوضى ، فقد ذكر لنا نموذجاً يدل فى مايقول ، وغيره كثير من النماذج الثقيلة البعيدة عن المضمون المفهوم أو حتى الشكل الموسيقى الجميل

(١) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ص ٦٣

ويكفيني أن أورد بعض النماذج للشعر العربي القديم (العمودي) والذي يشتمل على المضمون الجيد الذي يتجاوب معه الشكل وينسجم أيضا بصورة لا يقارن فيها بالشعر الحديث .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت في همزتيه التي يمدح فيها الرسول عليه السلام ويهجو أبا سفيان (١)

تثيرُ النقعَ موعدها كداءُ	**	عدمناخيلنا إن لم تروها
على أكتافها الأسلُ الظمأُ	**	بيارين الأعنة مصعدات
تلطمهن بالخمير النساءُ	**	تظلُ جياذنا متمطرات
وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ	**	فإما تعرضوا عنا اعتمَرنا
يعزُّ اللهُ فيه من يشاءُ	**	ولا فاصبروا لجلاءِ يومٍ

فهل طغى الشكل هنا على المضمون ؟

وقول بشار بن برد في معاملة الصديق : (٢)

صديقك لم تلقَ الذي لاتعاتبه	**	إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً
مقارِفُ ذنبِ مرةٍ ومجانِبُهُ	**	فعبسَ واحداً أو صلَّ أخاكَ فإنته
ظمئتَ وأى الناسِ تصفومشاربه	**	إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى

وقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :- (٣)

أراعها حزنٌ أم عادها طرب؟	**	ما بال عينيك منها دمعها سرب
فالدمع منها عليه الدهر ينسكب	**	أم ذكر صخر بُعيد النوم هيجها؟

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي ص ٥٧ - ٥٨

(٢) العصر العباسي الأول د . شوقي ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ص ٢١٠

(٣) ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ص ١٣

يالهف نفسي على صخر إذا ركبت * * خيلٌ تنادى ثم تضطرب
قد كان حصناً شديد الركن ممتنعاً * * ليثاً إذا نزل الفتيان أو ركبوا
أغرّ أزهراً مثل البدر صورته * * صافٍ عتيق فما في وجهه ندبٌ
وقول زهير بن أبي سلمى في معلقته (١) :-

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * * وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يغترّب بحسب عدواً صديقه * * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * * وإن خالها تخفى على الناس تعلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * * يكن حمده ذماً عيه ويندم

فهل هناك شعر حر يضاهاى جمال وروعة هذا الشعر شكلاً ومضموناً ؟
ونرى الدكتور عمر فروخ يسخر من أنصار الشعر الحروما توجهوا إليه في أسلوب أدبي رقيق حيث يقول : " كل ما أرجوه من أنصار الشعر الحر وأنصار الشعر المنثور وأنصار ما لا أدرى اسماً له أن يوجدوا لما يتخيلونه اسماً كما فعل العرب من قبل لما احتاجوا الوجوه نشاطهم الأدبي إلى أسماء دالة فقالوا قصيد ورجز وخطبه ورسالة ومثل ومقال ومقامه ، فإذا كان أصحابنا من الناشئين في قوالب الأدب الفرنجى - استغفر الله - بل في قوالب الدعوة الفرنجيه - عاجزين عن الاسم فإنهم يكونون حينئذ عن المسمى أشد عجزاً" (٢)

(١) شرح المعلقات السبع تحقيق الزوزنى ط ٣ دار الكتاب العربى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص ٨٠

(٢) هذا الشعر الحديث ، د . عمر فروخ ص ٢٣٨

فالدكتور عمر فروخ يطلب من دعاة التجديد أن يضعوا اسماً ملائماً لما يكتبون، وقد وضع الدكتور محمد النويهى تسمية لهذا الشعر فهو يقول : " لذلك انتهينا بعد بعد تفكير إلى اقتراح هذه التسمية " الشعر المطابق " فنعنى بانطلاقه أنه وإن يكن لا يزال شعراً يقوم على الوزن ويلتزم أساساً إيقاعياً ذا إطراد ، فهو لا يتقيّد بعدد محدود من التفاعيل لكل بيت ، ولا يلتزم بجميع أحكام العروض التقليدية ، بل يسمح لنفسه بتنوع الإيقاع مجازة لما يتطلبه المضمون الفكرى والعاطفى ، إلا أنه من ناحية أخرى لا يصل فى هذا الانطلاق إلى التخلص التام من كل ضابط وزنى ، فالانطلاق على هذا الاصطلاح ليس فوضى تامه وليس هدرأ لجميع الضوابط . " (١)

فى رأى: إن هنا اعتراف من دعاة الشعر المنثور بأن فى هذا الشعر فوضى واهـدار للضوابط فالدكتور محمد النويهى يقول : " فالانطلاق على هذا الاصطلاح ليس فوضى تامه وليس هدرأ لجميع الضوابط " يعنى أن هناك فوضى ولكن ليست تامه وهناك اهـدار للضوابط ولكن ليس جميعها ، وفى رأى أيضا - إن هذه التسمية ليست دقيقة فكما قال الدكتور عمر فروخ أن على دعاة التجديد أن يختاروا اسماً مناسباً لما يكتبونه فقولهم " شعر مطلق " لا يعنى عدم التقيد بعدد محدود من التفاعيل لكل بيت ، أو عدم الالتزام بجميع أحكام العروض التقليديه ، فعدم التقيد بالتفاعيل وعدم الالتزام بأحكام العروض فى الشعر يعنى انفلات " وليس " انطلاق " ثم إن ماقلت به نازك الملائكة لم يلقَ ترحيباً من دعاة التجديد بل ثاروا عليها واتهموها بأنها تحاول أن تجعل من نفسها زعيمة لهذا الاتجاه ونقضوا كل ماقلت به ورفضوا أى تعقيد لهذا الشعر ، ثم لئن أحب أن أقدم

(١) قضية الشعر الجديد ، د . محمد النويهى ص ٥٤

بعض المساعدة لدعاة التجديد وأضع لهم اسماً مناسباً لما يقولونه ويكتبونه، فالاسم المناسب - في رأيي - " النثر المنغم " فما يكتبه دعاة التجديد نثراً وليس شعراً أبداً، لأن الشعر لابد فيه من التقيد بقيود موسيقية واضحة كي يُميز عن بقية فنون الأدب الأخرى فما دام ما يكتبه دعاة التجديد يتفلت من الوزن والقافية فإننا لا يمكن أن نطلق عليه شعراً، فهو نثر - كما أرى - ويراها معنى كل مؤمن بالفرق بين الشعر والنثر من حيث الشكل، لكن هذا النثر يشتمل على بعض النغم والموسيقى المؤثرة الجميلة، فهو نثر منغم " حتى ولو قسمناه وفصلناه بفواصل ، ونازك الملائكة تقرر هذه الحقيقة في كتابها قضايا الشعر المعاصر حين تقول : " كان أسلافنا صارمين في احترامهم للشعر وللوقفة العروضية في آخره وفي آخر البيت ، ذلك مع أن شعرهم كان ذا أشطر متساوية عروضياً فحتى لو أنهم رصوه دون أن يققوا في آخر الشطر ، لما أساء ذلك إلى شعرهم لمجرد أنه موزون وزناً شطرياً كاملاً ، بحيث لا يبقى عليه خوف حتى من أن يكتب في أسطر ، دونما فواصل تفصل الشطر عن الشطر " (١) كما تقول عن الشعر الحديث في موضع آخر من الكتاب في نفس الموضوع " إن الشاعر المعاصر مولع بالتسكين فأكثر قوافيه ساكنة الآخر ، فإذا تهاون الشاعر وأدمج الأشطر فإن القارئ قد يتلو القوافي مشكوله بحسب اعرابها وبذلك يضيع الوزن كلياً . . . لذلك السبب ينبغي لنا أن نتخذ الطريقة العربية في كتابة الشعر مساعدة للقارئ على تحسس الوزن فيه إن الشطر هو الحاكم علينا أن نخضع له ونحن نرص شعرنا الحر على الصفحة ، علينا أن نكتب الشعر الحر بحسب الأشطر ، فنضع كل شطر منفرداً على سطر مستقل " (٢)

(٢٠١) قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة ص ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧

فهذا اعتراف من داعية إلى الشعر الحر كما تسميه بأن هذا الكلام إذا كُتب مترصاً وأدمجت الأشرطة فإن هذا الشكل يفسد ويصبح نشرًا ، بينما الشعر العربي القديم (الشعر العمودي) حتى وإن كتب في أسطر متصلة لا خوف عليه لأن الالتزام العروضي يميزه ، إذن الشعر يبقى شعراً بأي طريقة كُتب ، أما ما تسميه شعراً حرّاً فلأنه لا بد أن يكتب بفصل كل شطر عن الآخر فإنه لا يسمى شعراً أبداً فهو نشر ، وهذا ما أراده الدكتور عمر فروخ عندما أورد نماذجاً (١) من النشر القديم (من الخطبه والمقامه) وبين أنها إذا كتبت بطريقة الأشرطة فإنها ستكون أجمل مما يُدعى بالشعر الحر وعلى هذا يمكن أن نسمى ما يقوله وما يكتبه دعاء التجديد "النشر المنغم" فهو أقرب إلى النثر منه للشعر وإن لم يكن نشرًا خالصاً ولا ننسى أن النثر الفني يشتمل على النغم والموسيقى وهذا ما يفرقه عن النثر العلمي والتقيرى ، كما أن ما يخلد ويبقى من الأدب ما كان قوياً جميلاً مؤثراً سواء كان شعراً أم نشرًا .

* * * * *

(١) راجع الصفحات السابقه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع
عمر فروخ بين معاصريه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الاول

جهوده الأدبية والنقدية في
رأي النقاد المعاصرين

الفصل الأول

جهود الأدبية والنقدية في رأى النقاد المعاصرين

بعد أن عرضت بعون الله في البابين السابقين لجهود الأدبية والنقدية - رحمه الله - يهمني هنا أن أعرض لقيمة هذه الجهود في رأى النقاد المعاصرين ، فالدكتور عمر فروخ غني عن التعريف لدى الأدباء والنقاد لما له من آثار وجهود واضحة في مجال الدرس والبحث والتأليف في كثير من العلوم التاريخية والفلسفية والأدبية والنقدية والرد على المستشرقين والدراسات الإسلامية والتأليف المدرسي إلى جانب البحوث والندوات والمحاضرات التي كان يقدمها - رحمه الله - ولما كانت دراستي هذه تتناول دراساته الأدبية والنقدية فقط، فإنني أعرض لآراء النقاد المعاصرين في هذه الدراسات ، ولأخفي على قارئ الكريم ما لاقيت من جهد ومشقة في التعرف على آراء النقاد المعاصرين في جهود الدكتور فروخ الأدبية والنقدية ، فأنا أرى بأنه - رحمه الله - لم يأخذ حظه من الشهرة بالمقارنة بما له من بصمات واضحة في مجال البحث والتأليف والبذل والعطاء ، فأخذت أراسل بعض الأساتذة الذين أتوقع منهم الاتصال الواضح بفكر عمر فروخ والتعرف عليه من خلال معاشرتهم له عن طريق الزمالة في العمل أو المعاصرة التي سمحت باللقاء، ولما عن طريق قراءاتهم لأعماله الأدبية والتعرف على فكره وآرائه وفي الوقت ذاته أتوقع منهم أن يستجيبوا لطلبي ويراسلونني بما أرغب فيه من تزويدى بآرائهم في جهود الدكتور عمر فروخ الأدبية والنقدية من أمثال : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، والدكتور يوسف عز الدين والدكتور عفيف عبد الرحمن وقد قرأت بعض الآراء للدكتور علي زيعور في كتابه صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ فهو يقول في شخصيته بصفة عامة " الدكتور فروخ شخصية فكرية ذات تقدير يتعرض باستمرار للجدال والتنازع فليس هو عند البعض

ذا شأن كبير ، بل ويقال هنا إنه دارس أو مؤرخ تجاوزته الأبحاث الراهنة ، وقد قال آخرون إنه كان ذا تأثير سلبي في أجيال درست في كتبه ، أو اتبعت آراءه ومنهجه في النظر للحضارات والدين ، بينما وقف آخرون يسيرون في الاتجاه المناقض واضعين تلك الشخصية الباحثة في منزلة رفيعة ويعطونها لواء الريادة " (١) هذا حول شخصيته وتأليفه بصورة عامة ، ومن الطبيعي أن يكون لكل انسان مؤيدون له في طريقته وأسلوبه وأعماله ومعارضون أيضا ، لكن لا بد أن تكون هناك موضوعية وعدل في إصدار الأحكام فقول أحدهم بأن الدكتور عمر فروخ دارس أو مؤرخ تجاوزته الأبحاث الراهنة قول لا يستند إلى موضوعية أو عدل إذ كيف يطلقون حكماً كهذا على مفكر وعالم بذل قصارى جهده وجل وقته عاكفاً على الدراسة والبحث والتأليف مقدماً الكثير من البحوث والمؤلفات التي استفاد منها الدارسون والباحثون ولا يزالون ؟!

ويذكر الدكتور علي زيعور رأيه في دراسات الدكتور عمر فروخ في الأدب العربي فيقول : " إن عمر فروخ أديب ودارس قدير سباق في الأدب العربي ، هذا دون التخلي عن موقفه كمفكر في الفلسفة أي حيث النظر إلى الوجود لشمولية منهجه وبأفكار مذهبه ، لكن ما هو الدكتور فروخ في تقديم وتقييم الأدب العربي في قطاعه الجاهلي وفي ساحاته الأخرى ؟! الرد يسهل إذا انطلقنا من الدور الذي ارتضاه المؤلف لنفسه ، وهو التوضيح والاحياء وتقديم الصورة الغائبة والمطعونة للأديب العربي وتاريخه وللتاريخ العام إن الموضوعية في المنهج ليست الطريق إلى التجهم والتهجم والخط من قيمة الأدب

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٣٩ .

أو مثلته وكمثنته ، ولا هي من جهة أخرى الدفاع التقريضي أو التقديسي" (١) فمن مزايا الدكتور عمر فروخ في مؤلفاته عامة وتاريخ الأدب خاصة الموسوعية العلمية التي لا تميل إلى رأي معين أو نظرية معينة دونما دليل مقنع أو برهان واضح .

كما يقول حول الدراسة نفسها " وعمل هو بالاتساع الذي نلقاه ، ربما لن يتعارض مع وصفنا له بأنه موسوعي ، هنا أرى أن صفة الموسوعية تنطبق على نتائج عمل استاذنا ، بحيث أنني أقبل تسمية ذلك العمل الكبير باسم : موسوعة الأدب العربي ، التسمية فقط هي المفقودة وليس المحتوى أو الروح والمناهج ، لعل المؤلف لم يقصد إلى تلك النتيجة التي بلغها إذ ربما لم يكن قصده في البداية أن يقدم لنا تلك الموسوعة التي صارت اليوم منجماً ونبعاً في ميدان تاريخ الأدب العربي " (٢)

حقاً فإن دراسة الدكتور عمر فروخ لتاريخ الأدب العربي تعتبر موسوعة فريدة من نوعها لدى المؤلفين العرب ، وقد أشرت إلى ذلك عند حديثي عن تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة . (٣)

وعن تأليفه في أدب الأطفال والشعر التمثيلي يقول الدكتور علي زيعور : " لعل قليلين من هم الذين يعرفون أن الدكتور عمر فروخ صاحب باع وله أثر في قطاع أدب الأطفال ، ربما تكون الحاجة في ذلك الزمن هي العامل المفسر لذلك المنتج الذي خدم الأولاد على مقاعد المدارس ، وربما تكون الموجة الأدبية آنذاك ذات تأثير ، لكن

(١ ، ٢) - صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور علي زيعور ص ٩٣ - ٩٤

(٣) راجع الفصل الأول من الباب الثاني في هذا البحث .

الدكتور عمر هو نفسه الذي كان يعاني ويشعر بالحاجة لاغناء أدب الأطفال بالقصائد البسيطة الجميلة ، وهكذا تضافرت الدوافع النفسية مع البواعث القادمة من الحقل المدرسي لتتفاعل مع الميول الأدبية عند شاعرنا ، فأظهر للناشئة ما يبدو للناقد اليوم أدبا رهيفاً ، وذائعاً^(١)

فالدكتور عمر فروخ كما يرى الدكتور علي زيعور باحث أديب ذو مكانة مرموقة قلما نجدها في العصر الحديث فقد كان متبنياً قضايا وطنه وأمه العربية في المجالات الأدبية والاجتياحات الثقافية ، وهذا ما وجدته ولمسته أثناء بحثي ودراستي لكتبه رحمه الله .

أما الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي-أطال الله في عمره- فإنه أرسل لي رسالة موضحاً فيها رأيه فيه فيقول : " عمر فروخ أديباً في الطليعة وناقداً يتميز بدق مرهف ونظرة واسعة والملم كبير بتراث العرب والغرب ويجيء في المقدمة في الدراسات الأدبية والفلسفية والفكرية ، وله في التصوف والدراسات الإسلامية والتاريخية مجال واسع ، توباع طويل وبحوثه اللغوية التي نشرت له في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة تدل على عالم لغوي كبير صاحب اطلاع واسع على شتى علوم العربية ، وعلى حس لغوي مرهف وبصر نافذ بأساليب اللغة وأحكامها وخصائصها ، لقد فقد الفكر العربي الحديث علماً من أعلامه ونابغة من كبار نابغيه ، وسيبقى اسمه على امتداد عصور التاريخ خالداً في أسفار المفكرين والأدباء^(٢) " فالدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي يؤكد بأن الدكتور عمر فروخ أديب ناقد ملم بتراث العرب والغرب له نتاج واسع في مجالات متعددة من العلوم غير الأدب

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور علي زيعور ص ١١٣ - ١١٤

(٢) من رساله بعث بها إليّ

كالفلسفة والتاريخ والتراث الاسلامي وجميع هذه الاعمال جعلت منه مفكراً وأديباً نابغاً وكفلت له ولعلمه الخلود في أسفار المفكرين والادباء .

أما الدكتور عدنان الخطيب فيتحدث عن رأيه في شاعرية الدكتور عمر فروخ، هذه الشاعرية التي يغفلها كثير من الدارسين فهي في الحقيقة اتجاه واضح للدكتور عمر فروخ فهو مؤلف وشاعر لكنه لم يهتم بالشعر كثيراً ، يقول الدكتور عدنان الخطيب : " عندما عثرت بعد وفاته رحمه الله ، على كتاب " غبار السنين " وقرأت في تقديم الفقيه له أنه سيملاً كل فراغ يحدث في صفحاته عند الطباعة ، بمقطوعات من شعره يناسب عدد أبياتها مع حجم الفراغ الذي تتركه كل لمحة من اللوحات النثرية المجموعة فيه ، أخذت أقرأ تلك المقطوعات فبهرتني ما قرأت إذ وجدت نفسي أفف أمام شاعر شاعر وليس أمام عالم ناظم ، لقد اكتشفت في فقيدنا الراحل ما كنت أجهله عنه رغم طول عشتري له وعمق صداقتي معه ، لقد اكتشفت أن عمر فروخ كان شاعراً موهوباً ينظم الشعر الجيد الرفيع . ، ويستمر في تعليقه على شاعرية الدكتور عمر فروخ قائلاً : " لقد كان عمر فروخ يملك مقومات الشعر الحقيقي من حس مرهف وشعور رقيق وخيال مبدع ولغة ضليعة ونظرات انسانية عميقة وثقافة بعيدة الآفاق " (١)

فالدكتور عمر فروخ كان شاعراً موهوباً لكن النشاط الشعري لديه كان نشاطاً جانبياً كما يذكر في مقدمه ديوانه " فجر وشفق " (٢) ولو أنه تفرغ لنظم الشعر لغداً من كبار الشعراء وأعلامهم في العصر الحديث ، لكنه اتجه إلى التأليف والدراسة والبحث فتأليفه - رحمه الله - لا يقل قيمة أبداً عن نظم الشعر ، فقد ألف في

(١) الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام (مرجع سابق) ص ٥٤

(٢) فجر وشفق (ديوان) ص ١٤

الدفاع عن الاسلام واللغة العربية ، وفي التراث الاسلامي ، ونذر قلمه من أجل اخراج كنوز هذه اللغة ومكنوناتها إلى الوجود ، وتعريف العامة والخاصة بها ، والرد على المستشرقين وإيقاف هجومهم على المسلمين واللغة العربية ، وتاريخ العرب وذلك بالحجة والبرهان وقد ظل كذلك إلى أن انتقل إلى جوار به - رحمه الله - وهأنذا أنقل هنا بعض أبيات من شعره لننتعرف على شاعريته ومستواه الفني .

(١) في غبار السنين يقول في إحدى لمحاته :-

رَبِّ يَوْم كَدت في	**	ظلماته أَقتل نفسي
انما يهدأ روع الـ	**	مرء حيناً بالتأسي
أنت لا تُدعى حليم الـ	**	قوم في ليلة أنـس
فلقد يعرف قدر الـ	**	حلم في ساعة يأس
يخرج الانسان في دنـ	**	ياه من بؤس لبؤس

وله قصيده يتحدث فيها عن تربية الأطفال بعنوان "الطفل" يقول فيها :- (٢)

هيء له المستقبل	**	وَأَنزِلْهُ سُبُل العِلا
واجعل له الدنيا تلاء	**	لأ كالأضحى أو أجمل
واحمله في بدء الحيا	**	ة مخافة أن يفشلا
واسلك به النهج القوي	**	م ضحى إلى أن يعقلا

(١) غبار السنين (مصدر سابق) ص ٤٠

(٢) ديوانه فجر وشفق (مصدر سابق) ص ٧١

أما الدكتور يوسف عز الدين فقد كتب إليّ جزاءه الله خيراً وأطال في عمره حول رأيه في جهود الدكتور عمر فروخ العلمي فقال فيه : " الأستاذ الدكتور عمر فروخ زميل من خيرة الزملاء عاشته في مجمع اللغة العربية في القاهرة وعرفته من كتاباته المتعددة والمتنوعة فقد كتب في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ولكن لم تطبع كل المجلدات ، وكتب في تاريخ الفكر إلى أيام ابن خلدون إليّ أن يقول : " وكان رحمه الله يهديني كتبه وللأسف إنها في خزانة كتي في بغداد وكانت هذه الكتب متعددة الأغراض فهو موسوعة أدبية وفكرية وقد جمع من كل شيء بطرف وكان يجمع المعلومات جمع العالم المتمكن ويختار اختيار الأديب الذواقه كان صادق الرأي عميق النظر وكان خبيراً بما يكتب " (١) .

فالدكتور عز الدين يرى أن الدكتور عمر فروخ موسوعة أدبية وفكرية لتعدد الموضوعات التي تناولها في مؤلفاته وشمول الدراسات التي أثبتها سواء الفكرية منها أو الأدبية كما يشيد بشاعريته ويذكر مزايا طريقته في التأليف فيقول : " إنه شاعر رقيق صادق عاطفة ، ومؤرخ ثبت في بحوثه في التاريخ أو الأدب العربي ، فقد ترك لنا تراثاً كبيراً وأدباً مفيداً وفكراً شاملاً سهّل على الدارسين طريق العلم بما جمع من علوم ومهد الطريق للعلماء بوضع أسماء مصادر بحثه ومراجع كتاباته . . إنها روح العالم الجاد والدارس المدقق " (٢)

فالدكتور عمر فروخ كان دءوباً في عمله لا يكل ولا يمل من التدقيق والتمحيص حول أى فكرة يريد تدوينها ، وقد انعكس ذلك على مؤلفاته وبحوثه فأخرج لنا تراثاً عربياً اسلامياً ، يفخر به من حيث السعة والشمول إلى جانب الدقة والتمحيص .

(١) من رساله بعث بها إليّ الدكتور عبدالمنعم خفاجي .

(٢) من الرسالة نفسها .

كما يقول عنه : " وكان رحمه الله واسع الاطلاع على التراث العربي والاسلامي ويعرف عدداً من اللغات الأجنبية وقد درس الترجمة فوسعت آفاقه في الأدب الانجليزي والفكر الغربي ، ثم تعلم الألمانية وأكمل بها دراسته العاليه . . واستفاد من المحاضرات التي كانت تلقي في السوربون باللغة الفرنسية في باريس^٦ " ويسترسل الدكتور يوسف عز الدين موضحاً أثر الاطلاع الواسع على فكر الدكتور عمر فروخ فيقول " هذا الاطلاع الواسع على التيارات الفكرية والآراء الغربية مع قاعدته العربية الاسلامية المتينة ظهرت في أسلوب البحث العلمي الذي كان رائده في تأليفه فجمع التيارات الغربية مع أصالة التراث . . ولما ألفت في التاريخ الاسلامي كتب بروح العالم المؤمن المحايد ورد على من هاجم الفكر العربي والحضارة الاسلامية ولما كتب في تاريخ الأدب والتاريخ سهل الأمور وبسط البحث ليستفيد منه العالم والدارس وظهرت سهولة أسلوبه في كل كتبه في الفلسفة والنحو والنقد واللغة لأنه كان عميق الفكر سديد النظر^{*} " .

فالتراث العظيم الذي أخرجه لنا الدكتور عمر فروخ ما كان إلا لسعة اطلاعه وسعيه المستمر منذ أن كان طالباً للاستفادة من علم الأساتذة سواء في بلده بيروت أو في رحلته العلمية الى ألمانيا والتي زار أثناءها باريس من أجل الاستفادة من المحاضرات التي كانت تلقي في السوربون في توسيع ثقافته واثراء معلوماته^(١) .

ويذكر الدكتور يوسف عز الدين ميزة عظيمة في طريقة تأليف الدكتور عمر فروخ وهي " الحيدة " فيقول : " كتب بروح العالم المؤمن المحايد " وهذا أهم ما يجب أن يتميز

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول في هذا البحث .

* من الرسالة التي بعث بها إلى الدكتور يوسف عز الدين .

به الكاتب والباحث والدارس والمؤلف اذ لا بد أن يكون موقفه من أى قضية - أيا كان أطرافها - موقفاً محايداً موضوعياً بعيداً عن التعصب متوخياً الدقة والأمانة في كل ما يقول ، فالموقف الحيادي الذي سلكه الدكتور عمر فروخ خاصة في الرد على المستشرقين وكل من هاجم الفكر العربي والحضارة الاسلامية جعل من مؤلفاته نبراساً يفتخر به كل عربي مسلم ويقتدى به كل باحث ومؤلف .

وقد أفاد - كما يقول الدكتور يوسف عز الدين - الدارسين والباحثين بمؤلفاته القيمة في تاريخ الأدب بسهولة أسلوبه ووضوح خطته وغازة مادته ويختتم الدكتور يوسف عز الدين رأيه في جهود الدكتور عمر فروخ العلمية بقوله : " ان كتبه رحمه الله أصبحت مصدراً موثقاً لكل باحث يريد الدقة في الاستنتاج والعمق في التتبع . . دون أن يفقد الروح الانسانية وايمانه العميق بالله وثقته بعروبه ، انه احتوى علوم الغرب وهضمها ثم كتب كتبه بقاعدة عربية اسلامية فكان مثلاً يحتذى به في البحث والتحقيق في كل ماكتب"

فاحتواء الدكتور عمر فروخ لعلوم الغرب واستيعابه لما قرأه فيها لم يجعله يتأثر بها في تفكيره واسلامه وعروبه وينجرف خلف التيار الغربي الذي تأثر به للأسف الكثير من مفكرى الأمة العربية والاسلامية . ، بينما الدكتور فروخ كان على عكس ذلك تماماً فرغم تلقيه دراسات عليا في بلاد الغرب واتقانه للعديد من اللغات الأجنبية إلا أنه صهر هذا العلم كله في فكره الاسلامي فأخرج لنا المؤلفات القيمة التي تعتمد على الاستفادة من علوم الغرب بما لا يخالف الحقائق التاريخية ولا يتناقض والعقيدة الاسلامية .

كما أن الدكتور عفيف عبدالرحمن كتب الى - جزاه الله خيراً - حول رأيه في جهود الدكتور عمر فروخ الأدبية والنقدية فقال : : يشكل شخصيته العلمية ما يلي :-

- ١ - عشق متفان للغة العربية .
- ٢ - اعجاب شديد بالشعر القديم واعلامه كالمتنبى وأبي تمام وأبي نواس والشنفرى .
- ٣ - صلة وثيقة بالفكر العربي الاسلامي ومواكبة تطوره عبر العصور .
- ٤ - غيرة شديدة على اللغة العربية دفعتة الى خوض معارك ضد معاوئ هدمها .
- ٥ - لا يعجبه هذا الشعر الحديث (الحر أو شعر التفعيلة) .
- ٦ - كثير الخصومات مع من لا يرى رأيه ، فهو يرى أن دراسة شعر شاعر لا تكون بالوقوف محاميا عن الشاعر بل باستنطاق الشاعر وشعره أو الناشر ونثره^(١) .

فالدكتور عفيف عبدالرحمن يحدد شخصية الدكتور عمر فروخ العلمية وخاصة الأدبية منها كما يلمسها من مؤلفاته ومعاشرته له فترة من الزمن ، فهو يرى بأن الدكتور عمر فروخ شديد الغيرة على اللغة العربية مما دفعه الى الدفاع عنها والوقوف في وجه كل من يحاول المساس بها ، كما يرى بأنه شديد الاعجاب بالشعر القديم غير معجب بالشعر الحديث (الحر أو المثنو*) فعشق الدكتور عمر فروخ للغة العربية وغيته عليها واعجابه بالشعر القديم ونذر قلمه لخدمة هذه اللغة سواء من الناحية الأدبية أو اللغوية أو الفكرية جعل منه علما من أعلام الفكر والأدب في العصر الحديث .

وفي جريدة المدينة نقراً في ملحق ألوان من التراث بإشراف الدكتور محمد يعقوب تركستاني تحت عنوان " جاهد وضحي في صمت ، وأعطي بلا حدود ورحل " نقراً

* راجع مناقشتي لهذه القضية في الفصل الثاني من الباب الثالث في هذا البحث .
(١) من رساله بعث بها إليّ الدكتور / عفيف عبدالرحمن .

تحت هذا العنوان " توفي في بيروت صباح يوم الخميس المنقضي علم من أعلام التراث الاسلامي واستاذ من أساتذة هذا الجيل في اللغة والأدب والتاريخ والفلسفة وهو الدكتور عمر فروخ عن عمر يناهز الثمانين عاما هذا العمر الذي كان حافلا بالجهاد والتضحية في سبيل الاسلام والعربية والتراث الاسلامي وكان مفعما بألوان النشاط والحيوية والعمل الدءوب المخلص الجاد ، وقد عرف عن الفقيد - رحمه الله - حبه الغريب للقراءة والكتابة وشغفه العجيب بالاطلاع والبحث والدرس والتأليف وحديثه الكبير على طلابه وخلطائه من محبيه وعارفي فضله ، فقد كان يبذل لهم جهده ووقته وماله وعلمه ونصحه وارشاده بلا حدود .

كان - رحمه الله - يقرأ ويكتب ويصنف ويشرح ويبذل علمه لطلابيه حتي آخر يوم في حياته " ^(١) وهذا التقريظ الذي صدر عقب وفاته نجد فيه الاشادة بجهود الدكتور عمر فروخ والتأكيد على اتساع فكره وتعدد مجالات علمه مما يؤكد بأنه كان موسوعة علميه وعلماء من أعلام الفكر والأدب .

أما في المجلة العربية فقد كتب د . محمد حمد خضر مقالا بعنوان : الدكتور عمر فروخ الذي رحل بعد أن عاش حياته لخدمة لغة الضاد وأدبها : " أفتقد الأدب العربي علما من أعلامه الذين خدموه في منتصف الشهر قبل الماضي ، ذلكم هو د - عمر فروخ الذي وافاه الأجل المحقوم أثر نوبة قلبية وهو يكتب على الآلة الكاتبة مقالا عن (التراث الاسلامي) ^(٢) فالدكتور محمد خضر يؤكد على أن

(١) جريدة المدينة الخميس - ٢٦ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٧ م

محمد التراث

(٢) المجلة العربية العدد ٢٤ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ص ٢٢

الدكتور عمر فروخ علم من أعلام الأدب العربي وأنه خدم هذا الأدب طوال حياته—
الي أن وفاة الأجل وهو يكتب مقالا عن التراث الاسلامي .

أما الأستاذ مصطفى يعقوب فيقول فيه: " والحقيقة - ولعلنا بذلك لانجاوز الصواب

أن الدكتور عمر فروخ هو واحد من عمالقة جيل الرواد الأوائل الذين جمعوا بين—
الثقافتين العلمية والأدبية في آن معا " (١)

فجميع النقاد الذين أدلسوا بآرائهم - في هذا البحث - حول جهود الدكتور

عمر فروخ الفكرية والأدبية اجمعوا على أنه كان رحمه الله - عالما ومفكرا وأديبا اسلاميا

نذر قلمه لخدمة دينه ولغته فألف في التاريخ والفلسفة والأدب واللغة والرد على

المستشرقين مما كان له الاثر الواضح في مسيرة الحركة الأدبية في العصر الحديث.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الثانى

مكانته فى الحركة
الادبية المعاصرة

الفصل الثاني

مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة

من خلال ماعرضت في الأبواب السابقة عن الدكتور عمر فروخ ، ودراساته في الأدب والنقد ، واهتمامه بالأدباء والشعراء على مر العصور وحرصه على بسط ذخائر الأدب العربي ، وتفانيه في الدفاع عن لغة القرآن الكريم ، وماعرضت له في الفصل الأول من هذا الباب حول آراء بعض النقاد والمعاصرين في جهوده الأدبية والنقدية بصفة خاصة ، والفكرية بصفة عامة ، يسرني في هذا الفصل أن أقف قليلاً لأبين مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة .

يعتبر الدكتور عمر فروخ علماً من أعلام الأدباء ومفكرى العصر الحديث فهو مفكر أديب ناقد اسلامي غيور على عرويته واسلامه ، نذر قلمه وفكره لدراسة كثير من قضايا الأمة العربية والاسلامية من خلال مؤلفاته المتعددة الموضوعات : في الأدب واللغة والشعر ، والتاريخ والفلسفة ، والدراسات الاسلامية والرد على المستشرقين والترجمة لكن مايمهني في دراستي هذه هو الوقوف على مؤلفاته الأدبية وبيان صداها وأثرها على مسيرة الأدب العربي في العصر الحديث ، ومن ثم بيان مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة على ضوء هذه المؤلفات .

فلو أنعمنا النظر في موسوعته : تاريخ الأدب العربي بأجزائها الثمانية ، والتي تدرس الأدب العربي ونؤرخ له من الجاهلية إلى القرن الحادى عشر الهجرى هذه الموسوعة التي بذل فيها الدكتور عمر فروخ جل وقته وعظيم جهده كانت ولا زالت مصدراً هاماً لكل دارس وباحث في تاريخ الأدب العربي نظراً لغزارة المادة العلمية فيها

* والاحالات إلى المصادر والمراجع التي مكن العودة إليها من أراد الاستزادة حول موضوع ما ويجدر بي أن أذكر ما قاله الدكتور علي زيعور عن هذه الموسوعة ، فهو يقول عنها " وعمل هو بالاتساع الذي نلقاه ، ربما لن يتعارض مع وصفنا له بأنه موسوعي وهنا أرى أن صفة الموسوعية تنطبق على نتاج عمل أستاذنا ، بحيث أني أقتبل تسمية ذلك العمل الكبير باسم : موسوعة الأدب العربي التسمية فقط هي المفقودة ، وليس المحتوى أو الروح والمناهج ، ولعل المؤلف لم يقصد إلى تلك النتيجة التي بلغها إذ ربما لم يكن قصده في البداية أن يقدم لنا تلك الموسوعة التي صارت اليوم منجما ومنبعا في ميدان تاريخ الأدب العربي " ^(١) فموسوعته في تاريخ الأدب العربي بماحتوته من مادة علمية غزيرة لنا أن نعتبرها كنزا ومنجما ومنبعا في مجال تاريخ الأدب العربي والتأليف فيه في العصر الحديث ، كما أن تناوله للأدب في المغرب والأندلس بهذا الاتساع في هذه الموسوعة ، حيث أفرد بثلاثة أجزاء منها لم يسبقه أحد من الباحثين أو الدارسين يمثل هذه الدراسة الواسعة* فهو يؤرخ ويبسط ذخائر الأدب في المغرب والأندلس خلال الحقبة الممتدة منذ الفتح الإسلامي في القرن الأول للهجرة إلى الفتح العثماني في المغرب سنة ٩٢٣هـ ^(٢)

فهذه الدراسة الواسعة الشاملة للأدب في المغرب والأندلس والفريدة من نوعها من حيث غزارة مادتها العلمية واهتمامها بالأدب المغربي في كل فتراته الأدبية تبرز مكانة الدكتور عمر فروخ في الساحة الأدبية العربية المعاصرة مع غيرها من الدراسات التي لا تقل

* راجع الفصل الأول من من الباب الثاني من هذا البحث .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ٩٤

* راجع الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث .

(٢) راجع الموسوعة ج ٤ ، ج ٥ ، ج ٦

أهمية وفائدة عن هذه الدراسة . كما أنه كان شاعراً رقيقاً مجيداً ، ويقول الدكتور علي زيعور في شاعريته :- " تتجلي شاعرية فروخ في كتاب " الأنشيد المصورة " وماحول ذلك العمل ، ويظهر الشاعر الرقيق ، والشاب المرهف الاحساس ، عبر قصائد تستطيع لمسها ثم امتداحها . وفي مجال أدب الأطفال يحوز شاعرنا عمر فروخ لواء يتقدم ذا أولوية في الزمن وفي الرتبة ، في التاريخ وفي المكان ^(١) " فالأنشيد التي نظمها في مجال الأطفال تقدم لنا شاعراً مجيداً مرهف الحس رقيق الشعور ، كما أن ديوانه " فجر وشفق " يمثل لنا الشاعرية الابداعية في شخصيته - رحمه الله -

وقد أشاد بشاعريته أيضاً الدكتور عدنان الخطيب فقال : " لقد كان عمر فروخ يملك مقومات الشعر الحقيقي من حس مرهف وشعور رقيق وخيال مبدع ولغة ضليعة ونظرات انسانية عميقة وثقافة بعيدة الافاق " ^(٢) فنحن لسنا أمام عالم ومفكر وأديب فقط وانما أمام شاعر أيضاً وشاعر جيد ، وان شاعرية الدكتور عمر فروخ لا تقتصر على الشعر الذي من نظمه هو بل تتعدى ذلك الى الشعر الذي يترجمه ، فأشعاره المترجمة عن اللغة الانجليزية والفرنسية والفارسية والالمانية تشعر من يقرأها كأنها منظومة أصلاً باللغة العربية ومثال ذلك قصيدة (عاشر في الهوى) المترجمة عن شكسبير : ^(٣)

أنا إن أخفت الحمام فؤادي * * وخلعت الحياة عن منكبي

لاتدع زهرة على النعش تلقى * * قد كساها الربيع زهواً ورياً

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٢٣

(٢) الدكتور عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة ، والاسلام (مصدر سابق) ص ٤٥

(٣) ديوان (فجر وشفق) للدكتور عمر فروخ ط ١ دار لبنان للطباعة والنشر بيروت - لبنان

لا ، ولا صاحباً يُحَيِّي رفاتني * * * حسبه ما بكى وقد كنت حيا
ألقني حيث لا يراني محباً * * * عاثر في الهوى فيبكي عليا

(١) وقصيدة (الزهرة) المترجمة عن الشاعر غوته :

خرجت للمرج أبغى * * * في المرج ترويح بالي
ولست أنشد شيئاً * * * قد مر قبل ببالي
جلست في الظل أرنو * * * لزهرة في خيالي
كالنجم والعين زهوا * * * وآية في الجمال
مددت كفي فمالست * * * تقول لي بـدلال
تريد قطفني لأدوي؟ * * * أراك تبغي زوالي
حفرت حول جذور * * * لها بكل اعتدال
وقمت أسعى لبليت * * * لناكثير الظلال
زرعتها فهي تنمو * * * في زينة المختال
ولا تزال تُرينا * * * زهرا بديع المثال

ومن شعره الذي هو من نظمه اخترت هذه القصيدة " استقبال الحياة " لنقف

على مدى شاعريته - رحمه الله - فهو يقول فيها :- (٢)

خذ من سرورك باليمين * * * إني سئمت من الأنين
وابسم إذا طالع النها * * * ر وسرّبه طلق الجبين

(١) المصدر السابق ص ١٦٦

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

وَحْضُ الحَيَاةِ مجَاهِداً	**	بالبشر فيها واليقين
ريان من ماء الصبَا	**	نشوان بالأمل المكين
فخر الشباب مُنَى تلو	**	ح ضحي فتؤخذ باليمين
لا يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّ	**	لَ غير ذى عزمٍ متين

فهذا الشعر الرائق الديباجة ينم عن شخصية مَرهفة الحس رقيقة الشعور ، إلى جانب الألفاظ القوية ، والعبارات الجزلة ، والالتزام بعمود الشعر العربي ، يجعلنا لانتردد في وضع الدكتور عمر فروخ ضمن شعراء العصر الحديث الذى يستحقون الدراسة والبحث المنهجي العلمي ، فما تركه لنا من شعر رائع سواء في ديوانه " فجر وشفق " أوفي كتابه " غبار السنين " الذى اشتمل على أشعار كثيرة وجيدة ، ترفع من مكانته رحمه الله وتضيف اليه لقبا آخر الي جانب الألقاب التي هو يملكها " مفكر وعالم وأديب ، وفيلسوف ، . . . فهو أيضا شاعر ولم يكتف - رحمه الله - بنظم الشعر ، وإنما اهتم أيضا بنقد الشعر أيضا خاصة الشعر الحديث من خلال كتابه : هذا الشعر الحديث الحديث ، ففي هذا الكتاب آراء واضحة وجريئة له حول الشعر الحر ، إذ إنه يعرف الشعر في بداية الكتاب وفي صفحة الاهداء بقوله : " هذا بحث في الشعر من حيث هو تعبير واضح عن فكر واضح في سياق جميل من القول القائم علي النظم الموسيقي والمقيد بالقافية ، أو بنظام من القوافي مما يكسب القول الجميل حسنًا " (١) فهو يعرف الشعر بأنه تعبير واضح عن فكر واضح وهذا التعبير لابد أن يكون في قول جميل موسيقي مقيد بالقافية فإنه بقوله : مقيد بالقافية ، يعلن عن اعتراضه الشديد

(١) هذا الشعر الحديث للدكتور عمر فروخ (مصدر سابق) ص ٥

على الشعر الحر الذي لا يلتزم بالقافية ، وهذا مايلمسه قارئ هذا الكتاب ، فإنه
سيلمس ثورة وغضب الدكتور عمر فروخ على أنصار الشعر الحر والمنادين به وقد دافع
- رحمه الله - عن اللغة العربية دفاع المواطن المحافظ على لغة دينه ، وقد تصدى
لكل من يحاول المساس بها من المستشرقين ، ونذر قلمه ووقته للرد على هؤلاء
المستشرقين ودحض آرائهم الباطلة وأقوالهم المغرضة ، ومارسالته العلمية التي
تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه إلا من هذا القبيل ، فقد عرض عليه أستاذه والمشرف
على رسالته " يوسف هل " أن يحل المشكلة التالية ، حيث يقول له : يرى نفر
من المستشرقين أن الاسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي
قياساً على أن النصرانية لم تبدأ في الانتشار بين الناس إلا في القرن الرابع للميلاد
فهل تستطيع أنت أن تعالج هذا الموضوع وتضع هذه المشكلة على أحد جانبيها" (١)
وبالفعل عالج الدكتور عمر فروخ هذا الموضوع ووضع المشكلة على أحد جانبيها إذ أنه
أثبت من خلال الشعر في صدر الاسلام ومن السنة الأولى للهجرة أن تعاليم الاسلام
كانت تستقر في نفوس المسلمين ، فهذا كله يجعلنا نُجِل الدكتور عمر فروخ ونعكف
على دراسته، حيث يحتل مكانة مرموقة في الساحة الأدبية في عصرنا الحاضر فقد ساهم
في خدمة العلم والفكر والأدب واللغة ، وفوق هذا كله قد خدم المسلمين
من خلال اهتمامه بقضايا الأمة العربية والاسلامية ، ومشاركته في الندوات والمؤتمرات
التي تقام لدراسة قضايا الأمة العربية الاسلامية حتي آخر حياته " وكانت آخر محاضرة

(١) المجلة العربية العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١ هـ ص ٢٦

له قبل أسبوع من وفاته في النادي الثقافي العربي بمناسبة مرور ثمانمائة عام علي معركة حطين ، وقد تساءل في نهاية كلامه بحرارة : (أين هو صلاح الدين منقذ هذه الأمة اليوم ؟) . وقد تحدث الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني عن جهوده - رحمه الله - في تأبينه، في الكلمة التي ألقاها في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في يناير ١٩٨٨م، فقال : قد ترك الفيلسوف الأديب عدداً كبيراً من المؤلفات والترجمات يربو على الستين* وإن انتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . فانتاجه الأدبي والفكري ، انتاج غزير يشغل ميادين مختلفة وربما كان أهم ميادين هذه الدراسات في انتاج عمر فروخ الموسوعي ، يتحدد في قضايا الأدب واللغة والنقد والتاريخ والفلسفة والسياسة وربما كان موضوع العروبة والاسلام في فكر عمر فروخ من أهم الموضوعات التي تستحق الدراسة في فكر فيلسوفنا الراحل . وسنحاول في هذه الكلمة المقتضبة أن نلقى أضواء على هذه الجوانب المتعددة من أدب عمر فروخ . ولكن لابد لكل دارس لأدبه أن يأخذ بعين الاعتبار قضيتين أساسيتين ، أحدهما : الحياة السياسية والثقافية في الوطن العربي بعامة وفي بلاد الشام بخاصة ، والأخرى شخصية عمر فروخ وتكوينه الثقافي والعلمي حيث شخصية العالم العربي توجه انتاجه الخصب في ميادينه المختلفة

ففي مجال الأدب وتاريخه ، غني أدبنا عناية فائقة بالتراث ومحاولة تقديمه بثوب جديد ومنهجية علمية إلى الدارسين . فقد وضع كتابه الموسوم : " تاريخ الأدب العربي " في ستة أجزاء . حاول فيه تقريب الموضوع للدارسين والباحثين وبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين . وينطلق عمر فروخ في

* من خلال حصري لمؤلفاته - رحمه الله - وجدت أنها تربو على الثمانين (راجع

تاريخه للأدب العربي من النظرة الكلية الشاملة لوحدة هذا الأدب ، وأنه إذا كان أرخ للأدب في المشرق ثم أرخ للأدب في المغرب ، لا يعني على حدّ تعيينه أن الأدب المشرقي ينفصل عن الأدب المغربي ولكنه اتبع هذا المنهج لغايات الدراسة والبحث وسهولة التناول . ونحن إذا استثنينا الدراسات التي عقدها حول العصور السياسية وخصائصها الأدبية ، فقد احتوت هذه السلسلة بأجزائها الستة مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الانتاج الوجداني . ووضع المؤلف مقدمة لهذه السلسلة استعرض فيها المؤلفات التي كتبت حديثاً في تاريخ آداب اللغة العربية ، ووضع كتاب " تاريخ آداب اللغة العربية " لبروكلمان في المكانة الأولى ويعتبره مبتكراً وشاقاً للطريق لم تشق من قبل وهي دراسة قيمة على قصرها ، وتمثل أيضاً روح النقد عند مؤرخ الأدب عمر فروخ .

وعني عمر فروخ بالتاريخ دراسة وتديساً وتأليفاً ، وكان له منهجه المميز ، فلم ير في التاريخ قصصاً وحكايات ساذجة يتناولها الرواة بعد أن تعمل فيها الأهواء عملها . ويتمثل منهجه في التاريخ بالتحليل العلمي لأحداث التاريخ وتحولاته . وقد أكسبه هذا المنهج العلمي قدرة كبيرة على النفاذ إلى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في مجريات الأحداث والتفريق بينها وبين الأسباب والعوامل الثانوية وربما كان للتكوين العلمي في ثقافة عمر فروخ تأثير كبير في منهجه العقلاني في دراسة تاريخ الأمة وتراثها . ومن هنا نشأت أفكاره في وجوب إعادة النظر في رؤية جديدة لتاريخنا العربي ، لأن التاريخ الصحيح ، كما يراه ، لا يكون اقليمياً ، فالأقليمية تشوه تاريخ العرب والمسلمين وتفقده عظمته وقيّمته ومكانته ، ولذلك طالب بالرجوع إلى كتابة تاريخنا كما كان كتبه عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وطارق بن زياد

والحجاج بن يوسف ، والمأمون ، صلاح الدين الأيوبي وغيرهم . . . وقد وضع عمر فروخ أيضا عدداً من الكتب التاريخية تتفاوت في موضوعاتها ومنها : تاريخ الجاهلية ، وكتاب العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، والعرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، والعرب في حضارتهم وثقافتهم

ويتجلى فكر عمر فروخ الفيلسوف في ثنايا تأليفه وفي مواقفه الحياتية التي عاشها مخلصاً لرأيه وسط الزعازع والمؤثرات وحروب الحاقدين على تاريخ الأمة وتراثها والمنشقين عن كيائها . فقد آمن بوحدة الفكر الفلسفي ، وكان له موقف من قضية المعرفة ، يذكرنا بموقف أخوان الصفا وخلان الوفاء في القرن الرابع الهجري ، عندما حاولوا تقريب المعارف العلمية والفلسفية إلى أذهان عامة المثقفين وهذا مايفسر مقولته : " مادامت الشمس للجميع فلم لا تكون المعرفة للجميع أيضا . "

وكذلك كان فيضه للعلاقة بين الدين والفلسفة ، حيث رأى أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي دعا الانسان الي التفكير في كل شيء وبينما كانت الفلسفة عدوة الدين عند النصارى ، كانت الفلسفة في الاسلام ، كما يقول ابن رشد : " صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة " . . . وهذه مقولة معروفة جيداً في الفكر الاسلامي ، حيث يمثلها التيار الذي أخذ على عاتقه التوفيق بين الفلسفة والدين ومن خير مايمثله قصة " حي بن يقظان " لابن طفيل

وتتميز فلسفة عمر بأنها انسانية تربوية ، فالبراعة في العلم على حد تعبيره ليست قائمة على الذكاء فقط ، ولكنها قائمة أيضا علي الجهد وعلى السعي والمثابرة ولن البارع في عمل ما إذا انقطع مدة عن ممارسة ذلك العمل قلت براعته فيه ، وربما .

بطلت وكثيرة هي الآراء المتناثرة التي تعبر عن فلسفة عمر وهو يحل العمل والخبرة محلاً مهماً إلى جانب الاستعداد الفطري . إذ يفسر الحالات التي تطرأ عند الشخص الواحد فيقول : " إن الاستعداد الفطري واحد ، ولكن الاختيار إذا طال صقل الاستعداد وسهل عليه العمل ، ثم أكسب العمل تنظيمًا ووضوحًا " وكان الالتزام أساساً في سلوك عمر فروخ وفي قلمه . فقد وجد في مهنة التدريس مهنة وسلوكاً ، ونظراً في الحياة ، وطريقاً لنهضة المجتمع واستعادة القوة للإسلام في الحضارات الراهنة .

أما نقد عمر فروخ ، فهو جزء من نظريته إلى الحياة ، وفي إطار فلسفته والتزامه الفكري ، وهو أيضاً يعكس شخصية عمر في حدته وجداله ، والنقد عنده أداة معبرة من أدوات الوصول إلى الحقيقة والدفاع عنها . . وقد شمل النقد عنده معظم ميادين المعرفة . . وكما يترجم عنه صوته الحاد لئلا ما استثاره الغضب فإنه يترجم عنه أسلوبه اللاذع إذا ما تعلّق بالموضوع بالاساءة إلى تراث الأمّة أو لغتها أو فكرها ولنقف قليلاً عند تقييمه لبعض الكتب في تاريخ الأدب ويقول عمر - رحمه الله - أما إذا كان هنالك كتاب ككتاب اسمه "آداب العربية وتاريخها" لـ جرجس كنعان (بيروت سنة ١٩٣١م) فمن احترام العلم ومن الستر على صاحبه ألا يذكر . ومثل هذا يقال في كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام للأنبىء شيخو ، وفي الكتيبات التي استُثقت منها . فإنّ هذه الكتب كلها بنيت على أساس فاسد ، وما بني على فاسد فهو فاسد . كان الأب لويس شيخو ينقب وينقر ويجهد نفسه ولا همّ له إلا أن يثبت أن شاعراً من الشعراء الجاهليين كان نصرانياً على مذهب معلوم وكذلك فعل عمر في نقده لأعمال " هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت " وجملته القول فإن النقد الأدبي والاجتماعي والفكر اللغوي يكون معلماً بارزاً في حياة فيلسوفنا الناقد

أما أسلوب عمر الساخر اللاذع ، فإنه أدواته في جميع المجالات ، ولا يقتصر على ميدان بعينه ، ولكنها سخرية ، تذكرنا بأسلوب الجاحظ ، تدفعنا إلى الضحك دون تجريح أو إشارة أحقاد . ونسلك في هذا الباب الدعاء الذي ختم به كتابه القيم الموسوم " التصوف في الاسلام " يقول : " اللهم فاحمه من أصحاب المراء وسراق الآراء الذين يظهرون العلم ويبغون الظلم ، ثم يسطون على آراء الناس وهم يتسترون بمناصب وصلوا إليها ودعايات اقتدروا عليها . واحمه اللهم أيضا من حسود حقود كفور كنود ، لا ينفع الناس بشيء ولا يدعهم يلجأون إلى شيء ، يعز عليه أن يرى رجلا يكتب كلمة لا يستفيد هو فيها درهما ، فيرى الناس كلهم من خلال نفسه ويود أن لو دفعهم جميعاً إلى رمسه . اللهم إن أمثال هؤلاء قذى في عين العلم فأنفه عنها . إنك السميع المجيب " (١)

وأما نتاج فيلسوفنا المنافع عن الاسلام ، فإنه يستحق الدراسة والبحث . فقد كانت له بحوث وموضوعات ألفت في عدد من المؤتمرات والمناسبات أو نشرت في المجلات والصحف ، وقد نذر حياته كلها للدفاع عن العروة والاسلام . وقد جمع كثيرا من هذه المقالات ونشرها في كتابه الموسوم : " تجديد في المسلمين لافي الاسلام " بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١ م . وقد قدم إليها بقوله : " في هذه البحوث والموضوعات آراء يقصد بها هنا أن تكون من باب الاجتهاد الشخصي ، مأخوذة من مصادر الاسلام ومعرضه على العقل والمنطق . ومع أنها كلها راجعة إلى أعمال السلف ومعروفة المطان عند الفقهاء ، فليس معنى هذا أنها وحدها صحيحة وأنه لا يجوز العمل بغيرها : إنها آراء صحيحة في نفسها إلى جانب الآراء الصحيحة الواردة عند الفقهاء ، ثم

(١) انظر : عمر فروخ ، التصوف في الاسلام ، بيروت ، (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

إنها أيضا خاضعة للمناقشة " ونحن نرى في هذه المقدمة خلاصة وافية لمنهج عمر في دراسة التراث متكئا على النصوص في مصادرها الأولى ، ومعنا النظر فيها من خلال العقل والمنطق . وأما كتابه المعروف " التصوف في الاسلام " فقد بذل فيه جهداً علمياً كبيراً وإن موقف عمر من التصوف مبني على دراسة قد امتدت حسب تعبيره إلى أكثر من عشر سنوات وقد أختار عنوان كتابه بعناية ودقة فهو " التصوف في الاسلام ، وليس " التصوف الاسلامي " لأنه ينكر أن يكون هنالك تصوف اسلامي .

ويربط الفيلسوف الأديب عمر فروخ بين الاسلام والعروبة ، ويرى أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، تمثل أمتن هذه الروابط وأقواها . وكيف أن هذه اللغة الشريفة قد اتسعت في أوجه دلالاتها من غير أن تتبدل أو تتحدر عن فصاحتها وله في هذا الميدان كتاب " عبقرية اللغة العربية " وهو في الواقع مجموع بحوث ، قد ألقيت في مجمع اللغة العربية في القاهرة أو في اجتماعات مختلفة . . يؤكد المؤلف من خلالها مقدرة اللغة العربية على القيام بجميع وجوه التعبير في جميع ميادين الحياة

وإن الدارس الذي يستعرض الجوانب العلمية المتعددة لانتاج الباحثة الأديب عمر فروخ ، لابد وأن يقف عند كتابه المهم الموسوم " عبقرية العرب في العلم والفلسفة " وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الانجليزية منذ سنة ١٩٥٤ م . ويحدثنا ، رحمه الله ، عن الغاية من وضع هذا الكتاب فيقول : " ليست الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براقية وكلمات مرصوفة ، فيكون تمدحاً بالماضي وفخرًا بالاجداد

ولكن الغاية منه أن ندل علي مكانة العرب بما نعرضه من آرائهم ونظرياتهم " ويربط عمر دائماً بين الماضي والحاضر فيقول : " فلعلنا إذا رأينا عظمة ماضينا ، ومدى تأخرنا في حاضرننا ، أن نستطيع الوثوب إلي المستقبل وثبة صحيحة . " ويحتل التراث في فلسفة عمر مكانة جوهرية في حياة الأمم ، إذ يقول : " إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها . فالأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها . وإن الأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لا وزن لها في ميزان الأمم . " ويعلو صوت المؤلف في موضع آخر في وجه أعداء الأمة فيقول : " ولم نعلم في تاريخ الانسانية أن ثقافة ما هوجمت بمثل العنف الذي هوجمت به الثقافة العربية . ذلك لأن ثقافتنا بخصائصها وميزاتها سياج حقيقي لنا ، والرغبات في تمزيق هذا السياج كثيرة ظاهرة للعيان ، لاجابة إلي الدلالة عليها ، ثم إن الغاية من تمزيق هذا السياج تمزيق الأمة العربية نفسها ، وهذا ما يرمي إليه المستعمرون " (١)

وفي آخر الكتاب ينقد المؤلف الأوضاع العربية الحاضرة ، ويؤكد أهمية العلم في حياة الأمة ، وينعي علي العرب حاضرم الاستهلاكي . . . وينقد أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه ويدعو إلي ثورة علمية وتربوية كي تستطيع أمتنا مسايرة الحضارة الحديثة .

(١) انظر : عمر فروخ ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ

١٩٨٠م ، ص ٢٢ - ٢٣ . وكأني بالمؤلف يشير هنا الي كتابه القيم الذي وضعه

بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدي بعنوان : " التبشير والاستعمار في البلاد

العربية " وقد ترجم الي اللغة الروسية

وجملة القول فإن إنتاج عمر فروخ ، رحمه الله ، يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . وأن هذا الانتاج الخصب لا يمكن أن يفهم على حقيقته إلا من خلال دراسة الأحداث التي عاشها المؤلف . فقد أثر فيها وتأثر بها . . . وكان آخرها اغتيال ولده . مازن ، فكانت قاصمة الظهر .

خاتمة:

وبعد اغتيال ولده ببضعة أشهر وفي يوم السبت الواقع في السابع من تشرين الثاني سنة ١٩٨٧ م ، توفي الفيلسوف العربي عمر فروخ عن عمر يناهز الواحد والثمانين عاماً . فقد كان ، رحمه الله ، وقد عرفته عن كثب ، زميلاً كريماً وعالمًا جليلاً وفارساً لا تلين له قناة في الدفاع عن الاسلام والعروبة وعن كل ماهو حق .

وقد أغنى الخزانة العربية بمؤلفات قيمة ، وقضى حوالي ستين عاماً من عمره الخصب المعطاء في خدمة لغة القرآن وتأصيل جذور وحدة الأمة وإزاحة غبار القرون عن تراثها العظيم ، ليقدمه إلى طلابه وأبناء أمته في ثوب قشيب، تزينه اللغة الجميلة والمنهجية العلمية . وكان ، رحمه الله ، حريصاً كل الحرص من خلال ما يضيفه من رونق عقلاني على بحوثه وكتاباته أن يصل حاضر الأمة بماضيها وأن يكون رائداً لفجر مستقبل زاهر ، يستبين شعاعه من خلال حاضر مهين ، تلفه ظلمات تراكم بعضها فوق بعض ، وتكتنفه المؤامرات والفتن وتستهدفه النزوات الاستعمارية تبشيراً وكفراً واستغلالاً واستيطاناً واجتياحاً عسكرياً في البر والبحر والجو . . .

وكان ولده مازن ، رحمه الله ، من ضحايا هذه الفتن العمياء . . . وقد شاء القدر أن يُفجع المربي الفيلسوف ، وقد دلف إلى أعتاب الوحدة والثمانين من عمره

بفلذة كبده وقد ذهب ضحية فذيفة عمياء . . . وسقط المصاب جلاً على نفس الوالد الشيخ ولكن غلبه بالايان العميق والصبر الجميل . . . ولم ينقطع البحاثة المؤرخ عن العمل والتأليف . فقد حدثتنا الصحف أنه كان قبل أسبوع واحد من وفاته رحمه الله ، يحاضر من على منبر النادى الثقافى العربى في ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين . وبعدما نقل بعض الأخبار من مصادرها كما تقول الصحيفة تساءل بمرارة : " أين هو صلاح الدين منقذ الأمة العربية اليوم " رحم الله عمر ، الفيلسوف والأديب والمؤرخ والناقد ، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه الله خيراً عن خدمة أمته وتراثها العظيم ولغتها المجيدة لغة العروبة والاسلام ؟

هذا هو الدكتور عمر فروخ ، فهو العالم المؤرخ الفيلسوف الأديب الناقد الذى أشرى المكتبة العربية والفكر العربى بمؤلفاته وبحوشه القيمة وقد ظل كذلك حتى آخر حياته - رحمه الله - فكما ذكرت سابقاً قد وافاه الأجل المحتوم وهو يطبع على الآله مقالته الأخير عن (التراث الاسلامى) (٢) (١)

ويكفى أن نعاود قراءة ما بصفحات هذا البحث لنقف على مؤلفاته التى تربو على ثمانين مؤلفاً ، وبحوشه الكثيرة التى قدمها فى مجامع اللغة أو المحافل والمؤتمرات والندوات ، لنعلم المكانة العظيمة التى لاينكرها إلا ممار فى الحق جاحد لجهود الآخرين ، فما قدمه للأمة العربية والاسلامية خلال حياته يكفل له ولمؤلفاته

(١) كلمة التأبين التى قالها الدكتور عبدالكريم خليفة فيه - رحمه الله - فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) المجلة العربية العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ - ص ٢٣ .

الخلود في فكر المفكرين والأدباء والباحثين والعلماء كما يمنحه الأحقية في تناول إنتاجه المتعدد الفروع بدراسات علمية متعددة وقد أكد على هذه الأهمية الدكتور عبدالكريم خليفه في كلمة التأبين التي قالها فيه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لما قال : " وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة ، فإنتاجه الأدبي والفكري ، إنتاج غزير يشمل ميادين مختلفة "

رحم الله عمر فروخ العالم والمفكر والفيلسوف والأديب والناقد رحمة واسعة وأسكنه الفردوس في الجنة على ما بذل لأمته العربية والإسلامية من جهود عظيمة في ميادين شتى .

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخاتمة

- أ - أهم ما أضافته هذه الدراسة .
- ب - المقترحات

الخاتمة

لقد ذكرت في مقدمة بحثي أنني رغبت في القاء الأضواء على نتاج الدكتور عمر فروح الأدبي باعتباره من دارسي الأدب في العصر الحديث الذين يتوقف المرء أمام مؤلفاته الكثيرة ودراساته الأدبية الواسعة والتميزة ، وكان أول ما يتحتم على تناوله بالبحث والدارسه من مؤلفاته الأدبية والنقدية هو : " موسوعته تاريخ الأدب العربي " المكونة من ستة أجزاء مردفة بجزأين آخرين بعنوان " معالم الأدب العربي في العصر الحديث " فهذا الكتاب يعتبر من أوسع وأشمل الكتب التي أرخت للأدب العربي ، حيث يبدأ فيه بالعصر الجاهلي ومناقشة بعض القضايا حول الأدب فـ في هذا العصر مثل : أيهما أهم في العمل الأدبي (اللفظ أم المعنى) فهذه قضية قديمة وقد عرض لاختلاف النقاد حول هذه القضية فالبعض يرى بأن المعنى في العمل الأدبي أهم إذ إنه هو الغرض الأول المراد تحقيقه من أي عمل أدبي بينما يرى فريق آخر أن المعاني في متناول الجميع ، وإنما المعول عليه يعود على اللفظ أو الأسلوب فالشاعر أو الأديب الموهوب هو الذي يستطيع أن يكتب حول المعنى الواحد بعدة أساليب ، وهذا أمر صحيح على أن يضيفي كل أسلوب على المعنى شيئاً من الرونق والجمال والقوة والوضوح .

كماعرض لقضية أخرى : أيهما أقدم الشعر أم النثر ، ويرى عمر فروح أن النثر أقدم من الشعر باعتبار أنه أول ما تكلم به الأمم بينما يرى فريق آخر أن الشعر أقدم إذا نظرنا إلى معني كلمة (أقدم) بمنظار أدبي فالشعر هو الأسلوب الأول الذي تحدثت به الأمم والشعوب عن عواطفها وأفكارها . كما عرض للشعر في

الجاهلية فذكر أنه كان شعراً قوياً يعتمد على سبك المعاني وجزالة الألفاظ وكان عمودياً (يلتزم بوزن معين وقافية موحدة) أما النثر فقد تعددت أنواعه فهناك الخطب ، والحكم ، والأمثال ، سجع الكهان ... وقد كان النثر في جاهليته يعتمد على الصناعة اللفظية كثيراً . كما يرى الدكتور عمر فروخ أن الأدب في عصر صدر الاسلام كان متأثراً جداً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الاسلامي ، إلى جانب تأثره بالأدب الجاهلي من حيث الألفاظ الجزلة والأساليب الرصينة فكأنه تأثر في معناه بالاسلام وتعاليمه ، أما ألفاظه فهي لاتزال جاهلية ، إذ أن هناك الكثير من المعاني الجاهلية التي نبذها الاسلام مثل : الهجاء اللاذع والغزل الفاحش فهذان الغرضان لم نعد نراهما يظهران في الأدب الاسلامي من شعر ونثر وقد كان الشعر في عصر صدر الاسلام أداة دفاع وذود عن هذه العقيدة وعن مبلغها محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه ، فقد كان حسان بن ثابت وغيره من الشعراء الاسلاميين يردون على مشركي قريش ، ويشيرون الحماس في نفوس المسلمين للدفاع عن هذا الدين والصمود أمام أعدائه .

وكذلك النثر فقد كان لبث روح الحماس في نفوس المسلمين ولبيان تعاليم الدين الاسلامي لهم ، وقد تنوع النثر في هذا العصر أيضاً ، وإن كانت الخطب تعتبر أبرز فن نشأ فيه ، وهناك أيضاً الحكم والرسائل التي كان يرسلها الرسول عليه الصلاة والسلام للملوك والرؤساء يدعوهم فيها للدخول في الدين الاسلامي .

لكن ما كاد يطل علينا عصر بني أمية حتى نرى أن المعاني الجاهلية التي اندثرت بظهور الاسلام أخذت تعود مرة أخرى ، فعاد الهجاء اللاذع والتفاخر

بالأحساب والأنساب ، وقد نشأ فن جديد حول هذا الغرض يسمى " النقائض " ومايكاد يذكر أحد الشعر في عصر بني أمية إلا ويذكر معه النقائض التي كانت تدور بين ثلاثة شعراء فحول هم : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وقد كانت بين جرير والفرزدق أشد وأقوى ، وقد كان الشعر في هذا العصر متأثراً في ألفاظه بصفة عامة بالشعر الجاهلي فكانت ألفاظه جزلة قوية وأساليبه رصينة .

أما النثر فقد اتسع في عصر بني أمية اتساعاً كبيراً بسبب نشوء الأحزاب والمذاهب السياسية المختلفة ، وتطور الحياة الاجتماعية ، واتساع رقعة الدولة الإسلامية فطالت الخطبة في هذا العصر عما كانت عليه في عصر صدر الإسلام والعصر الجاهلي ، وقد نشأ فن نثرى آخر وهو " الرسائل " أو على الأصح اتسع فن كتابة الرسائل إذ أنها كانت موجودة منذ عصر صدر الإسلام فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرسل كتباً للملوك والرؤساء يدعوهم فيها للدخول في الدين الإسلامي ، فقد اتسعت كتابة الرسائل في هذا العصر فكانت الرسائل الإخوانية ثم الرسائل الديوانية وقد اشتمل النثر في هذا العصر على الصناعة اللفظية والاستشهاد بالحكم والأمثال والشعر وذلك في الخطب .

أما في العصر العباسي فقد مال الشعراء إلى الرقة والعدوية في الألفاظ نظراً لاختلاطهم بالفرس والسلاجقة ، وتغير أساليب الحياة الاجتماعية في هذا العصر ، كما أكثروا من الصناعة اللفظية والتأنق البيديعي وأخذ بعضهم يتحرر من القافية الموحدة وقد تطورت بعض الفنون كفن الوصف مثلاً ، إذ نجدهم يأخذون في وصف القصور والبرك والنوافير .. إلى جانب نظمهم في الفنون القديمة .

أما النثر فقد كان أيضاً يميل إلى سهولة الألفاظ ووضوحها والصناعة اللفظية ونشأت التوقيعات ، واتسع ديوان الرسائل . .

وبعد سقوط بغداد على يد هولاكو التتري سنة ٦٥٦هـ بدأ الأدب يميل إلى الضعف والركاكة لأسباب كثيرة ، منها : عدم اهتمام الخلفاء بالأدب من شعر ونثر لعدم اتقانهم اللغة العربية .. فأخذ الأدب يضعف رويداً رويداً إلى أن وصل إلى درجة الانحطاط ، وقد حاول الدكتور عمرفروخ أن يدفع عن هذه الفترة تسميتها بعصر الانحطاط ، وقد حاولت معه ، لكن تبقى الحقيقة الأكيدة التي نستنتجها من نتاج شعراء وأدباء هذا العصر ، وهي وصفه بعصر الانحطاط في الأدب ، وإن كان هناك شعراء قليلون نهجوا منهج القدماء في شعرهم من جزالة في الألفاظ ورصانة في الأساليب ، وقوة في المعاني ، لكن السمة الغالبة كانت هي الانحطاط والضعف والركاكة وقد استمر الأدب كذلك إلى عهد النهضة في بداية العصر الحديث .

أما الأدب في الأندلس فقد خصه الدكتور عمر فروخ بثلاثة أجزاء من موسوعته : تاريخ الأدب العربي ، فدرس هذا الأدب منذ القرن الهجري الأول - أي من بداية وصول العرب إلى المغرب والأندلس - إلى نهاية عصر بني الأحمر وسقوط آخر مدن غرناطة في يد الأسبان ، وقد كان هذا الأدب ، شعراً ونثراً - متأثراً بالطبيعة الخلابة في الأندلس ، وبالحياة الاجتماعية هناك ، فأتسع فن الوصف اتساعاً كبيراً ، فوصف الشعراء الطبيعة في شعرهم وما اشتملت عليه من جمال وروعة ، فوصفوا الأنهار ، والوديان ، والأشجار ، والورود ، والأزهار ، كما وصفوا مجالس اللهو والطرب والأنس ، وقد استدعت هذه الحياة ظهور فن " الموشح " الذي خدم الموسيقى والغناء كثيراً ، وقد كان ذلك في الفاظ سهلة عذبة سلسة .

هذا وقد عقدت مقارنة بين دراسة الدكتور عمر فروخ لتاريخ الأدب العربي وبعض

الدراسات المناظرة ، وقد أخترت منها : تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان
وسلسلة تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف ، وتايخ الأدب العربي لأحمد
حسن الزيات .

وقد استنتجت من هذه المقارنة كثرة عدد الشخصيات التي ترجم لها الدكتور
عمر فروخ بالنسبة للدراسات المقارنة لها ، إلى جانب غزارة المادة العلمية خاصة
في أفرادها ثلاثه أجزاء لتاريخ الأدب في الأندلس والمغرب ، فإتساع المادة العلمية
وغزارتها بالنسبة للأدب الأندلسي والمغربي تعتبر فريدة من نوعها إذ أن هذا
الأدب لم يأخذ حظه من قبل الدارسين والباحثين الذين غلب عليهم الاهتمام
بأدب المشرق .

أما الدكتور عمر فروخ فقد أرخ لهذا الأدب وفضل الحديث عنه وترجم لعدد كبير
من أدبائه وشعرائه وبذلك استطاع أن يعطي صورة واضحة شاملة للأدب العربي
في المغرب والأندلس خلال ثمانية قرون .

ولم يفت هذا البحث دراسة الشخصيات التي تعرض لها الدكتور عمر فروخ ، فهناك
شخصيات تناولها في موسوعته : تاريخ الأدب العربي ، وهناك شخصيات أخرى أفردها
بالدراسة واتضح لي من خلال هذه الوقفة أن دراسته للشخصيات في تاريخ الأدب
العربي كانت سطحية لا تتعدى ذكر اسم صاحب الترجمة وشيئاً بسيطاً عن حياته
وخصائصه الفنية ونموذجاً أو نموذجين من نتاجه وإن أردف كل شخصية بالمراجع
القديمة والحديثة التي توفر للباحثين جهدهم ووقتهم مما يُعد من حسنات الدكتور
عمر فروخ في هذا المجال .

أما تناوله للشخصيات في دراسة مستقلة ، فقد تناولت من هؤلاء : عمر
بن أبي ربيعة هذا الشاعر الغنائي الغزلي الأموي ، ، الذي أكثر من الغزل

في شعره وكان صريحاً فيه ، فلم يكن لحياته ظاهر وباطن ، والذي خرج عن نظام القصيدة الجاهلية التقليدية ، التي كان شعراء العصر الأموي لازالوا متمسكين بها فكان بذلك ارهاصاً لشعراء العصر العباسي .

كما خص الشاعر العباسي أبا تمام بدراسة مستقلة فتناول شعره بالبحث والتحليل وذكر أن شغف أبي تمام بالاغراب ما كان إلا لسعة اطلاعه ، وفكره القوي فيما يرى كثير من النقاد أن أبا تمام أسرف في الصناعة اللفظية والاغراب والتصنيع مما أرهاق الذهن في الوقوف على معانيه والوقوف على مراده .

كذلك خص أبا فراس الحمداني بدراسة مستقلة فأثبت في خصائصه المعنوية تغلب الجد على شعره لوقوعه في الأسر فكان شعره ممثلاً حسرة وأسى ولوعة وشكوى . . . وفي خصائصه اللفظية ذكر تفشي الصناعة اللفظية من بديع ومجازات وتشابيه واستعارات ، ولكن هذه المجازات والتشابيه والاستعارات لم تكن غامضة أو معقدة أو متكلفة إنما كانت واضحة جلية جميلة في مواضعها .

وأخيراً تناولت دراسته للشاعرين ابراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي وكلاهما من شعراء العصر الحديث ، وعاشا في فترة واحدة تقريباً ، وعانا وطأة المرض في جسيميهما والاحتلال لبلديهما ، وقد كان الدكتور عمر فروخ يميل إلى ابراهيم طوقان كثيراً باعتبار الصداقة التي كانت تربطهما .

كما تناول البحث رأى الدكتور عمر فروخ في الشعر الحديث بالعرض والتحليل إذ أنه يرى أن دعاة التجديد في الشعر الحديث قد تأثروا بالآداب الأجنبية وأدعوا أن النظم الحر المتفلت من الوزن والقافية شعراً جديداً ، ونسوا أو تناسوا

أن هذا النوع من الأدب وُجد لدى العرب منذ العصر الجاهلي واستشهد على ذلك بخطبة قس بن ساعدة الأيادي " (أيها الناس اسمعوا وعوا) " وهذا النوع من الكلام لا يسمى شعرا ، فالشعر لابد أن يلتزم بالوزن والقافية ، وتأثر دعاة التجديد بالأدب الأجنبية ، ومحاولتهم تطبيق ذلك على الشعر العربي جعلهم يخرجوا لنا قولاً ركيكاً ضعيفاً لا يشتمل على معان قيمة أو أساليب مؤثرة .

وقد آثرت أن أختتم هذا الباب بموازنه بين دراسة الدكتور عمر فروخ للشابسي ودراسة غيره له ، فكانت الموازنة بين رأيه في شعر الشابي ورأى أبي القاسم كرو ورأى الدكتور يوسف عزالدين وقد خلصت من ذلك أن الشابي قد تبني قضايا وطنه رغم مرضه ومعاناته النفسية والاجتماعية ، وأنه لم يكن ناقماً على الحياة العربية وعلى الشعب التونسي ، وإنما كان ناقماً على جمود هذا الشعب واستكانته وجبنه أمام المستعمر .

كما وازنت بين رأيه في الشعر الحديث ورأى كبار دعاة التجديد واستخرجت من أقوالهم فساد دعواهم وبطلانها ، فكانت الموازنة بين رأيه ورأى نازك الملائكة ، والدكتور محمد النويهي ، فهذان يعتبران من الذين دافعوا عن الشعر الحديث (الحر) بكل ما أوتيا من قوة ، وكأن الشعر العربي الأصيل لم يعد - في نظرهما - شعراً نافعاً لهذا العصر ، لكن مهما كثرت الآراء والأقوال المؤيدة لما ينادون به من تجديد فإنها لن تستطيع أبداً أن تحجب جمال وروعة وبهاء ورونق الشعر الأصيل الوزون المقي . وأخيراً كان لزاماً على أن أتطرق لآراء النقاد المعاصرين في جهده الأدبية والنقدية ومكانته في الحركة الأدبية المعاصرة فعرضت لآراء نخبة من الأساتذة

الأجلاء الذين اجمعوا على سمو الرسالة التي أداها - رحمه الله - إذ أنه ترك لنا ما يربو على ثمانين مؤلفاً في التاريخ والفلسفة والدراسات الإسلامية ، والرد على المستشرقين ، والتأليف المدرسي ، والترجمة ، واللغة والأدب ، إلى جانب ديوانه ، " فجر وشفق " وبذلك يحتل - رحمه الله - مكانة مرموقة في الساحة الأدبية نظراً لأهمية مؤلفاته بالنسبة للدارسين والباحثين وطلبة العلم ، فهذه الجهود القيمة كان لها تأثيرها على الحركة الأدبية المعاصرة ، هذا وقد لاح للبحث العديد من النتائج التي لخصتها هنا من خلال الفصول والمباحث التي مرت بنا :-

١ - غزارة المادة العلمية في موسوعته : تاريخ الأدب العربي ، إذ أن هذه الموسوعة تحوى التأريخ للأدب العربي من جاهليته إلى القرن الحادى عشر الهجرى وذلك في ثمانية أجزاء ، ومن مميزاتة أيضاً أنها اشتملت على ترجمة كثير من أدباء وشعراء الأعصر الأدبية قاربت الألفي ترجمة وإن كانت هذه الترجمات سطحية لاتزيد كل ترجمة عن خمس أو ست صفحات ، لكن ميزتها أن كل ترجمة مردفة بأهم المصادر والمراجع التي يمكن العودة إليها لمن يريد الاستزادة فكأن هذه التراجم عبارة عن فهرس شامل لشعراء وأدباء الأعصر الأدبية المختلفة .

٢ - اهتمامه بدراسة التراث الأدبي العربي فتناول عدداً من الشعراء والأدباء والمؤرخين والفلاسفة في دراسات مستقلة مثل :- دراسته لبشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام واخوان الصفا ، وابن سينا ، وابن حزم ، و " الفاربيين " .

٣ - شاعريته - رحمه الله - فبعد تناولي لمؤلفاته الأدبية والنقدية بالدراسة والبحث وجدت أنه شاعر جيد وله ديوان بعنوان " فجر وشفق " إلى جانب شعره الكثير الموجود في كتابه غبار السنين ، وقد كان شاعراً قوى العاطفة ، رقيق الشعور .

- ٤ - رفضه الشديد للشعر الحر (المنشور) واصراره على فساد مذهبه القائم على تقليد الغرب والتأثر به فيما لاينفع ، ومناداه أنصاره بايجاد اسم مناسب لما يقولونه ، فإن هم كانوا عاجزين عن الاسم ، فعن المسمى هم أعجز ، وينكر عليهم مطالبتهم بالتجديد مع اتكالهم على معاني التوراة والانجيل وابتعادهم عن القرآن الكريم والشعر العربي الأصيل بدعوى أنه قديم ولم يعد صالحاً لإيفاء حاجات العصر .
- ٥ - دفاعه عن الاسلام والتراث الاسلامي وتصديه للمستشرقين والرد على ادعاءاتهم وآرائهم الباطلة التي تحاول المساس بهذه العقيدة ، وقد كانت له - رحمه الله - قدرة عظيمة في الرد على هؤلاء المستشرقين بالحجة والبرهان والدليل القاطع وأكبر دليل على ذلك رسالته التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه والتي أثبتت من خلالها للمستشرقين رسوخ العقيدة الاسلامية وتعاليم الدين الاسلامي في نفوس المسلمين الأوائل من خلال شعرهم .
- ٦ - دفاعه عن اللغة العربية ، وذلك من خلال اهتمامه بالتأليف حولها مثل كتابه "عبرية اللغة العربية" ، أو كتابه القوميه الفصحى أو من خلال مشاركاته في مؤتمرات مجامع اللغة العربية أو الندوات والمحافل .
- ٧ - تأليفه المدرسي ، فقد ألف - رحمه الله - العديد من المناهج الدراسية التي كانت تدرس في بلده لبنان مثل : القراءة المصورة ، وأنا مسلم ، والنحو الابتدائي وذلك للمرحلة الابتدائية ، والنحو الثانوي ، والمنهاج في الأدب العربي ، للمرحلة الثانوية .
- ٨ - اتقانه لعدد من اللغات كالانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والأسبانية

والمامه بعدد آخر من اللغات التي تعينه في البحث ، فاتقانه لهذه اللغات جعله يترجم عدداً من الكتب إلى اللغة العربية مثل :- الاسلام على مفترق الطرق ، والاسلام منهج حياة ، أصدقاء لاسادة ، وقد ترجم كتاب سياسته الشرعية لابن تيمية من العربية إلى الانجليزية ، هذا إلى جانب تأليفه باللغة الانجليزية ككتابه : لغة القرآن الذي وضعه باللغة الانجليزية لتعليم اللغة العربية للأجانب ، وقد وضعه أيضاً باللغة الفرنسية ، والاسبانية .

٩ - تأليفه في مواضيع أخرى غير الأدب والشعر والنقد ، كتأليفه في التاريخ والفلسفة مثل : - عبقريّة العرب في العلم والفلسفة ، تاريخ العلوم عند العرب ، وتاريخ الفكر العربي (إلى أيام ابن خلدون)

١٠ - نشاطه المستمر وأدبه في العمل ، فهو علاوة على أنه عالم ومفكر ومؤلف فإن له نشاطات واضحة وملموسة في مجامع اللغة العربية التي كان عضواً فيها مثل : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ودمشق ، وبالأردن ، إلى جانب نشاطاته في المحافل والندوات ، ومشاركته في المناسبات ببحث أو بكلمة إلى أن وافاه الأجل - رحمه الله - وهو يكتب مقالاً عن التراث الاسلامي .

وأخيراً فإن هذه الدراسة التي مضت مع الدكتور عمر فروخ ودراساته الأدبية والنقدية لتؤكد على أن جوانبه الفكرية والأدبية مازال في حاجة إلى العديد من الأبحاث والدراسات ، فالرجل كما ذكرت في مقدمة بحثي متعدد الجوانب واسع العلم وقد أشرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة في التاريخ والفلسفة والأدب واللغة والدراسات الاسلامية والرد على المستشرقين . . . وكل ذلك يغري الباحثين والمنقبين ليرودوا هذه الميادين ، وهي بلاشك تستحق العكوف عليها والعناية بها

وقد ذكر لي الدكتور محمد نايل في رسالة بعث بها إليّ بأن واحداً من مؤلفات الدكتور عمر فروخ يستحق أن يكون أطروحة لنيل درجة علمية ، ومثل على ذلك بكتابة

• التبشير والاستعمار •

وهذه الدراسة المتواضعة التي أقدمها أنارت لي السبيل إلى العديد من الدراسات التي أدعوا الباحثين إليها في هذه الشخصية الإسلامية المتواضعة التي لم تأخذ حقها من قبل الباحثين والدارسين ، ولذلك كانت لي هذه المقترحات حول مايمكن دراسته من نتاج الدكتور عمر فروخ :-

أولاً :- شاعرية الدكتور عمر فروخ هذه الشاعرية التي قد لا تكون معروفة لدى كثير من الناس فالدكتور عمر فروخ شاعر جيد يستحق أن يفرد شعره بدراسة علمية ، فديوانه "فجر وشفق" وكتابه غبار السنين يشتمل على شعر جيد يستحق الدراسة التي تقف على خصائص فنه الشعري وتبين عن فكره وثقافته العربية الأصيلة .

ثانياً :- دراسته للأدباء والشعراء المستقلة تستحق الدراسة والبحث والتحليل والنقد فهناك العديد من الأدباء والشعراء الذين تناولهم بالبحث في دراسة مستقلة مثل دراسته لخمسة شعراء جاهليين : امرئ القيس ، وعنترة ، طرفة بن العبد ، النابغة ، وزهير ودراسته لعمر بن أبي ربيعة ، وبشار بن برد ، وأبي نواس ، وعبدالله بن المقفع وأبي تمام ، وأبي فراس ، وإبراهيم طوقان ، وأبي القاسم الشابي ، وأحمد شوقي . فهذه المؤلفات تستحق أن تفرد بدراسة علمية منهجية .

ثالثاً :- دراساته اللغوية وبحوثه في مجامع اللغة العربية يمكن أن تكون موضوعاً لدراسة علمية منهجية فهناك كتابه : عبقرية اللغة العربية والقومية الفصحى ، إلى جانب البحوث التي قدمها لمجامع اللغة العربية فهذا الجانب يمكن أن يعرض ويبحث وتناقش آراء الدكتور عمر فروخ فيه .

رابعاً :- موقفه من الاستشراق والرد على المستشرقين ، فقد كان له - رحمه الله - موقفه المعروف والواضح من الاستشراق والمستشرقين ، وله أسلوبه المتميز في الرد على المستشرقين من الادلاء بالحجة والبرهان والاعتماد على العقل والمنطق أولاً وآخراً فدراساته حول الاستشراق والمستشرقين جديرة بأن تُعرض وتُبحث وتُنَاقش .

وهكذا نجد أماناً أبواباً رحبة لعدد من الدراسات حول نتاج هذه الشخصية المتعددة العطاء ، وكل ذلك يدفع الباحثين إلى توجيه انظارهم إلى مؤلفاته لما تشتمل عليه من خصوصية واثراء للأدب العربي ، كما تضيف إليه العديد من الجوانب التي تكون مفخرة لكل عربي مسلم من اهتمام بدراسة الأدب العربي والرد على المستشرقين بأسلوب علمي يعتمد على الحجة والبرهان .

وما قمت به من دراسة جانب واحد من جوانب علمه - رحمه الله - ما هو إلا باب من الأبواب المتعددة والذي أرجو أن أكون قد وفيت حقه ، وأحطت بمجمل جوانبه ، وعرضت له في صورة واضحة تضيف إلى مسيرة الأدب في العصر الحديث لبنة من لبناته وتؤكد على اهتمام الدارسين والباحثين بالأدب العربي طريفه وتليده .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

* * * * *

الفهارس

- ١ - مؤلفات الأديب .
- ب - المصادر والمراجع الأخرى .
- ج - الدوريات .
- ء - فهرس الموضوعات .

المصادر والمراجع

أولا - مؤلفات الأديب:

- ١ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، ط ١ مطبعة الكشاف بيروت
١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م .
- ٢ - أبو فراس فارس بنى حمدان وشاعرهم ط ١ مكتبة منيمه للطباعة والنشر - بيروت
١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ٣ - تاريخ الأدب العربي ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨١م .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي ج ٢ ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨١م .
- ٥ - تاريخ الأدب العربي ج ٣ ط ٣ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨١م .
- ٦ - تاريخ الأدب العربي ج ٤ ط ١ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨١م .
- ٧ - تاريخ الأدب العربي ج ٥ ط ١ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨٢م .
- ٨ - تاريخ الأدب العربي ج ٦ ط ١ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨٣م .
- ٩ - الشابي شاعر الحب والحياة ، ط ٣ دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، فبراير ١٩٨٠م .
- ١٠ - شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي ط ٥ ١٩٥٤ منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها - بيروت لبنان .
- ١١ - عمر بن أبي ربيعة ، ط ٢ مكتبة منيمه للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .
- ١٢ - عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاما (١٩٣١م - ١٩٧١م) بيروت ١٩٧١ / بدون طبعه أو ناشر .

- ١٣ - غبار السنين ط الأولي ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م دارالاندلس - بيروت - لبنان .
- ١٤ - فجر وشفق ط الأولي ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

- ١٥ - معالم الأدب العربي في العصر الحديث ج ١ ط الأولي ١٩٨٥ م ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان .

- ١٦ - معالم الأدب العربي في العصر الحديث ج ٢ ط الأولي ١٩٨٦ م دار العلم للملايين بيروت - لبنان .

- ١٧ - هذا الشعر الحديث ط الأولي دار لبنان للطباعة والنشر - بيروت / لبنان

ثانيا - المصادر والمراجع الأخرى: (الألف)

- ١٨ - أبو نواس / العقاد - دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٩ - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر / كامل السوافيري ط ١ مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٢٠ - الأدب في عصره الذهبي لعبدالرحمن عثمان . ط بدون ، مطبعة المدني ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ٢١ - الأدب في العصر المملوكي / محمد زغلول سلام ط بدون دار المعارف بمصر .
- ٢٢ - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة / أحمد هيكل ط ٧ دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ م .
- ٢٣ - الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه) مصطفى الشكعة ط بدون ، دار العلم للملايين ١٩٧٤ م .

٢٤ - الأدب العربي في الأندلس / عبدالعزيز عتيق ط ٢ دار النهضة العربية للطباعة

والنشر / بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

٢٥ - أدباء العرب ج ٢ (الأعصر العباسية) لبطرس البستاني ، طبعة جديدة منقحة

دار مارون عبود .

٢٦ - الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، حكمة علي الأوسي ، ط بدون ، مكتبة

الخارجي بالقاهرة .

(الباء)

٢٧ - بين الأصالة والحداثة / نقد ومختارات ، أحمد فرح عقيلان ، مطبوعات نادي

الطائف الأدبي .

(التاء)

٢٨ - تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) شوقي ضيف ، ط ٧ دار المعارف بمصر .

٢٩ - تاريخ الأدب العربي (العصر الاسلامي) شوقي ضيف ، ط ٧ دار المعارف بمصر .

٣٠ - تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) شوقي ضيف ، ط ٢ دار المعارف

بمصر .

٣١ - تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) شوقي ضيف ط ١ ، دار المعارف

بمصر .

٣٢ - تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (مصر والشام) .

٣٣ - تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية - ايران - العراق)

٣٤ - تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (المغرب والأندلس) شوقي ضيف ، ط ١

دار المعارف بمصر .

٣٥ - تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ط بدون منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان ١٩٨٣ م .

٣٦ - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، ابراهيم علي أبو الخشب

ط بدون ، دار الفكر العربي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م

٣٧ - تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، ابراهيم أبو الخشب ط بدون ، دار الفكر

العربي .

٣٨ - تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبه) احسان عباس ط ١ ، دار الثقافة

بيروت ، ١٩٦٠ م .

٣٩ - التجديد في الأدب الأندلسي ، باقر سماكه ، ط بدون ، مطبعة الإيمان

بغداد ، ١٩٧١ م .

٤٠ - تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من ١٨٨١ - ١٩٣٨ ، حسن أحمد

الكبير ، دار الفكر العربي .

٤١ - التطور والتجديد في العصر الأموي ، شوقي ضيف ، ط ه دار المعارف بمصر .

٤٢ - التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، بدوى طبانه ط ١ ، مكتبة الانجلو المصرية

١٩٦٣ م .

(الجيم)

٤٣ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج ١ ، العصر الجاهلي وعصر صدر

الاسلام ، أحمد زكي صفوت ، ط بدون المكتبة العلمية ، بيروت .

(الحاء)

- ٤٤ - الحياة الأدبية في عصرى الجاهلية وصدر الاسلام ، محمد عبدالمنعم خفاجي -
وصلاح الدين محمد عبدالنواب ، ط بدون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- ٤٥ - الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، محمد عبدالمنعم خفاجي ط ١ ، مكتبة
الحسين التجارية .

(الدال)

- ٤٦ - دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، عمر الطيب الساسي ، ط ٣ ،
دار الشروق ، جدة ، ٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ .
- ٤٧ - الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام ، عدنان الخطيب
ط بدون ، دار الفكر للطباعة ، دمشق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤٨ - ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عرام المجلد الثاني
ط ٢ ، دار المعارف ١٩٦٤م .
- ٤٩ - ديوان أبي القاسم الشابي ، درا العودة - بيروت ١٩٨٨م
- ٥٠ - ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ، الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت -
لبنان ١٩٩٦م .
- ٥١ - ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت .
- ٥٢ - ديوان كعب بن زهير ، شرح ودراسة مفيد قميحة ، ط ١ ، درا الشواف للطباعة
والنشر ، الرياض ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

(السين)

٥٣ - شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوبي ، ط ٧ ، المكتبة الثقافية بيروت -

لبنان ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥٤ - شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالرحمن البرقوقي ط بدون دار الكتاب العربي بيروت .

٥٥ - الشابي : حياته وشعره لأبي القاسم محمد كرو ط جديدة ، الدار العربية

للكتاب ١٩٨٤م .

٥٦ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط بدون ،

دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

(الصاد)

٥٧ - صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، علي زيعور ، ط ١ دار الاندلس ، بيروت -

لبنان ١٩٨٥م .

(الطاء)

٥٨ - طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ط ٤ ، دار المعارف

بمصر .

(العين)

٥٩ - عناصر الابداع الفني في رائية أبي فراس ، محمد عارف محمود حسين ، ط ١ ، مطبعة

الامانة، مصر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٠ - العمدة لابن رشيق ، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة ، ط ١ دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان .

(الفاء)

٦١ - فصول في الأدب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، حكمة علي الأوسي
ط ٣ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٦٢ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ط ٨ دار المعارف بمصر .

٦٣ - الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف ، ط ٦ دار المعارف بمصر .

٦٤ - في الأدب العربي الحديث ، عمر الدسوقي ، ج ١ ، ط ٦ ، دار الفكر العربي

١٩٦٤ م .

٦٥ - في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) يوسف عز الدين ط ٣

دار العلوم - الرياض ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٦٦ - في الأدب الاندلسي ، جودت الركابي ، ط بدون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م .

(القاف)

٦٧ - قضايا الشعر المعاصر - نازك الملائكة - ط ٧ دار العلم للملايين ١٩٧٣ م .

٦٨ - قضية الشعر الجديد ، محمد النويهى ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ١٩٧١ م .

(الميم)

٦٩ - المقامة ، شوقي ضيف ط ٦ ، دار المعارف بمصر .

٧٠ - المدخل في دراسة الأدب ، مريم البغدادى ، ط ١ تهامه ، جده ، ١٤٠٢ هـ

١٩٨٢ م .

٧١ - مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، نسيب نشاوى

ط بدون ، مطابع ألفباء - الأديب ، دمشق .

٧٢ - من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، دار المعارف بمصر .

٧٣ - المجمعون في خمسين عاما ، محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع
الأميرية - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
(النون)

٧٤ - النثر الفني في القرن الرابع - زكي مبارك ، ط بدون ، دار الكاتب العربي
للطباعة والنشر - القاهرة .

* * * * *

ثالثا - الدوريات :

- جريدة المدينة ، الخميس ٢٦ ربيع الآخرة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ ديسمبر

٠ ١٩٨٧ م

- المجلة العربية ، العدد ١٢٤ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ يناير ١٩٨٨ م .

- المجلة العربية ، العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١ هـ أبريل ١٩٩١ م .

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣

الباب الأول : حياته الفكرية :-

* الفصل الأول : نشأته وثقافته :

١ - مولده ونشأته	١٢
٢ - كفاحه في الحياة	١٩
٣ - حياته الأسرية	٢٢
٤ - فجيعة في ابنه	٢٥
٥ - علمه وثقافته	٢٨
٦ - معتقده وخلقه	٣٢

* الفصل الثاني : حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية :

١ - مؤلفاته :

أ - في الفلسفة والتاريخ والاجتماع	٤٣
ب - في موضوعات اللغة والأدب والشعر	٤٨
ج - في الشخصيات	٥٤
د - في الدراسات الإسلامية	٦٢
هـ - في التأليف المدرسي	٦٥
و - الكتب المترجمة	٦٨
ز - كتب أخرى	٧٠
٢ - بحوثه	٧٣

رقم الصفحة

الموضوع

- الباب الثاني : دراساته لتاريخ الأدب العربي :-

* الفصل الأول : تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة :

- أ - تقديم ٨٠
- ب - منهج المؤلف في هذه الدراسة ٨٤
- ج - محتويات الكتاب ٨٨
- د - التراجم ٨٩
- هـ - المصادر التي اعتمد عليها في بحثه ٩٧
- و - نظره في تقسيمه للعصر العباسي وتقسيم غيره من المؤلفين ٩٩
- ز - معالم الأدب العربي في العصر الحديث ١٠٤
- ح - التراجم في معالم الأدب العربي في العصر الحديث ١١١

* الفصل الثاني : الموضوعات الأدبية وطريقة دراسته لها :-

- ١ - العصر الجاهلي :- ١١٥
- أ - أيهما أسبق : الشعر أم النثر ١١٥
- ب - تاريخ الأدب الجاهلي ١١٧
- ج - قضية اللفظ والمعنى ١١٩
- د - المعلقة ١٢٢
- هـ - النثر الجاهلي ١٢٤
- ٢ - عصر صدر الاسلام : ١٣٠
- أ - الشعر ١٣٠
- ب - النثر ١٣٤

رقم الصفحة

الموضوع

- ٣ - العصر الأموي: ١٣٧
- أ - النقائص..... ١٣٧
- ب - النشر..... ١٤٣
- ٤ - العصر العباسي: ١٤٩
- أ - ظروف العصر..... ١٤٩
- ب - اتساع الفنون الأدبية ١٥٤
- ج - ذروة الشعر المحدث ١٥٩
- د - النشر في العصر العباسي..... ١٦٠
- ٥ - الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري الى الفتح العثماني ١٦٥
- ٦ - كثرة التأليف في عصر الانحطاط ١٧٣
- ٧ - الأدب العربي في الأندلس والمغرب ١٧٥
- ٨ - الموشحات ١٨٨
- ٩ - معالم الأدب العربي في العصر الحديث ١٩٩

✳ الفصل الثالث : مقارنة بين دراسته في تاريخ الأدب وبعض الدراسات
المناظرة والرأى فيها :-

- أ - توطئه ٢٠٣
- ب - الاطار العام لهذه الدراسات ٢٠٦
- ج - الغرض من التأليف ٢٠٧
- د - خطة التأليف..... ٢٠٨
- هـ - تقسيم العصور الأدبية..... ٢٠٩

رقم الصفحة

الموضوع

- و - التراجم ٢١٧
ز - التاريخ . للأدب العربي في المغرب والأندلس ٢٢٠

- الباب الثالث : دراسات الأدبية والنقدية :

* الفصل الأول :-

* دراسات الأدبية والنقدية لبعض الشخصيات الأدبية :

- أ - تمهيد ٢٢٥
ب - الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي ٢٢٦
ج - بعض الشخصيات التي أفردتها بالدراسة :- ٢٣٨
١ - عمر بن أبي ربيعة ٢٤٠
٢ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ٢٤٥
٣ - أبو فراس فارس بن حمدان وشاعره ٢٥٠
٤ - شاعران معاصران : ابراهيم طوقان ، وابو القاسم الشابي ٢٥٤

- أولا : ظروفهم ٢٥٤
ثانيا : الخصائص الفنية لأعمالهما ٢٦٧
أ - خصائص أعمال ابراهيم طوقان الفنية ٢٦٧
ب - خصائص أعمال الشابي الفنية ٢٧٤
ج - كتاب الشابي : الخيال الشعري عند العرب ٢٨٤

* الفصل الثاني :-

- نقد الشعر الحديث ٢٩٠

* الفصل الثالث :-

- موازنة بين هذه الدراسات ودراسات غيره ممن التقوا معه في بعض موضوعاته :

- أ - موازنة بين دراسته للشابي ودراسة غيره ٣٠٧

الموضوع رقم الصفحة

ب - موازنة بين دراسته للشعر الحديث ودراسة غيره ٣٢١

- الباب الرابع : عمر فروخ بين معاصريه :-

* الفصل الأول :-

جهود الأدبية والنقدية في رأى النقاد المعاصرين ٣٤١

* الفصل الثاني :-

مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة..... ٣٥٤

- الخاتمة ٣٧١

* الفهارس :-

أ - مؤلفات الأديب ٣٨٤

ب - المصادر والمراجع الأخرى ٣٨٥

ج - الدوريات..... ٣٩٢

د - فهرس الموضوعات..... ٣٩٣-٣٩٧